أبطال المسيحية : في الماضي والحاضر

هدسون تايلور

في
قلب الصين

بقلم

چانيت وچيوف بنج

أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر

هدسون تايلور

في قلب الصين

بقلم

جانيت وجيوف بنج

ترجمة

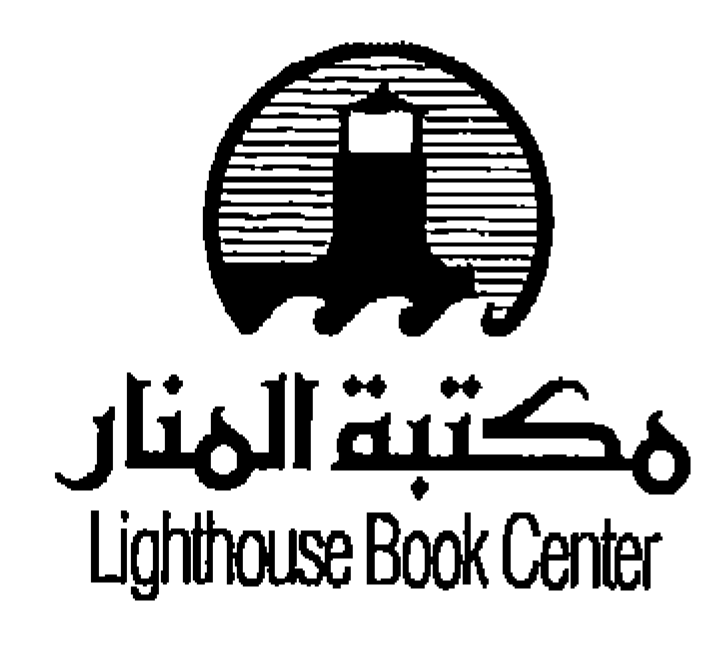
ادوارد وديع

مراجعة

مدحت ادوارد

المحرر

د. ممدوح حليم



طبعة أولى نوفمبر ٢٠٠١

هدسون تايلور English Title: **Hudson Taylor**

في قلب الصين **Deep in the Heart of China**

المؤلف: جانيت وجيوف بنج Author :**Janet and Geoff Benge**

ترجمة: ادوارد وديع

مراجعة: مدحت ادوارد

المحرر: د. ممدوح حليم

الناشر باللغة العربية:- Arabic Publisher:

مكتبة المنار Lighthouse Book Center

١٧ش مراد الشريعي 17,Murad El-Sherei st.,

سانت فاتيما ـ مصر الجديدة Saint Fatima. Heliopolis, Cairo, Egypt.

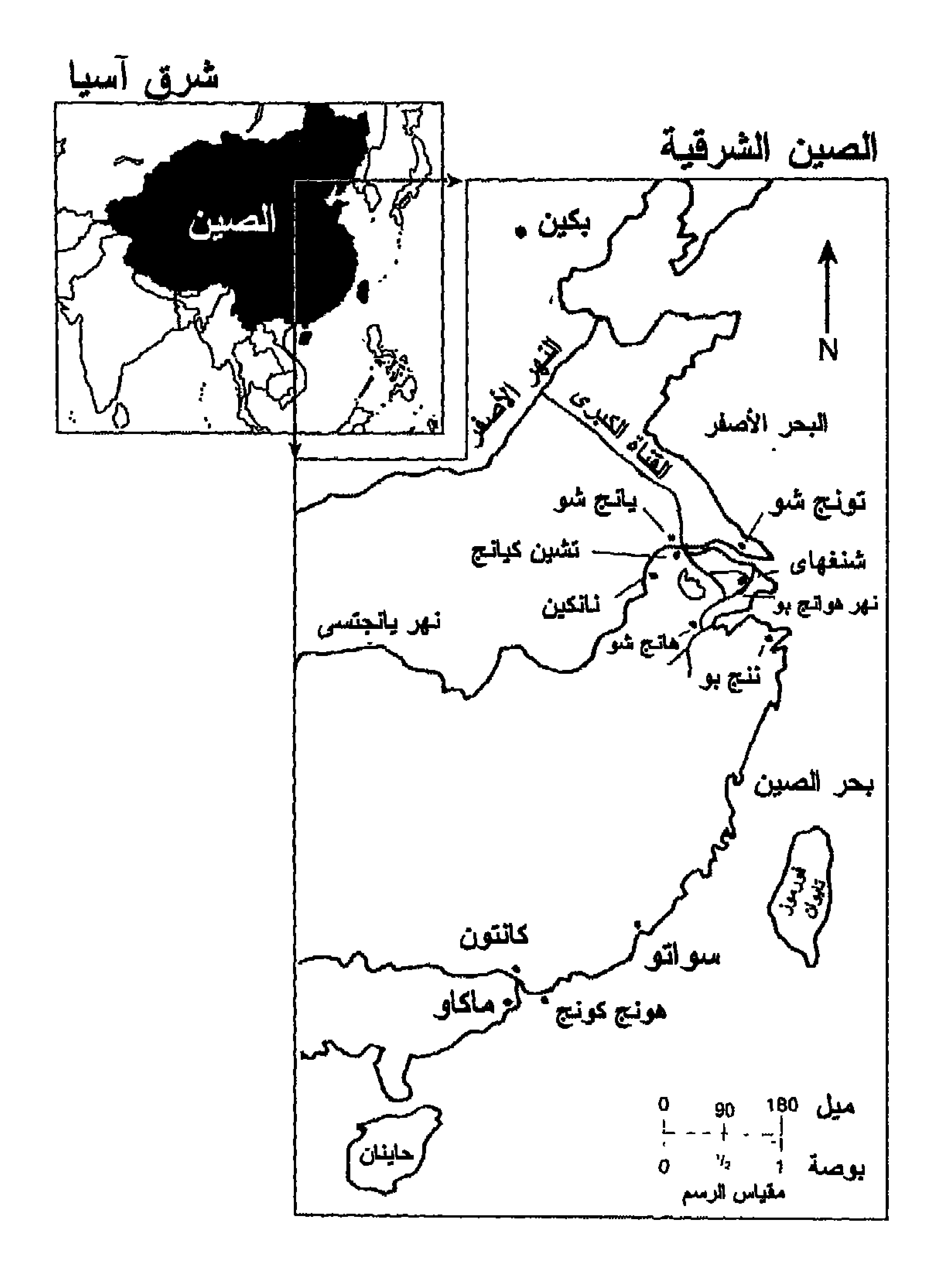
تليفون: ٦٣٩٥٠٣٠ (٠٢) Tel: (02)6395030

فاكس: ٢٤٠٣٨٤٨ (٢٠٢) Fax: (202)2403848

Mobil: 012/3233352

رقم الإيداع: ١٧٩١ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي: 977-5674-58-1


شرق آسيا
الصين
الصين الشرقية
بكين
N
النهر الأصفر
القناة الكبرى
البحر الأصفر
يانج شو
تونج شو
تشين كيانج
شنغهاى
نانكين
نهر هوانج بو
نهر يانجتسى
هانج شو
ننج بو
بحر الصين
كانتون
سواتو
ماكاو
هونج كونج
ميل 0 90 180
بوصة 0 ½ 1
مقياس الرسم
حاينان

المحتويات

الفصل الأول
نور خطير

كان موريس ربان السفينة يقبض على عجلة قيادة الدمفرايز Dumfries ، وهى سفينة شراعية تبلغ حمولتها ٤٧٠ طناً، في الوقت الذي كان يلقى فيه بالأوامر لفريق بحارته الذين يبلغ عددهم ٢٣ شخصاً. وفي قمرته (كابينته) اسفل ظهر المركب، كان راكب السفينة الوحيد، هدسون تايلور، يكتب في مذكراته اليومية. كان الشاب الإنجليزي القصير ذو الشعر الأشقر والعينين الزرقاوتين في طريقه ليكون مرسلاً في الصين. وحيث أنه كان مشغولاً بالكتابة، لم يكن يعرف أن عاصفة هوجاء سوف تطيح بالسفينة، على الرغم من أنه لاحظ أن المصباح في قمرته كان قد بدأ يتأرجح بأكثر مما كان يفعل من قبل.

على ظهر المركب، كان الضغط الجوي ينخفض بصورة مطردة. وكان انخفاض الضغط يعني هبوب رياح عاتية، وكانت الرياح العاتية تعني بحراً هائجاً. كانت الأمواج قد بدأت تضرب مقدمة المركب. وكانت الدمفرايز تتدحرج من جانب إلى آخر، وهى تهتز محدثة صريراً كصرير الباب. وكلما اشتدت الرياح، كان يزداد قلق الربان موريس. وعلى الرغم من كل مجهوداته، كانت السفينة تحت رحمة حركة وعويل الرياح .

ومما زاد الطين بلة، أنهم قد تركوا ليفربول منذ أربعة أيام ولم يخرجوا بعد إلى عرض البحر في المحيط الأطلسي. كانوا مازالوا في بحر أيرلندا، بالقرب من طبقات الصخور البارزة غير المستوية لشاطئ ويلز. أصبحت هذه الصخور الآن قريبة إلى درجة خطيرة، خاصة بعد أن كانت السفينة تتحرك إلى الأمام وإلى الخلف بفعل الرياح وتيار المحيط.

وبقرب حلول المساء، كانت الأمواج قد ارتفعت حتى بدت كالجبال، وكانت الدمفرايز تئن وهى تتمايل. شق هدسون تايلور طريقه بحذر نحو ظهر المركب. كان لون السماء يماثل لون الكدمات التي أصيب بها أثناء تقاذف الأمواج له في قمرته بفعل العاصفة. كان رذاذ المحيط يلسع كقطع الزجاج الصغيرة وهو يضربه كالسياط في وجهه .

تعلق الربان موريس بعجلة قيادة السفينة الخشبية الكبيرة، محركاً إياها أولاً في اتجاه ثم في اتجاه آخر، محاولاً أن يجعل الدمفرايز تستجيب له. نظر إلى هدسون، أكثر من مرة مخففاً من قبضته.

صاح الربان : "ما لم يساعدنا الله، فلا رجاء"

رد عليه هدسون صارخاً: "كم نبعد عن ساحل ويلز؟"

قال له الربان : "نحن على بعد ١٥ أو ١٦ ميلاً، ونحن ننجرف بسرعة.

أثناء حديث الربان موريس، اندفعت موجة عاتية لتضرب السفينة. كان الزبد (الرغوة) الذي تدفعه الرياح يملأ الهواء، وقد غطت

الأمـواج ظهـر المركب. ملقية بالبراميل وقطع الأخشاب هنا وهناك كما لو لم تكـن ذات وزن يذكـر. اقتنع هدسون بأن التواجد في قمرته سوف يكون أكـثر أمانـاً. عـندما تـرك ظهر المركب، استعرض المشهد أمامه وهو يتجه لأسـفل. مـا لم يعمـل الله بصـورة معجـزية لصـالحنا، سوف لا يتبقى من سفينتنا سوى عدد قليل من الألواح الخشبية المكسورة عند قدوم الصباح"، هكذا كان يفكر، وهو غير واثق مما كان ينتظره.

في الظـلام أسـفل ظهـر المركـب، كـان عـدد كـبير مـن بحـارة الدمفرايـز يـتجمعون معاً في حجرة المائدة. كانت السفينة تنحدر وتتدحرج بشـدة. تـنزلق إلى الأمـام ثـم تهـتز مـن جانب إلى جانب، تندفع وتهتز - حـتى إن هدسـون اضـطر للـزحف على يديه ورجليه في الممر إلى قمرته في مؤخـرة السـفينة. كـان بـاب القمـرة يـتأرجح بعنف على مفصليه، ولكنه اسـتطاع أن يثبـته خلفـه وهـو يتكوم بالداخل. نام على سريره. وحيداً في الظـلام، وهـو لا يسـمع سوى صوت الأمواج وهي تلتطم بجانب السفينة، وهـي تهـتز نتـيجة لذلـك. وكـل ارتفـاع في صـوت الأمـواج وهـي تضرب السفينة يكاد يلقي به من سريره.

حـاول أن يـنام، دون فـائدة. تـزايدت حـدة العاصـفة، حـتى كانـت السـفينة تـتأرجح بعـنف إلى الحد الذي لم يستطع معه هدسون أن يـبقى في سريره، ولكنه عاد أدراجه إلى ظهر المركب. كان الربان موريس

لا يـزال متشـبثاً بعجلـة القـيادة. ولكن موريس لاحظ شيئاً مختلفاً في هذه المرة. استطاع أن يرى فناراً قريباً إلى جانب السفينة غير المواجه للريح.

صاح القبطان موريس قائلاً لهدسون: "فنار الرأس المقدس. إننا نتجه نحوه"

فـرد هدسـون صـارخاً لـيعلو صـوته عـلى صـوت الـريح: "كم نستغرق من الوقت للوصول إليه؟"

أجاب القبطان بعبوس: "ساعتين على أكثر تقدير "

لم يسـتطع هدسـون أن يفكـر في شـيء آخـر يقو له. لقد انتهى كل شيء.

فعـل القـبطان موريـس كل ما في مقدوره لينقذ سفينته دون جدوى. ان تحطـم الدمفرايـز فـوق الصـخور مسألة وقت فقط. انهمرت الدموع على وجنتي هدسون جنباً إلى جنب مع رذاذ ماء البحر المالح.

تزاحمـت الأفكـار في رأس هدسـون فـيما يختص بالعائلة وهو يشـق طـريقه مرة أخرى نحو قمرته. استطاع رؤية وجوه أمه وأبيه وأختيه إميلـيا ولويـزا. كـيف سـوف يكـون رد فعـلهم تجـاه موتـه؟ لم يكـن مـن المفـروض أن يمـوت بهـذه الطـريقة. هل أنقذه الله من حمى مميتة والموت المحقـق لـيجعله يمـوت في بحـر أيرلـندا؟ كان يفكر في جسده. هل سوف يغـوص في الأعمـاق أم سـتجرف المـياه جثته نحو الشاطئ؟ وعندما فكر في ذلـك، أخـرج مفكرة الجيب، وبالرغم من حركات السفينة العنيفة التي لا

يمكن التنبؤ بها، استطاع ان يكتب اسمه وعنوانه بحروف كبيرة داخل غلافها. ودفع بالمفكرة إلى داخل سترته. فلو جرفت المياه جثته، سوف تتمكن عائلته بسهولة من التعرف عليه حتى يتم دفنه في موكب جنائزي مهيب.

بعد ذلك بدأ يبحث عن شيء يمكن أن يطفو، شيء يمكن أن يتعلق به عندما تغوص الدمفرايز. وعندما أخذ يبحث، أدرك أن الطفو لم يكن يشكل مشكلة تضاهي تجنب تمزق جسده فوق الصخور بفعل البحر الغاضب. ولكن لم يكن بوسعه أن يفعل شيئاً إزاء ذلك، كل ما كان عليه أن يفعله هو أن يبحث عن الوسائل المتاحة لإنقاذ حياته. وأخيراً استقر رأيه على سلة كبيرة للإبقاء على حياته. لاشك أنها تطفو، ومن السهل أن يتعلق بها. وضع داخل السلة القليل من الطعام، وبعض الملابس وحبلاً وأدواته الجراحية. بهذه الأدوات التى لا تبدو أنها منقذة للحياة والتى وضعها تحت ذراعه، صعد مرة أخرى إلى سطح المركب. كان باب عنبر السفينة قد أنتزع بعنف من مفصلاته، وكان الماء ينساب إلى الجزء السفلي من السفينة عن طريق الباب. كان عدد من البحارة يجاهدون لتغطية الفتحة بقطعة من الشراع الممزق وبعض الأخشاب .

على سطح السفينة، كان القبطان موريس مازال جالساً أمام عجلة القيادة، حيث كان يقف طوال الأربع والعشرين ساعة الماضية. كان

الماء المزبد يزحف ملتفاً حول ساقيه عندما كانت الموجة وراء الأخرى تضرب سور السفينة بعنف.

أمسك هدسون بالسور متوجهاً نحو القبطان. وكانت الحبال فوقه ملتفة حول الصاري. كان القبطان موريس يحاول أن يغير اتجاه السفينة، وذلك بتحريكها يمنة ويسرة، ليبعدها عن الصخور ولكن بلا فائدة. كان الريح أقوى مما ينبغي، والسفينة لم تتجاوب مع هذه المحاولات. كانوا يندفعون نحو فنار الرأس المقدس شيئاً فشيئاً ونحو الصخور المحطمة للسفينة قبالة ساحل ويلز.

بعد أن عرف القبطان موريس أنه على وشك أن يفقد سفينته، فحص آلاته للمرة الأخيرة. كشف البارومتر أن الضغط كان على وشك أن يرتفع، ولكن ليس بالسرعة الكافية التي يمكن أن تفيدهم. ثم فحص مقياس الريح. وفجأة صاح: "لقد تغير اتجاه الريح. لم يتغير سوى بمقدار نقطتين فقط، ولكن بالقدر الكافي الذي يسمح لنا بالابتعاد عن الصخور"

أصدر أوامره إلى بحارته، الذين صعدوا من أسفل السفينة لوضعها في حيز التنفيذ. أخذوا يسحبون الحبال بكل قوتهم لوضع الأشرعة في الموضع الصحيح للاستفادة من تغيير اتجاه الريح. ضبط القبطان موريس عجلة قيادة الدمفرايز بمهارة، وفي هذه المرة بدأت السفينة تتجاوب معه. فبدلاً من الانحراف نحو الصخور، بدأت تبتعد عنها بوصات قليلة ثم تحولت البوصات إلى أقدام والأقدام إلى ياردات، وسرعان

ما اتجهت الدمفرايز إلى الخلف تاركة بحر أيرلندا. كل من كان على ظهر المركب صاح فرحاً. لقد أصبحوا في أمان!

لم يكن أحد أكثر اندهاشاً أو سعادة من هدسون تايلور. على أي حال، لم يكن في طريقه للغرق. كان في طريقه نحو الصين. راح يبتسم بمفرده. في ظرف أربعة أيام بعد ترك إنجلترا كان قد اجتاز بالفعل أولى مغامراته البحرية. يا ليت الموظفين الصغار في بنك بارنزلي يرونه الآن!

الفصل الثاني

صلاة أم

كـان هدسـون تـايلور يقـول لنفسـه عـندما كـان والـده يواصل القـراءة، "إن الـزملاء في العمل كانوا على حق، إني أحيا حياة مملة أكثر مـن كـل من يعمل في بنك بارنزلى، وربما أكثر من كل من في إنجلترا. لماذا يتحتم عليّ أن أبقَى دون حركة هنا لاستمع إلى ذلك في كل صباح؟". كان يستمع إلى أبـيه وهو يقرأ من الكتاب المقدس. وكانت القراءة تكملة لقراءة الكتاب المقدس في الليلة الماضية، ولكن هدسون لم يكن يتابع القراءة وقتئذ أيضـاً. ألقـى نظـرة عـلى أختـيه الأصغر مـنه سـناً "إميليا ولويزا". كانتا تعـيران الالـتفات الـتام، مـع التعـبير الجـاد عـلى وجهـيهما. كانت أمه تجلـس قبالـته عـلى الجانـب الآخـر مـن المائدة، وهى تومئ رأسها ببطء دلـيلاً عـلى الموافقـة عندما كان مستر تايلور يقرأ؟ "يا له من شيء ممل!" هكذا كان هدسون يفكر.

سـرح هدسـون بفكـره إلى الـوراء عندما بدأ العمل في البنك. كم كـان ساذجاً، عندما اعتقد أن الموظفين الصغار الآخرين سوف تؤثر عليهم حقـيقة أنـه في سـنة ١٧٩١ كـان جـده قـد بنى أول كنيسة ميثودستية في المديـنة عـلى تـل بنفولد، أو أن عائلته كانت تحضر إلى الكنيسة كل أحد

منذ ذلك الحين. وبدلاً من التأثر بتاريخ عائلته، ومعرفته الكتابية، وحقيقة أنه كان بمقدوره أن يقرأ الكتاب المقدس باللاتينية، كان زملاؤه في العمل يهزأون بثقته الطفولية وبدأوا يتحدون كل شيء كان يفترض دائماً أنه صحيح فيما يتعلق بديانته.

"كان يفترض" تلك هي العبارة الصحيحة. عندما أُخبر عن يسوع والإيمان المسيحي، كان يفترض أن الشخص كان يخبره الحقيقة. ولكن هل كان ذلك صحيحاً؟ ماذا يكون الحال لو لم تكن هناك حقيقة ثابتة؟ ماذا يكون الحال لو أن الناس يؤمنون لأن أناساً آخرين أمروهم بأن يؤمنوا؟ وكيف يكون الحال لو أن المسيحيين كانوا مرائين؟ كان زملاء هدسون دائما يثيرون هذه القضية. هل كانوا محقين؟ كان يمكن لهدسون بالتأكيد أن يفكر في عدد قليل من الناس في الكنيسة ينطبق هذا الوصف عليهم بسهولة. كانت رأسه تزدحم بالأفكار التي لم ترد على خاطره حتى بدأ العمل في البنك قبل ذلك بتسعة أشهر. كانت تجاربه ضحلة، وكانت نشأته تقيه من كل المخاطر والمواجهات. وكانت حياته مملة تماماً. على النقيض من ذلك، كانت حياة الشبان الذين كان يعمل معهم تبدو مليئة باحتمالات المغامرة. وبينما كانوا يحاولون الحصول على أكبر قدر من الاستمتاع بالحياة، فإنه، كشاب يبلغ من العمر ١٦ عاماً، كان ملازماً للدار جالساً أمام طاولة مع أختيه اللتين تبلغ إحداهما ١٢ سنة والأخرى ٨ سنوات، وهو يستمع إلى أبيه بصوته الرتيب.

وفي النهاية. أغلق مستر تايلور الكتاب المقدس وصلى صلاة ختامية. ثم اتجه إلى هدسون قائلاً له: "هلم إلى الدور السفلى قبل أن تذهب إلى العمل اليوم، فأنا أريد أن ألقى نظرة على عينيك".

أومأ هدسون بالموافقة على مضض. إن والده يتذكر كل شيء. فقد كانت عينا هدسون تؤلمه كثيراً مؤخرا. وبخاصة عندما كان يحاول أن يضبط الميزانية في دفاتر الحسابات في البنك. ولكنه لم يكن يرد أن يخبر والده بشأن المشكلة لأنه كان يشك في أعماقه بأن مشكلة عينيه متعلقة بمصابيح الغاز في البنك. وبما أن العمل في البنك كان طريقه للهروب من السأم. لم يكن يريد لعينيه الموجوعتين أن تحولا بينه وبين هذه الحرية التى وجدها حديثا.

نزل هدسون درجات السلم من مقر معيشة الأسرة إلى الصيدلية في الدور السفلى. استقبلته رائحة الأعشاب المألوفة والأدوية عندما هبط إلى عالم والده من الزجاجات وعلب الأقراص. أشار مستر تايلور إليه بأن يأتي ويجلس على الكرسي في الحجرة الخلفية. كان ذلك هو المكان الذي كان يفحص فيه زبائنه للكشف عن أمراضهم. رفع جفنى هدسون ونظر إلى إحدى العينين ثم الأخرى من خلال نظارة مكبرة. سأله عدة أسئلة منذ متى كانت عيناه تؤلمانه؟ في أي وقت كان يشعر بأنهما تؤلمانه في الصباح أم في المساء؟

أخيراً، تم التشخيص. كلتا عينى هدسون كانتا ملتهبتين بشدة ـ مشكلة خطيرة يمكن أن تفقده البصر. الأمل الوحيد للشفاء الكامل كان يكمن في الراحة الكاملة. جلس هدسون مذهولاً. كان يعلم أن دوام الحال من المحال. لن يعمل في البنك مرة أخرى، ولن يكون هناك المزيد من الضحك مع الموظفين الصغار الآخرين. وبدلاً من ذلك، فإنه سوف يقبع في البيت طوال النهار ليلقى العناية من أمه وأختيه. ليس ذلك عدلاً، ولكن ما الذي كان يتوقعه؟ كان هذا هو حاله طول حياته. ففي كل مرة كان القدر يبتسم له، كان يمرض. ومنذ أن مات أخوه الأصغر وليم ثم أخوه الرضيع تيودور، أصبح والداه أكثر حذراً. كانت الحياة تبدو مملة بالفعل، ولكن هدسون كان يشعر بأنها سوف تزداد سوءاً في الأسابيع المقبلة.

وبينما كان يرقد في حجرة نومه المظلمة، تبخرت كل الأفكار التى تدعوه للمغامرة. اختلطت قطرات الماء النازلة من الخرق المبللة الموضوعة حول عينيه بدموع رثاء الذات التى كانت تجرى على وجنتيه. كان يرى حياته ممتدة أمامه، ولكن المشهد لم يكن سعيداً. وكالابن الوحيد، فقد كان في سبيله لامتلاك الصيدلية. ولكن سوف يكون الأمر مختلفاً، هكذا كان هدسون يمنّى نفسه. لن تكون هناك فرصة لقراءة الكتاب المقدس كل صباح في ظل إدراكه للأمور. ولن يصلي مع أطفاله

أيضاً. ولو لم يكن هناك شيء آخر، فالوقت الذي قضاه في البنك قد أظهر له كم كانت تلك الأفكار الدينية بالية.

حقق هدسون شفاء بطيئاً، وعندما شفيت عيناه بما فيه الكفاية، بدأ يعمل مع والده. كان مسروراً أن يشفي ويتحرك ثانية. وكان مسروراً لأن الألم قد فارق عينيه. ولكن وبعد أن تحسنت حالته، كان يبغض الذهاب إلى الكنيسة مرة أخرى مع العائلة. كان مستر تايلور معتاداً على أن يلقى الطاعة من قبل أبنائه، وقد تأكد أن هدسون كان يذهب معها إلى الكنيسة كل يوم أحد. ولكن مسز تايلور استطاعت أن ترى الإحباط يعتمل في قلب ابنها. كانت قلقة بشأنه. وكانت تصلي لأجله كل يوم.

مضت سنتان ، وعلى الرغم من أن هدسون قد ألف روتين العمل مع أبيه في الصيدلية، إلا أنه لم يستطع أن يتخلص من مشاعر الإحباط. في نفس الوقت الذي كانت فيه مسز تايلور تواصل الصلاة لأجله.

في بعض الأحيان، إن الأفعال التى يقوم بها أناس مختلفون في أماكن مختلفة في أوقات مختلفة يمكن أن تلتقي معاً في لحظة واحدة وتغير تماماً من مسار حياة شخص ما. وقد تحققت تلك اللحظة بالنسبة لهدسون تايلور في صيف ١٨٤٩ ، بعد تركه للبنك بعامين.

كان أول عمل هو الذي قامت به أخته إميليا التى بلغت الآن سن الرابعة عشرة فقد نظرت إلى أخيها الأكبر وانتابها القلق لبعض الوقت بشأن كيفية ابتعاده عن الله. وقد قررت أن تفعل شيئاً بشأن ذلك. لقد كتبت في مفكرتها اليومية أنها سوف تصلي لأجل هدسون ثلاث مرات في اليوم حتى يجد سلاماً مع الله. وقد صدقت في قولها، وصلت له بأمانة.

كان الحدث الثاني بعد ذلك بشهر عندما ذهبت مسز تايلور لتقضي عدة أسابيع في زيارة أختها. وبينما كانت بعيداً، كان لديها بالفعل بعض أوقات الفراغ، وهو ما لم يتوفر أبداً لديها في بيتها. وهى تلبي احتياجات بيتها الكثيرة. ولذا فقد قررت أن تخصص فترة بعد الظهر في أحد الأيام مصلية لهدسون.

في نفس هذه الفترة، في البيت، كان هدسون يشعر بالملل بنوع خاص. ومع ذلك فقد عرف أنه إن لم يبدو مشغولا فإن أخته الصغرى لويزا يمكن أن تزعجه لكي يلعب معها بالدمى الورقية، أو قد يكون الأمر أسوأ من ذلك، فقد يكلفه أبوه بالقيام ببعض المهام. لذا فقد قرر هدسون أن يأخذ كتابا جيداً لمخبأه المفضل. ولكن يبدو أنه لم يجد شيئاً يلفت انتباهه على رف الكتب، فقد قرأ كل الكتب الجيدة حتى حفظ فقرات من العديد فيها عن ظهر قلب. وعندئذ لمح كتيبا دينياً لم يكن قد رآه من قبل. كان أبوه دائما يجمع تلك الكتيبات ويعطيها لعملائه. ابتسم هدسون

في رضا وهو يأخذ الكتاب من على الرف. كان قد فهم كيف كان تأثير تلك الكتيبات منذ مدة طويلة، كان النصف الأول منها يتكون دائماً من قصة مثيرة لتجذب انتباه الناس، وكان النصف الثاني عبارة عن رسالة من رسائل الإنجيل. كان هدسون قد سمع الكثير من رسائل الإنجيل في حياته. ولذا فقد قرر أن يقرأ النصف الأول فقط.

ضم هدسون الكتاب بشدة إلى ذراعه، وأخذ يرقب لويزا لئلا تكتشف مخبأه، وأسرع إلى المخزن القديم في مؤخرة بيتهم وجلس ليقرأ.

على بعد ٤٥ ميلاً في بيت أختها، كانت أم هدسون تصلي بحرارة لأجله. بعد عدة ساعات من الصلاة شعرت بسلام يغمرها. فقد عرفت في أعماقها أن الله قد استجاب لصلواتها. لم تكن تعرف كيف حدث ذلك. ولكنها كانت متأكدة أن ابنها قد أصبح مسيحياً.

ومما يدعو للدهشة أن ذلك قد تحقق بالفعل. كان هدسون قد بدأ يقرأ القصة في الكتيب. وقد أثارت انتباهه بشدة لدرجة أنه قد نسى كل ما يتعلق بقراره بألا يقرأ سوى النصف الأول من الكتاب. فحتى قبل أن يعرف، كان قد قرأ النصف الثاني الذي يحوى رسالة الإنجيل. وبينما كان يقرأ. شدت عبارة انتباهه بشدة. كان الكتيب يقول "عمل المسيح الكامل". ولم يستطع هدسون أن يبعد هذه العبارة عن فكره. لقد فكر فيها لمدة طويلة. فإذا كان عمل المسيح كاملاً، فليس هناك شيء يمكن أن يقوم

به سوى أن يقبل ذلك العمل الكامل. ولذا، ففي ذلك المخبأ في المخزن القديم، دعا هدسون تايلور يسوع المسيح ليدخل إلى حياته.

ترك هدسون المخزن شخصاً جديداً ، فقد انتهى الصراع الذي طالما اعتمل في داخله. لأول مرة منذ بداية العمل في البنك منذ ما يقرب من ثلاث سنوات، شعر بالسلام في داخله.

أراد هدسون أن تكون أمه أول من يعرف، وحيث أنها لم تكن قد عادت إلى البيت بعد منذ أن ذهبت لزيارة أختها، فإنه لم يقل شيئاً لأي شخص آخر بشأن ما حدث.

مضت بضع أيام قليلة، وأخذت إميليا ولويزا تلاحظان هدسون بإعجاب شديد. كان يبدو مختلفاً. وأخيراً سألته إميليا عما حدث، فأسَر إليها هدسون بأنه قد أصبح مسيحياً. وشرح لها بأنه لم يخبرها قبل ذلك لأنه أراد أن تكون أمه أول من يعرف، ولذا فقد طالب إميليا بأن تحتفظ بالخبر في طي الكتمان.

وبعد أسبوعين، عادت مسز تايلور من زيارة أختها. لم يستطع هدسون أن ينتظر ليرى وجهها ويخبرها بالخبر السار. وأخيراً سمع وقع أقدامها على السلم. فتح الباب على مصراعيه ولف ذراعاه حول أمه. وعندما كاد أن يعتصر أمه، سمح لها بأن تتحرك وأعلن أن لديه أخباراً مدهشة لها. ابتسمت مسز تايلور ابتسامة عريضة، ثم قالت وهي

تومئ رأسها بالموافقة: "إني أعلم من قبل بما تريد أن تخبرني إياه. لقد تصالحت مع الله، وإني مبتهجة بهذه المعرفة منذ أسبوعين".

تراجع هدسون إلى الخلف، وقد أصيب بالذهول. شخص واحد فقط في العالم على علم بهذا التجديد، ألا وهو إميليا. تساءل: هل كتبت لماما؟ "كيف عرفت؟" "هل خالفت إميليا وعدها؟ لقد قالت إنها لم تقل لأي إنسان".

ضحكت مسز تايلور. "كلا، لم أسمع بذلك من أي مصدر أرضي. كنت أصلي لأجلك وأنا بعيدة، وعندما صليت، أعلمني الروح القدس بأنه قد امتلك حياتك" شعر هدسون بالارتياح لأن أخته لم تكذب عليه وصُدم من هول المفاجأة بأن أمه كانت على يقين من تجديده.

ومع تواصل حديثهما، علم هدسون بأن أمه كانت تصلي في اللحظة الصحيحة التي توصل فيها لفهم المعنى الحقيقي لصيرورة المرء مسيحياً.

بعد عدة أيام، التقط هدسون ما اعتقد انه كراسته للبحث عن شيء كان قد كتبه. وعندما هم بفتحها، أدرك أنه كان قد التقط كراسة إميليا بطريق الخطأ. ولكن قبل أن يغلقها، لفت نظره فقرة ورد اسمه فيها. كانت الفقرة عبارة عن تسجيل ليومياتها وقد وعدت فيها أن تصلي لأجله ثلاث مرات في اليوم حتى يصبح مسيحياً. كان التاريخ المدون فيها يسبق تاريخ التقاطه للكتيب وقراءته في مخبأه بشهر.

لقد ذهل هدسون. لقد استجاب الله حقاً للصلاة. ووجد نفسه يتساءل عما سيحدث بعد ذلك في عالم الإيمان الجديد الذي دخله.

الفصل الثالث
كلمة واحدة

الآن بعد أن أصبح هدسون مؤمناً، صار ينتظر أيام الآحاد بفارغ الصبر ليذهب إلى كنيسة الميثودست في تل بنفورد. لم تعد قراءة الكتاب المقدس مملة. ففي كل مرة يقرأ فيها الكتاب المقدس الآن. كانت الكلمات واضحة أمام عينيه. والمواعظ التى كانت ذات مرة مملة وجافة قد امتلأت بمعان جديدة. وعلى الرغم أنه كان يعرف أنه أصغر من أن يقود فصلاً من فصول مدرسة الأحد، أو أي نشاط كنسي آخر. إلا أنه عرف أيضاً أنه في مكان ما هناك شيء يمكن أن يقوم به لأجل خدمة الله.

وأخيراً في يوم ما، جاءته هو وإميليا فكرة. لقد قررا عدم حضور خدمة مساء الأحد والتى كانا يحبانها، ليقضيا الوقت بدلاً من ذلك في زيارة البيوت في أفقر أحياء بارنزلي. وفي طريقهما إلى هناك. كانا يوزعان النبذات. ويدعون الناس إلى الكنيسة، ويخبرانهم عن محبة الله واهتمامه بهم. اقترب كل من إميليا وهدسون من نحو الآخر وهما يخططان ويصليان معاً. لأجل زيارات يوم الأحد. وقد شعرا بسعادة. ولم يسريا أي سبب يدعوهما لعدم مواصلة زياراتهما باستمرار ولكن كانت لمستر ومسز تايلور. خطط أخرى.

كانت إميليا تبلغ من العمر الآن ١٤ سنة، وكان والداها يبحثان لها عن مدرسة جيدة لتدخلها. وبعد كثير من البحث، قررا أن يرسلا ابنتهما إلى مدرسة داخلية تديرها الخالة هودسون، أخت مسز تايلور، في منطقة "بارتون ابون همبر" على بعد ٤٥ ميلاً. كان بإمكان إميليا أن ترجع وتقوم بالزيارة أثناء العطلات، ثم أنها كانت في يد أمينة عند خالتها.

في نفس الوقت، كانت الخالة "هدسون" تتساءل عما تفعله بشأن ابنها جون. كان قد أكمل تعليمه وفي حاجة لوظيفة. لذا فقد قرر أنه في مقابل ذهاب إميليا للمدرسة في بارتون أبون همبر، يأتي جون ويعيش مع أسرة تايلور، ويتدرب على خدمة مستر تايلور كصبي صيدلي. كان ذلك يعد نوعاً من التبادل الصريح للأبناء ولن يكلف أياً من العائلتين بنساً واحداً. باستثناء أجرة القطار إلى البلدة في وقت الإجازة.

كان يبدو أن كل شيء يسير على ما يرام، باستثناء بعض التفاصيل غير الهامة. فقد فَقد هدسون أفضل صديقة له ورفيقة الصلاة وفي مقابل ذلك كسب رفيقاً دائماً كان يذكّره بالموظفين الصغار في البنك. كان يبدو أن جون لم يكن يأخذ أي أمر على محمل الجد، وبخاصة احتياج هدسون إلى الخصوصية. كانت إميليا ولويزا تقتسمان دائماً حجرة النوم، بينما كان لهدسون حجرته المستقلة، أصبحت الأمور الآن مختلفة عما كانت عليه من قبل. تمت تنحية المتعلقات الشخصية لهدسون جانباً،

وقد أضيف سرير آخر إلى الحجرة. وإن لم يكن ذلك كافياً، فقد كان جون يتحدث بلا نهاية عن أشياء لم تكن تهم هدسون. وقد كان يقاطع هدسون عندما كان يصلي أو يقرأ كتابه المقدس ليروي له نكتة. كان وقتاً عصيباً جداً. على الرغم من وجود جون في حجرة نومه، كان هدسون يشعر بالوحدة. كان جون بالنسبة له يبدو مقايضة غير عادلة في مقابل إميليا.

وفي خلال كل ذلك، داوم هدسون على الصلاة وقراءة كتابه المقدس. وخلال ذلك الوقت سمع الله يذكر الكلمة الوحيدة التى أصبحت النقطة المحورية لكل قرار رئيسي اتخذه بقية حياته. كلمة واحدة ـ الصين .

يوماً ما كان هدسون يصلي ويقول لله كيف بدت حياته خالية من التركيز ومحبطة . لقد حاول أن يفعل ما هو صواب، ولكن كان من الصعب أن يحيا حياة تقية، خاصة عندما كان جون يحيط به إحاطة السوار بالمعصم طوال الوقت، وأخيراً، أخبر هدسون الله وهو يائس أنه إذا حطم قوة الخطية في حياته فإنه سيفعل أي شيء يطلب الله منه أن يفعله، ويذهب إلى أي مكان يطلب الله منه أن يذهب إليه، ويتحدث مع أي شخص يطلب الله منه أن يكلمه. وعندما صلى هدسون هذه الصلاة بصوت عال، غمره سلام عظيم. وفيما بعد كتب يقول: "لن أنسى الشعور الذي غمرني. فالكلمات لا يمكن أن تصفه. لقد شعرت أني في حضرة الله... يبدو أن صوتاً ما كان يتردد قائلاً: "صلاتك قد استجيبت،

وشروطك قد قُبلت". ومنذ ذلك الوقت فصاعداً لم تفارقني القناعة بأني كنت مدعواً للذهاب إلى الصين.

بنفس الطريقة التي كانت نظارة أبيه المعظمة تركز ضوء الشمس ليصبح شعاعاً صغيرا من الضوء القوي. هكذا بدأت حياة هدسون تركز على الصين.

أصبح كل قرار وكل نشاط ذا قيمة فقط إذا كان يحركه نحو هدفه. كان هذا التركيز على الصين يتخذ أشكالاً عديدة.

أولاً. لقد أدرك أنه بحاجة إلى كل التدريب الأكاديمي الذي يمكن أن يحصل عليه. لقد تعلم في البيت معظم حياته لأنه لم يكن دائما قويا بالدرجة الكافية للذهاب إلى المدرسة. ولذا فقد كان معتاداً على تحديد منهج الدراسة الخاص به.

في خطابه إلى إميليا شرح لها لماذا كان يستيقظ في الخامسة صباحا لكي يستذكر. "عليّ أن أدرس إذا كنت أنوي الذهاب إلى الصين. إني مصمم تماما على الذهاب. واستعد بقدر ما أستطيع. إني أنوي أن أتحسن في اللغة اللاتينية. وأن أتعلم اليونانية ومبادئ اللغة العبرية. وأن أحصل على أكبر قدر ممكن من المعلومات العامة".

ثانيا. لقد كان بحاجة لتقوية جسمه. كانت أمه دائما تتصرف بعصبية معه لأنه كان مريضا في كثير من الأحيان. كانت تتأكد أنه يجلس في مكان لا يوجد به تيار هواء. ويأكل طعاما صحيا. وأنه كان

يحرص على أن يلف جسده جيداً في أيام الشتاء الباردة عندما كان يذهب لتسليم الأدوية. ولكن كل هذه الضجة المثارة جعلت هدسون يتساءل عن كيفية بقائه على قيد الحياة في الصين، دع عنك ذكر الرحلة البحرية الخطيرة التى سوف تقوده إلى هناك. لم يكن أمامه شيء يفعله سوى أن يتقوى ويشتد عوده! بدأ بممارسة برنامج تدريبي مجهد خارجاً في الجو البارد. كانت أمه تجد أنه من الصعوبة بمكان أن تنظر من الشباك وتراه يعمل بجد في صباح الأيام الشديدة البرودة. كانت قلقة عليه خوفاً من أن يصاب بالتهاب رئوي.

تخلص هدسون أيضاً من فراشه الوثير من الريش وبدأ ينام على ألواح الخشب العارية. تخلى عن الكثير من الأشياء التى كانت "ضرورية" في حياته اليومية. قال لنفسه: عندما **أذهب إلى الصين، يجب أن يكون جسدي مستعداً لذلك**.

ثالثاً، كان على هدسون أن يكتشف وسيلة ما لتعلم اللغة الصينية. بالطبع، لم يكن يعرف أي واحد كان قد ذهب إلى الصين، دع عنك أن يتحدث الصينية، ولذا لم تكن هناك طريقة كان يمكنه أن يتعلم بها كيف كانت تنطق اللغة. ولكنه استطاع أن يتعلم كيف كانت تكتب. فقد حدث أن شخصاً قد أعطاه نسخة من إنجيل لوقا بالصينية. كانت هناك عقبة واحدة: لم تكن هناك ترجمة ولم يكن معه قاموس. ولكن كانت هناك أرقام الإصحاحات والأعداد باللغة الإنجليزية والصينية.

استطاع هدسون أن يستميل جون كي يساعده، وقد شرعا سوياً في فك طلاسم اللغة الصينية.

كانت اللغة الصينية التقليدية تكتب على شكل صور ترمز لمدلول معين وهذا يعني أن الصورة تمثل فكرة. فصورة الشمس والقمر معاً تترجم ككلمة "ساطع" (في الإنجليزية بالطبع، نستعمل الحروف لتقوم مقام الأصوات الفعلية التى نصدرها. وهذا يعني أن اللغة الإنجليزية لغة تكتب وفقاً للأصوات). وعلى الرغم من وجود عدة لغات ولهجات يتم التحدث بها في الصين، إلا أن كل واحد كان قادراً أن ينظر إلى صورة الشمس والقمر ويعرف أنها تعني ساطع، بغض النظر عما تقوله الكلمة فعلاً. وهذا قد جعل من تعلم الكتابة بالصينية مهارة عظيمة القيمة.

بهذه الطريقة عمل هدسون وجون على فهم ما كانت تعنيه الصور: كانا يختاران كلمة باللغة الإنجليزية ثم يجدانها في عدد في نسخة من إنجيل لوقا باللغة الإنجليزية. فإذا كانا ينظران إلى كلمة خلاص، فقد يجدانها في إنجيل لوقا اصحاح ٢، عدد ٣٠ "لأن عينى قد أبصرتا خلاصك" ثم يستخدمان فهرساً إنجليزياً ليجدا الأعداد التي توجد بها كلمة خلاص **في إنجيل لوقا**، كإنجيل لوقا اصحاح ٣، عدد ٦ "ويبصر كل بشر خلاص الله"، وإنجيل لوقا اصحاح ١٩، عدد ٩ "اليوم حصل خلاص لهذا البيت". ثم يأتي الدور على الجزء الذي يصعب التعامل معه. كانا يجدان نفس الأعداد في إنجيل لوقا باللغة الصينية

ويكتبانها واحداً تحت الآخر. وكانا يبحثان عن الصور التى تظهر في كل الأعداد الصينية. وأخيراً يقلبان الإنجيل كله بالصينية، باحثين عن المزيد من الأعداد التي تحوى نفس الصور. فإذا وجدا في كل حالة الصورة حيث توجد الكلمة الإنجليزية، فإنهما يكتبانها في كراسة بالقلم الرصاص.

وفيما بعد، إذا لم يجدا مكاناً واحداً تعني فيه الصورة شيئاً آخر، فانهما يرسمان الصورة بالحبر.

كانا يتعرفان ببطء على كلمة واحدة في كل مرة، ويتذكران الحروف الصينية، حتى استطاع هدسون أن يقرأ ويكتب ما يزيد على ٥٠٠ حرف منها.

لم يكن هدسون بحاجة أن يعرف فقط اللغة الصينية، ولكنه أدرك أيضاً أنه كان بحاجة لمعرفة المزيد عن الصين نفسها، وبخاصة ما وراء المناطق الساحلية. كان الشعب الصيني متميزاً في حفظ الأسرار، لأنهم لم يريدوا أن يؤثر الأجانب أو "البرابرة البيض"، كما كانوا يدعونهم، على أسلوبهم في الحياة. كان هذا يرجع جزئياً لحرب الأفيون، التى أذل فيها الإنجليز الشعب الصيني، ولم يكن الصينيون على وشك أن يغفروا للإنجليز من أجل هذا الإذلال.

بدأت حرب الأفيون في ١٨٣٩م، عندما كان هدسون في السابعة من عمره. دارت رحى الحرب بسبب حقوق التجارة بين إنجلترا

والصين. كان الشعب الإنجليزي يريد العديد من الأشياء التى كان على الصينيين أن يبيعوها: الحرير. والتوابل. والشاي، والبورسلين الصيني. وهذا قليل من كثير. ومع ذلك، فالصينيون لم يريدوا أي شيء اضطر الإنجليز لبيعه باستثناء القليل من الفضة. وقد أدى هذا لخلل كبير في الميزان التجاري. وسرعان ما أصبح الإنجليز مدينين للصينيين بالكثير من المال. وقد أحبطوا لأن الصينيين لم يريدوا شراء الأشياء منهم لتخفيف الديون التى كانت تثقل كاهلهم. ولذا فقد أخذوا يفكرون في خطة لتصدير شيء يريده الصينيون.

ولسوء الحظ. فكر الموظفون الإنجليز في خطة ماهرة جدا ولكنها كانت مريعة. لقد فكروا في أن يبيعوا للشعب الصيني الأفيون. وهو عقار يؤدي للإدمان ولذا فانهم يحتاجون لشراء المزيد والمزيد منه. كان الأفيون يستخرج من نبات خاص كان ينمو في الهند، وهى دولة كان البريطانيون قد قهروها وجعلوها جزءاً من إمبراطوريتهم. وقبل أن تعرف الحكومة الصينية ما كان يحدث، كانت ٤٠.٠٠٠ علبة تحتوي المخدر تجلب إلى داخل الصين كل سنة، متسببة في إدمان آلاف الصينيين للأفيون. كان ذلك الأمر بمثابة كابوس للصينيين. كان الناس ينامون في الشوارع يشحذون الأفيون. وقد أصبح كبار الموظفين مدمنين وكانوا يتخذون قرارات حمقاء. وحتى ابن الإمبراطور مات من جراء تناول جرعة زائدة من العقار.

قـرر الإمـبراطور منع دخول المخدر، مهما كان ذلك يتسبب في غضـب الـبريطانيين. لقـد أعلـن عـن تحـريم اسـتيراد الأفـيون. ولم يكـن الإنجلـيز، بالطبع، على استعداد للتنازل عن سلعتهم التجارية الجديدة، ولذلـك بـدأت الحـرب. كانـت حـرباً لم تسـتغرق من الإنجليز وقتاً طويلاً حـتى يكسبوها. وعلى الرغم من أن الصين كانت قد اخترعت البارود منذ عدة قرون مضت، إلا أن البريطانيين هم الذين عرفوا كيف يستخدمونه في المدافـع والبـنادق. تغلـب الإنجلـيز عـلى الصـينيين لأن لديهـم المـزيد من الأسـلحة، وقـد هـزموا في سـنة ١٨٤٢م. اضـطروا للتوقـيع عـلى معـاهدة نانكـنج. كانـت معـاهدة غـير متكافـئة. ولكن البريطانيين كانوا قد فازوا، وخسـر الصـينيون. وكـأحد الشروط لوقف قصف الصين، اضطر الإمبراطور لإعطـاء جزيـرة هونـج كونـج لـلبريطانيين ولفـتح خمـس مـدن عـلى طول السـاحل كأماكن للأجانـب للإعاشة والتجارة. ولكن المعاهدة لم تذكر شيئاً عـن واردات الأفـيون. لقـد خسر الصينيون المعركة الحقيقية التى كانوا قد هبوا ليكسبوها، خسروا حقهم في إبعاد الأفيون عن بلادهم.

كـان الصـينيون يشعرون بالمرارة بسبب هذا التدخل الأجنبي، وعـلى الـرغم من أنهم سمحوا للتجار ولعدد قليل من المرسلين بالتواجد في "موانـئ المعـاهدة"، كمـا كـان يطلـق عليها، لم يسمحوا للمرسلين، أو أي "برابرة" أجانب، من الاقتراب من المناطق الداخلية.

كـان ذلـك لا يـزال هو الوضع الراهن بين الدولتين عندما ابتدأ هدسـون يركـز انتباهه على الصين. عرف هدسون أن الصينيين لن يرحبوا بـه أو بالرسـالة الـتى جاء بها. ومع ذلك فالنبذات التى حصل عليها من الجمعـية الإنجيلـية الصينية في لندن قد ألهمته. كان هناك عدد هائل من البشـر في الصين لم يسمعوا من قبل عن يسوع المسيح. قرأ هدسون النبذات وأعـاد قـراءتها محـاولاً أن يسـتوعب أعـداد الـناس الـتى كانـت تتحدث عـنها. درس الخريطة حتى فهم أن الصين يمكن أن تستوعب قدر مساحة بريطانـيا العظمى أربعين مرة. إحدى النبذات قدرت عدد الناس في الصين بحوالـي ٤٠٠ ملـيون نسـمة. وكـان ذلك الرقم يبدو أنه أكبر من أن يكون حقيقياً.

في ذلـك الوقـت، سمـع هدسون أن خادم الطائفة المحلى كان لديه كتاب جيد عن الصين يدعى "الصين، حالتها وفرص تحقيق النجاح فـيها"، تألـيف "والـتر ميد هرست". عرف أن ميد هرست قد طبع نسخاً مـن الكـتاب المقـدس بالصـينية وتـنكر في زي أبـناء الـبلد حتى يمكنه أن يهـربها عـن طـريق الأنـهار إلى داخل الصين. لم يستطع هدسون أن ينتظر ليقرأ الكتاب ويعرف كل ما يتعلق بمغامرات ميد هرست.

"هـل يمكـنني أن استعير نسخة من كتاب والتر ميد هرست؟" هكذا سأل هدسون خادم الطائفة بأدب.

قال الخادم: "بالتأكيد" "ولكنى أتساءل عما يريده ابن صيدلي من مثل هذا الكتاب".

أجاب هدسون: "إنـي أنـوي أن أكـون مرسلاً في الصين يـا سيدى. أريد أن أكتشف كل ما يمكن أن اكتشفه عن المكان، وقد تمت تزكية هذا الكتاب لي"

سأله الخادم: "وكيف سوف تدفع تكاليف الرحلة وتعول نفسك حال وصولك إلى الصين؟"

أجاب هدسون بثقة: "مثل التلاميذ في العهد الجديد والذين لم يأخذوا شيئاً عندما أرسلهم يسوع ليبشروا الناس، وأنا كذلك. أثق أن الله سوف يسد كل أعوازي"

ابتسم الخادم قائلاً له بصوت رقيق، وواضعاً يده على كتف هدسون: "عندما تكبر سوف تصبح أكثر حكمة. سوف ترى أن مثل هذه الفكرة كانت مقبولة عندما كان المسيح نفسه على الأرض، ولكن ليس الآن"

دهش هدسون عندما سمع كلمات مثل هذه من رجل الله، ولكنه لم ييأس. كان كتاب ميد هرست مثيراً إلى أبعد الحدود. كان يصف السهول المغطاة بحقول الأرز، والمدن ذات الأسوار، وسلاسل الجبال العملاقة. وتحركات الحيوانات ذات القرون الكبيرة والشعر الطويل . قرأ هدسون الكتاب من الغلاف إلى الغلاف عدة مرات. وأخذ بعض النصائح،

لا مـن خادم الطائفة بل من الكتاب ذاته. حث ميد هرست بشدة المرسلين المرشـحين للذهـاب إلى هـناك عـلى الحصـول عـلى التدريـب الطـبي قبل وصولهم إلى الصين. الآن كان لديه تركيز آخر في تدريبه استعداداً للصين: نعـم، إنه سوف يذهب إلى الصين، ولكن مع الحصول على تدريب طبي! بالطبع، كان السؤال، كيف يمكن الحصول على هذا التدريب؟

قـبل أن يجـد إجابـة عـلى هـذا السؤال، كان الوقت قد حان بالنسـبة لإميـليا كـي تعـود إلى البيـت لقضـاء العطلة الصيفية. لم يستطع هدسون ذو ال ١٨ ربيعاً أن ينتظر كي يشرك أخته في اتجاهه الجديد.

عـندما وصـلت إميـليا إلى البيـت، لم تـأت بمفردها. لقد أتت معهـا مُدرسـة الموسيقى بالمدرسـة، ماريـان فوجـان. كانـت ماريان نشطة ومـرحة، جمـيلة وموهوبـة. عزفـت عـلى البيانو ورنمت لهم. أُعجب بها هدسـون أيمـا إعجـاب! لم يصـدق كم كانت كاملة في كل شيء. أدرك أن الله قـد جـاء بماريـان إلى حـياته حـتى تكـون له زوجـة ليذهب معها إلى الصـين. كـان كـل شيء يحدث بصورة رائعة. تخيل ذهابهما معاً كفريق عمل، أول مرسلين يضعان أقدامهما في أزقة قرية صينية بعيدة. إنه سوف يبشر ويقدم النصائح الطبية بينما تُعلم ماريان الأطفال وتقود الترنيم.

قضـى ثلاثـتهم صـيفاً رائعـاً معـاً يركـبون الخـيول، يـرنمون، ويضـحكون. في الوقـت الـذي استقلت فيه ماريان وإميليا القطار متجهتين

إلى بارتون أبون همبر والمدرسة الداخلية، وشعر هدسون أنه قضى أروع صيف في حياته مع زوجة المستقبل.

بعد أن مضتا، كان عليه أن يحسب كيف يحصل على التدريب الطبي. كان المكان المفروض أن يذهب إليه هو لندن. ولكن كان من المكلف أن يعيش هناك. كان عليه أن يعمل طوال الوقت لمجرد أن يدفع ثمن طعامه. وأجرة إقامته، والرسوم المدرسية، دون أن يتبقى له وقت للالتحاق بالمدرسة الطبية. ومهما بذل من جهد، يبدو أنه لم يخرج بفكرة تشكل حلاً مقبولاً. ولحسن الحظ، فإن أخت أمه الأخرى، الخالة حنة والتى كانت تعيش في "هل Hull"، قد واتتها فكرة. كان أخو زوجها، روبرت هاردي، طبيباً محترماً في "هل" وكان يبحث عن مساعد. في مقابل الإقامة والإعاشة والأجر الزهيد، وحضور المحاضرات التى كان يلقيها الدكتور هاردي في مدرسة طبية محلية، هل كان هدسون على استعداد أن يصبح مساعداً للطبيب؟

كان سؤالاً لم يكن هدسون بحاجة ليوجه إليه مرتين. في عيد ميلاده التاسع عشر استقل قطاراً اتجه به إلى "هل"، على بعد ٥٠ ميلاً، وبعمله هذا، يكون قد اقترب من الصين خطوة أخرى.

الفصل الرابع

فرصة العمر

كـان كل شيء يسير بصورة أفضل مما كان هدسون يأمل. كان الدكـتور هـاردي طبيـباً محترماً ومسيحياً بحق. كان عطوفاً ومقدراً لمشاعر الآخـرين. وقـد رأى أن هدسـون شخص واعد وحمله الكثير من المسئولية. ومـع أنه كان هناك الكثير ليتعلمه، إلا أن د.هاردي وجد أن هدسون معد جيداً لتحمل الواجبات الملقاة عليه من نواح عديدة.

كانـت المحاسـبة إحـدى هـذه الواجـبات، وقـد أمدتـه أيامه كموظـف صـغير في البنك بفهم أساسي في إمساك الدفاتر. وكان عليه أيضاً أن يصـف ويوزع الأدوية، فبعد عمل دام خمس سنوات تحت رقابة عين أبيه فإنه قد تعلم الكثير عن الأدوية، دع عنك العناية التي أصر أبوه على أن يوليها لتركيب الأدوية. وكان عليه أن يكتب مذكرات ووصفات، كلها باللاتينية، لغة الطب في إنجلترا في القرن التاسع عشر.

سارت الحياة بإيقاع لذيذ بالنسبة لهدسون. كان يقضي معظم وقـت فـراغه وهـو يذاكـر المحاضـرات التي كان الدكتور هاردي يلقيها في مدرسـة الطـب بمديـنة "هل". في أيام الآحاد كان يذهب إلى الكنيسة وإما

أن يـزور خالـته حـنة والخـال رتشـارد أو يـأخذ الـرحلة الأطول قليلاً إلى بارتون أبون هامبر ليقضي فترة بعد الظهر مع ماريان وإميليا.

في إحـدى هـذه الـزيارات، لم يسـتطع هدسـون الانتظار ليُري ماريـان وإميلـيا مقالـة كـان قـد قـرأها في مجلة صينية، وهي مجلة كانت تصـدرها الـرابطة الإنجيلـية الصينية. كانت المقالة عن رجل ألماني يدعى "ولهـلم لوبسـكيد"، كـان قـد ذهـب إلى قلـب الصين. كان لوبسكيد ذاهبا لـيعقد اجـتماعاً عامـاً في لـندن ليخـبر الناس عن تجاربه في الصين. أخبر هدسـون ماريـان وإميلـيا بكـل مـا قـرأه. وعـندما فعل ذلك، أشرقت عينا إميلـيا بالإثـارة. ولكن لدهشته، بدت ماريان متضجرة من كل ما سمعته. فسألته أخيراً: "هل لابد لك من الذهاب إلى الصين لتخدم الله؟ ألا يمكنك أن تصبح طبيباً وتقوم بعمل ديني هنا؟".

فوجـئ هدسـون بسـؤالها. وعلـت وجهـه الحـيرة. كم من مرة يشـرح لهـا عن حقيقة إحساسه تجاه دعوته إلى الصين؟ كيف يمكنهما أن يـتزوجا إذا لم تشـاركه نفـس الدعـوة؟. لم يجـب هدسـون عـلى سـؤال ماريـان، وبـدلاً مـن ذلـك فقد أصر في قلبه على أن يثق بأن الله قادر على تغيير نظرتها تجاه الصين.

اندفعـت إميلـيا بسـؤالها لهدسـون: "هـل تنوي أن تذهب إلى لندن لكي تسمع مستر لوبسكيد؟". عندما قال إنه فعل ذلك، بدأت إميليا تتفحصـه بمـزيد مـن الأسـئلة. كـيف سـوف تدفع ثمن تذكرة الذهاب إلى

هـناك؟ هـل لديك مكان للإقامة فيه؟ هل سوف يسمح الدكتور هاردي لك بالتغيب؟

لم يكن لدى هدسون الإجابات على كل أسئلتها، ولكنه عرف بطريقة ما أنه سوف يجد وسيلة لمقابلة هذا الرجل الذي كانت لديه خبرة من الطراز الأول عن الصين.

وسرعان مـا ظهـرت ملصـقات ضخمة في كل أنحاء "هل" وفي كـل مديـنة أخـرى في إنجلـترا. كانت الملصقات تقول: "تعالوا إلى معرض الصناعة الكبير لكل الدول". ولكن السطر التالي جعل قلب هدسون يسرع النبضات من فرط الإثارة.

"فرصة العمر ، الذهاب إلى لندن بأجور مخفضة". وما كان مثيراً في الموضـوع أن افتـتاح المعـرض الكبير كان في نفس توقيت حديث لوبسكيد. إن أجـرة القطار الخاصة قد تكون رخيصة بالدرجة الكافية له لكي يذهب إلى لندن على أي حال.

اتضـح أن الأجـرة كانت أرخص مما كان يأمل هدسون. كانت الملكـة فيكـتوريا تـريد لأكـبر عـدد ممكـن مـن رعاياها أن يشهدوا العرض المذهـل. كـان "المعرض الكبير" الأول من نوعه وكان من بنات أفكار الأمير البرت، زوج الملكة فيكتوريا.

فقـد تخـيل الأمير حشدا عظيماً من الناس، حيث يمكن أن يجلب العارضون من كل أنحاء العالم أحدث التكنولوجيا من بلادهم للعرض. وقد

أمر الأمير البرت بإعداد بناية زجاجية ضخمة ذات هيكل معدني خصيصاً للعرض. وعندما اكتمل المبنى، أطلق عليه القصر البللورى.

أقام ما يزيد على ١٣,٠٠٠ عارض أجنحة للعرض في المبنى الكبير، والآن قد حان الوقت لعدد كبير من الناس أن يشهدوا المعروضات. ولمساعدة الناس على الذهاب إلى لندن لمشاهدة المعرض الكبير، قُدمت عروض خاصة بأجور مخفضة للقطارات ، رخيصة بالدرجة الكافية التي تجعل هدسون يستطيع أن يشتري تذكرتين إلى هناك. كان هدسون ينوي أن يستخدم إحداها للسفر إلى لندن، وأن يعطي الأخرى لإميليا كهدية عيد ميلادها السادس عشر.

اتفق هدسون مع الدكتور هاردي على التغيب لبعض الوقت والقيام بأول رحلة إلى لندن. كان عقله يموج بكل الاحتمالات المتاحة أمامه في لندن. إنه سوف يتحدث إلى مرسل حقيقي من الصين، ويقابل مستر بيرس، سكرتير الرابطة الإنجيلية الصينية، التي بدأ الاتصال بها عن طريق المراسلات، ويرى أعجب النباتات والحيوانات والاختراعات من كل أنحاء العالم. إنه سوف يقضي الوقت أيضاً مع إميليا التي شعرت بالإثارة لأنها تمكنت من الذهاب معه في هذه الرحلة. أي واحدة من هذه الأشياء كانت كفيلة بجعله سعيداً، أما استطاعته أن يفعل كل هذه الأشياء معاً فقد كان أمراً يصعب تصديقه لفرط إنبهاره.

كانت القرى، والممرات في الغابات والحقول تتوالى أمام ناظريه من نافذة القطار، ولكن عقله كان مركزاً على شيء آخر. كان يتصور نفسه في لقاء مع ولهلم لوبسكيد. كان سوف يخبر لوبسكيد بكل ما يتعلق باستعداداته للذهاب إلى الصين. وكان هدسون يأمل أن مستر لوبسكيد في مقابل ذلك سوف يعطيه بعض الأفكار النيرة الخاصة، مشيراً بنوع خاص للخطوة التالية التي عليه أن يتخذها في استعداده للذهاب إلى الصين.

كانت الأيام الأولى الخاصة في لندن مثيرة بالنسبة لهدسون وإميليا. كانت جماهير غفيرة في كل مكان. وكانت الشوارع مليئة بالعربات، عربات نقل البضائع وعربات نقل المسافرين. كان من الأشياء المفضلة لديهم أن يركبوا العربات التي تجرها الخيول. وفي عدد كبير من تلك العربات، كان يسمح للمسافرين بالجلوس في مقاعد على السطح. وفي ذلك المكان أحب كل من هدسون وإميليا أن يجلسا ويستمتعا بنظرة عامة على كل نشاط في لندن.

وإذا لم تكن مشاهد لندن تكفي، فقد أدهشهما المعرض الكبير حقاً. لقد أعلن عنه كأهم حدث لا ينسى في القرن التاسع عشر، ولم يكن الإعلان خاطئاً! تجول كل من هدسون وإميليا ذهاباً وجيئة في كل ممرات المعرض البالغ طولها ٨ أميال ليشاهدا المعروضات. كان عرضاً مذهلاً لكل ما هو عملي ولكل ما هو بعيد الاحتمال. كان هناك العديد من الابتكارات

التكنولوجية. كأول حفار دائري، وأول مركبة صغيرة، وأول مسدس. وكانت أيضاً المرة الأولى التى رأى فيها الشعب الإنجليزي منتجاً جديداً من الهند يدعى ممحاة (استيكة). وقد أعلنت شركة أمريكية عن آلة تصنع الثلج، بينما أعلنت شركة أخرى عن منبه يبقظ النائم ،حتى القصر البللورى نفسه كان لا يشبه أي شيء قد رآه الناس من قبل. لقد كان مبنى ضخماً مستطيلاً يغطي مساحة ٢٥ فداناً من ال هايدبارك، في وسط لندن. كان مصنوعاً كله من الزجاج والحديد وكان به مكان يكفي لنافورات مساحة كل منها ٢٠ قدماً، وأشجار النخيل المزروع في أوعية، وكانت الفيلة تتجول في كل أرجاء المكان.

وقيل إن المبنى كله كان مصمماً بطريقة بحيث يمكن أن يفك ويوضع مرة ثانية في مكان آخر عند انتهاء المعرض. لقد دهشت إميليا وهدسون بسبب كل الأشياء التي شاهداها.

ومع ذلك فعلى الرغم من المشاهد المذهلة في لندن والمعرض الكبير، كان يوم الأحد هو ما أتيا لأجله، وأخيراً جاء يوم الأحد. قابلهما مستر بيرس وأخذهما إلى كنيسة في توتنهام لسماع حديث ولهلم لوبسكيد. خلال الاجتماع، كان أمام هدسون الوقت ليدرس لوبسكيد، وهو رجل طويل ونحيل، يميل شعره الكثيف للسواد. وعندما تحدث لوبسكيد عن الصين أشرق وجهه.

وأخيراً اقترب الاجتماع من النهاية، وانتظر هدسون بشغف للحظة التي يلتقي فيها بولهلم لوبسكيد وجهاً لوجه. جاءت اللحظة سريعاً. قدم مستر بيرس هدسون، الذي سلم على لوبسكيد. بدأ هدسون في الحال يتحدث ذاكراً كل شيء عن كيفية دعوة الله له إلى الصين والاستعدادات التي كان يجريها. ابتسم ولهلم لوبسكيد وهو يستمع، ثم بدأ يضحك بصوت عالٍ. اندهش هدسون وأوقف ما كان يقوله قبل أن يكمل الجملة.

قال لوبسكيد وهو ينظر لشعر هدسون الأشقر وعينيه الزرقاوتين: "إنك لن تصلح للصين، إنهم يدعونني الشيطان ذا الوجه الأحمر" وأخذ يضحك ثم واصل حديثه قائلاً: "إنهم سوف يجرون منك ومن شعرك الأشقر في رعب! إنك لن تجعل الصينيين يستمعون إليك".

تجمد الكلام على فم هدسون. كان قد أمضى الكثير من الوقت وهو يتساءل ويخطط لكيفية تكيفه مع الصينيين لدرجة أنه لم يلق بالاً لكيفية تكيف الصينيين معه! ومع ذلك فقد كان يعلم أن الله قد دعاه، وبغض النظر عن مقدار الضحك الذي انتاب هذا المرسل المتقاعد، فإن ذلك هو الوعد الذي كان عليه أن يتعلق به. ولذا فقد حملق في عيني لوبسكيد، محاولاً أن يخفي يأسه وقال: "إن الله هو الذي دعاني إلى الصين، وهو يعرف لون شعري وعيني"، ضحك لوبسكيد بصوت أعلى.

على الرغم من يأسه الظاهر، فقد اتضح أنه كان يوماً طيباً بالنسبة لهدسون. كان قد قضى وقتاً رائعاً في معرفة مستر بيرس بصورة أفضل، وقد تعرف أيضاً على عدد من الأعضاء من الرابطة الإنجيلية الصينية. لقد تم الترحيب به وبإميليا من كل القلب لينضما إلى هذه المجموعة من الناس الذين كانت رغبتهم الوحيدة التبشير بالإنجيل في كل أنحاء الصين. نبعت صداقات كثيرة من ذلك الاجتماع ، صداقات كانت لتدوم طوال حياة هدسون.

اتجه هدسون إلى "هل"، حيث أعلن الدكتور هاردي بعد ذلك أن حجرة نوم هدسون كانت مطلوبة لفرد من أفراد العائلة. وكان يشعر بالأسف لذلك، ولكن هدسون كان عليه أن يجد مكاناً آخر ليعيش فيه. ولذا فقد انتقل هدسون للعيش مع الخالة حنة والخال رتشارد.

بعد هذا الانتقال، وجد هدسون أن الحياة أسهل بالنسبة له عما كانت عليه مع الدكتور هاردي. لم يكن لدى الخال والخالة أي أطفال من صلبهما، ولذا فقد اصبح مدللاً من قبلهما. كانت الخالة حنة رسامة للوحات. أما الخال رتشارد، أخو الدكتور هاردي، كان مصوراً. وكان لديهما مجموعة نشطة من الأصدقاء. كان البيت ممتلئاً دائماً بالحوارات الذكية والمناقشات الجادة عن الأماكن البعيدة. وقد استمتع هدسون بكل ذلك.

كان كل شيء يبدو على ما يرام، ولكن هل كان كذلك بالفعل؟ على الرغم من أن هدسون حاول أن يبعد الفكرة عن ذهنه، الا أن جانباً من جوانب المعيشة مع خالته وخاله كان يقلقه. منذ عام مضى، أصبح مقتنعاً بأن الكتاب المقدس يعلم بأن يكرس المسيحيون عُشرَ دخلهم ويعطونه لعمل الله، وهذه ممارسة يدعوها الكتاب المقدس العشور. ولذا فقد بدأ هدسون إعطاء عشراً من دخله. كان ذلك يعني في بعض الأحيان القيام بتضحيات، ولكنها كانت قليلة في العادة، وكان يتمكن دائماً من التغلب على العقبات الناتجة عنها. والآن، على الرغم أنه كان قد بدأ يفكر في أن بدل إقامته واعاشته يجب أن يحتسبا أيضاً كجزء من دخله ويجب أن يدفع عنهما عشوراً. ولكن كانت هناك مشكلة واحدة مرتبطة بذلك. فلو أعطى عشراً من بدل إقامته وإعاشته لعمل الله، لن يتبقى معه مبلغ كاف لينفق منه.

كان هناك صراع يعتمل في داخل هدسون من أجل ذلك الموضوع. ألم يمده الله ببيت رائع ليعيش فيه؟ إن الله بالطبع لم يكن يقصد أن يبلغ خالته وخاله بأنهما كانا يتقاضيان أكثر مما ينبغي وأن عليه أن يغادر البيت ليعيش في مكان آخر. في الواقع، كان المبلغ الذي يدفعه لخاله وخالة أكثر من عادل، خاصة عندما كان يأخذ في حسابه الطهي الرائع للخالة حنة والمساحة الكبيرة المخصصة له كحجرة نوم. كم يكون جاحداً لو أنه تركهما. وإلى أين يذهب، على أي حال؟ تصاعدت

الضغوط من جراء كل هذه المشاكل الملحة، مما جعل من الصلاة مهمة صعبة بالنسبة له.

وأخيراً، وبعد الصراع من جراء هذا الأمر لعدة أسابيع، اتخذ هدسون قراراً. لقد قرر أن الله يريده أن يدفع العشور نظير بدل إقامته وبدل إعاشته. ولذا فعليه أن يجد مكاناً أرخص ليعيش فيه. قام ببعض الحسابات ليكتشف مقدار الإيجار الشهري الذي يستطيع أن يتحمله نظير حجرة بعد دفع العشور.

وجد هدسون أن اختياراته قد أدت به لاستئجار حجرة في درين سايد [1]. وهو مكان ليس جذاباً واسمه ليس كذلك. في بعض الأحيان نجد اسم مكان مثل، شارع المحطة أو شارع الكنيسة، على سبيل المثال، ونتعجب كيف استمد اسمه، من حيث أنه لا توجد به محطة أو كنيسة، على الأقل لم يعد هناك شيء كهذا. ولكن ليس الحال هكذا بالنسبة لدرين سايد. في درين سايد، كان هناك مصرف حقيقي، وكان يستعمل بالفعل. كان الناس على كلا جانبي المصرف يستعملونه كمكان لقضاء الحاجة، وإلقاء القمامة، ومكان يلقى فيه الأثاث القديم وبعض المنقولات المنزلية المحطمة. في الأيام الحارة كانت الرائحة التي تتصاعد من المصرف غير محتملة!

---

[1] درين سايد معناها حرفيا منطقة الصرف الصحي (المترجم)

وقد تصادف أن المصرف يجري في محاذاة كوخ مسز فنش، التي كانت قد أعلنت عن تأجير حجرتها الأمامية. كانت مسز فنش امرأة مسيحية، تربي العديد من الأطفال على نفقتها الخاصة، بينما كان زوجها يعمل بحاراً. كان زوجها يرسل لها نقوداً حين كانت تتاح له الفرصة لذلك، ولكنها لم تكن كافية في يوم من الأيام، ولذا فقد أجرت حجرتها الأمامية للمساعدة في تدبير نفقات المعيشة. وقد انتقل هدسون للحجرة الأمامية لمسز فنش. كانت الحجرة تحتوي على أثاث بسيط مكون من سرير، وطاولة، وكرسي، ومدفأة.

ولم تكن وجبات الطعام تقدم له، ومع ذلك فبينما كان هدسون يرتب كتبه على قاعدة الشباك، كان متأكداً أن ذلك توجيه الله له. وحيث أنه لم يكن هناك سوى القليل من العلاقات الاجتماعية في كوخ مسز فنش، فقد شعر أنه يستطيع أن يصرف المزيد من الساعات في الصلاة، والمذاكرة استعداداً للامتحانات الطبية، وكتابة الخطابات لإميليا، ولوالديه، وبالطبع، لماريان، التي كان لا يزال يحبها كثيراً.

على الرغم من التغيير في الحي السكني، إلا أن الحياة كانت تبدو طيبة بالنسبة لهدسون. كان يشعر أن الله يقربه من الصين ومن المكان الذي كان ينوي الذهاب إليه.

كان هدسون يقرأ كتابه المقدس كل صباح وكل مساء. قرأ قصص الإيمان العظيمة المتضمنة في صفحاته، عن داود وجليات، ودانيال

في جـب الأسـود، وعن التلاميذ وهم يشفون المرضى. وعندما كان يقرأ هذه القصص، كان مقتنعاً أن الخادم الطائفي في موطنه في بارنزلي لم يكن على صواب. فالله حي وفعّال في سنة ١٨٥٢، كما كان في أيام الكتاب المقدس. ولكـن هدسـون تسـاءل، كـيف يمكن للشخص أن يتعلم حقاً أن يثق بالله ويسـمع صـوته في سـنة ١٨٥٢م، كما كان يحدث في أيام_الكتاب المقدس؟ لقـد عـرف أنـه بحاجـة لأن يتعـلم الوثـوق بالله بطريقة جديدة ويراه وهو يستجيب الصلوات قبل أن يتجاسر على الذهاب إلى الصين.

الفصل الخامس
انتظار يوم دفع الأجرة

كان الدكتور هاردي يدفع لهدسون أجرته وبدل الإقامة كل أربعة شهور. والآن، فإن أربعة شهور وقت طويل يمر بين كل موعد آخر لدفع الأجرة، وكان هدسون في بعض الأحيان يمر في ضائقة مالية بسبب ذلك، ولكنه لا يصل إلى حد الإفلاس قبل وصول موعد الدفع التالي للأجرة. كان يوماً بارداً في شهر فبراير، قبيل يوم الدفع التالي للأجرة بأسبوعين، وكان واحداً من تلك الأوقات التي كان هدسون يمر فيها بضائقة مالية.

ومع ذلك، فبعد تخطيط دقيق عرف كيف يتغلب على ذلك حتى دفع له الدكتور هاردي أجرته مرة أخرى. وكان يوم دفع الأجرة في فكر الدكتور هاردي أيضاً. وعندما غادر المكان في تلك الأمسية قال: "يا هدسون، أنت تعرف مقدار نسياني في بعض الأحيان! لا تدعني أنسى أن أدفع لك أجرتك عندما يحين موعدها".

لم يكن هدسون ضد تذكير الناس بالأشياء، ولكن عندما قال الدكتور هاردي ذلك، واتته فكرة غريبة. هل يمكن أن يكون ذلك أحد اختبارات الإيمان التي كان بحاجة إليها؟ هل كان الله يطلب زيادة

إيمانـه؟ وبـدلاً من تذكير الدكتور هاردي بموعد دفع الأجرة، هل كان الله يـريد مـن هدسـون أن يـثق بـأن الله سوف يمده بالمال الذي كان بحاجة إلـيه؟ بعـد قضـاء بعـض الوقت في الصلاة مصلياً لأجل ذلك، قرر هدسون أخـيراً أن الله كـان يطلب منه حقاً توسيع رقعة إيمانه واثقاً أن الله سوف يلـبي كل احتياجاته. ولذا فقد عقد اتفاقاً مع الله: إنه لن يطالب الدكتور هـاردي بأجـرته، انـه سـوف يـثق بأن الله سوف يلبي احتياجاته، مهما كانت الأمور.

مضت ثلاثة أسابيع، وكان هدسون يشعر بالإحباط. لم يحدث شـيء لقـد طلـب مـن الله مائـة مرة أن يذكّر الدكتور هاردي بدفع أجرته. فلماذا لا يفعل الله شيئاً؟ كانت ليلة السبت، وقد حان موعد دفع الإيجار في صباح اليوم التالي، وكان الدكتور هاردي قد تأخر في دفع الأجرة لمدة أسبوع. كـان المبلغ الوحيد الذي تبقى معه مجرد نصف كراون* ، ولم يكـن هذا يكفي لدفع الإيجار. متى يتدخل الله؟ وما الذي يمكن أن تقوله مسـز فنش إذا لم يستطع دفع الإيجار؟ هل كان أحمق عندما وعد الله أنه لـن يطالـب بالأجـر؟ عـلى أي حـال، فـإن الدكتور هاردي كان مديناً له بالمبلغ وسوف يسعده أن يدفعه له.

في صـباح يـوم الأحـد، اسـتيقظ هدسـون وهـو يشـعر أنه أكثر امـتلاء بالإيمـان. كـان يوم الرب، وقد تأكد أن ذلك هو اليوم الذي سوف

---

* قطعة نقد فضية بريطانية تساوي خمسة شلنات (المترجم)

يحصل فيه على نقوده. اقتسم بقية ما لديه من طعام إلى نصفين وأكل قسماً في الإفطار. ووضع النصف الآخر جانباً ليأكله في العشاء. ذهب إلى الكنيسة ماشياً، وهو يحملق في الأرض لئلا يكون قد سقطت بعض النقود من أحدهم يكون الله قد قصد أن يلتقطها هو. ولكن لم يكن هناك شيء، ولذا فقد انتظر مدة أطول بعد الكنيسة، على أمل أن يلقي أحدهم ببعض المال في جيبه، ولكن لم يفعل أحد ذلك. ولذا فبعد أن شعر بشيء من الإحباط مرة أخرى اتجه إلى درين سايد وإلى حجرته في كوخ مسز فلنش. كان قد أراد أن يزداد إيمانه وأن يثق بالله، ولكن الأمور على أي حال لم تكن تسير كما كان قد خطط لها.

وحتى يذهب هدسون إلى درين سايد من الكنيسة، كان عليه أن يمشي وسط أكثر مناطق "هل" تخلفاً في كل المناطق السكنية المجاورة. كانت مليئة بالمهاجرين الأيرلنديين الذين اكتشفوا أن حياتهم الجديدة في انجلترا كئيبة وفقيرة تماماً كالحياة التي تركوها وراء ظهرهم في أيرلندا. وعلى الرغم من شهرة تلك المناطق بأنها غير آمنة وأن رجال الشرطة لا يسافرون إلى هناك إلا في مجموعات مكونة من ستة أفراد أو أكثر، فإن هدسون لم يشعر بأدنى خوف.

كان معظم الناس قد تعرفوا عليه باعتباره الشاب الذي كان يساعد الدكتور هاردي. كان الناس هنا يحترمون الدكتور هاردي، ولذلك فلم يمسوا مساعده بأي سوء.

سار هدسون إلى ما يقرب من منتصف المسافة في المنطقة عندما جاءه رجل مسرعاً إليه وهذا الرجل لم يكن يعرفه. قبض هذا الرجل على هدسون من ذراعه وسحبه نحو زقاق قائلاً له: "هذه زوجتي إنها على وشك الموت، إني أعرف أنها سوف تموت"، ردد الرجل هذا الكلام متوسلاً بلهجة أيرلندية غير واضحة. أومأ هدسون رأسه بالموافقة. لابد أن الرجل قد رآه مع الدكتور هاردي. ومضى الرجل يقول: "أني أعلم أنك رجل الله، فمن فضلك تعال وصل لأجلها". اندهش هدسون. كان يبدو أن الرجل يريد الصلاة أكثر من الدواء لزوجته.

اتبع هدسون الرجل بسرعة، وهو يشق طريقه وسط أكوام القمامة. كان الأطفال الرضع يصرخون داخل المباني المكونة من ثلاثة طوابق والتي كانت تطل على جانبي الطريق. وكان الجالسون في خارج المنازل يلفت كل واحد منهم انتباه الآخر بدفعة رقيقة في مرفقه، وكان الأطفال يحدقون النظر على نواصي الحارات، إذ كان يدفعهم حب الاستطلاع لمعرفة البيت الذي كان يقصده هذا الغريب. فلم يكن شيئاً مألوفاً أن يتجاسر إنسان يرتدي أفخر الثياب على دخول حيهم السكني.

وإذ كان هدسون يتبع الرجل، وضع يده في جيبه وتحسس آخر نصف كراون كان معه. آه لو كان عبارة عن ثلاث عملات معدنية أصغر. لكنت أعطي الرجل بسرور ثلث ما معي. هكذا كان هدسون يفكر في سره. وإذ كان يخطو حول كومة من قشور ثمر الخضراوات التالفة

وقوالح الذرة، توقف ونظر إلى أعلى حيث كان الرجل يشير: "هناك أعلى. زوجتي هناك".

شق هدسون طريقه إلى أعلى درج السلم الحديدي. كانت الملابس الممزقة معلقة على طول درابزين السلم إلى أعلى. وعند قمة السلالم، تنفس هدسون الصعداء قبل فتح الباب. كانت الرائحة في الحجرة لا تطاق. وعلى كومة من الخرق البالية في أحد الأركان كانت هناك إمراة. تجمع حولها خمسة أطفال غائرو الوجنات وكانوا يحملقون فيها على نحو خال من التعبير. كان طفل صغير يرقد بلا حراك بجوار جسد المرأة الضعيف الشاحب اللون. كان لدى هدسون خبرة طبية كافية ليعرف بها أن الموت كان قريباً على الأبواب. من المرجح أن المرأة قد نزفت أثناء ميلاد طفل. كانت هناك امرأة عجوز تؤمن بالخرافات تدعو نفسها قابلة، وليس لديها فكرة عن كيفية إيقاف النزيف، كان من المرجح وجودها أثناء الولادة. وبدلاً من استدعاء طبيب، تركت المرأة تنزف، والآن كان الوقت قد تأخر جداً. رأى هدسون الكثير من الحالات الشبيهة بتلك أثناء تواجده مع الدكتور هاردي. وبدون وجود أم تقدم له الطعام، كان الطفل سيموت أيضاً. وكان هناك خمسة أطفال آخرون. ما الذي سوف يحدث لهم بدون أم؟ "صل. صل من فضلك". هكذا كان زوج المرأة يتوسل، وهو يدخل الحجرة مع هدسون.

فكـر هدسـون مرة أخرى في النصف كراون في جيبه. كان يقول بيـنه وبـين نفسـه إنـه لـو عمـل في المخبز أمس، لأصبح لديه عملة تعادل شـلناً واحـداً كان يمكنه أن يعطيه لهذا الرجل. أزال جريدة قديمة ليخلي مكاناً ليركع فيه بجوار المرأة.

كانـت الحجـرة صـامتة. حملق الأطفال في هدسون. أغلق زوج المـرأة عينـيه وأحـنى رأسـه. تحركـت زوجته ثم فقدت الوعي من جديد. شـعر هدسـون أنـه ينـبغي أن يقـول شـيئاً مواسـياً قـبل أن يصـلي. قـال هدسـون: "كـل واحـد منا بحاجـة لأن يصلي في قلبه، واثقاً أن الله سوف يستجيب لصلواتنا. الله أبونا، وهو يطلب منا أن نثق فيه، حتى وإن كنا لا نـرى بأعيننا الطبيعية كيف يمكن أن تتحسن الأمور. الله يطلب منا أن نستخدم عيني إيماننا. إنه يقول إنه لن يهملنا أو يتركنا".

أثـناء حديـثه، أصـبحت الحجـرة كمـا لـو كانـت قاعة كبرى يـتردد فـيها صـدى الصـوت. كل شيء فكر أن يقوله لهذا الرجل المسكين وعائلـته بـدا أنـه يرتد إليه بصوت أعلى خمس مرات من صوته. كان الله أباه أيضاً. فقد قال إنه لن يهمل أو يترك هدسون تايلور. إذن لماذا لا يريد هدسـون أن يسـتغني عـن نصـف الكـراون كلـه الـذي في جيبه؟ أليس من المسـتغرب أن يكـون مسـتعداً ليـثق بـالله كـي يعوله في نفس الوقت الذي يوجد فيه بعض المال في جيبه، ولكن ليس الحال هكذا إذا تخلى عن كل ما معه وأصبح فارغاً؟

نعم، لقد كان على استعداد لمشاركة هؤلاء الناس، ولكن الله لم يقصد بالتأكيد أن يحصلوا على كل ما معه من مال في الوقت الذي يصبح فيه معدماً!

مع تزاحم كل هذه الأسئلة في رأسه، أصبح هدسون مرتبكاً إلى الحد الذي توقف فيه عن الكلام. ولذا فقد بدأ يصلي. لقد توصل إلى قناعة بأن الصلاة أسهل من الكلام. بدأ يردد الصلاة الربانية متصوراً أن الرجل وأبناءه على دراية بها ويمكنهم أن يرددوها. بدأ يقول: "أبانا" "أنظر"، جاءه صوت يلح عليه من الداخل ("الله أبونا، كما أنه أبوهم وهو أبوك. انه أب يريد أن يعولك ويعولهم. هل تؤمن حقاً بذلك؟")

تلعثم هدسون وهو يردد الصلاة الربانية. "ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك.." ولكن الصوت المدوي داخله لم يتوقف. "أنت تطلب منهم أن يؤمنوا بأنهم أبنائي، ولكن هل تؤمن بأنك ابني؟ هل تؤمن أني سوف أعتني بك؟".

على الرغم من أن كلمات الصلاة الربانية كانت تنساب بصورة آلية من شفتي هدسون، إلا أن قلبه في الداخل كان مشوشاً. أخيراً استطاع أن ينهي الصلاة ويقف. نظر الرجل إلى زوجته وطفله ثم إلى هدسون. وقال له "يمكنك أن ترى مقدار الحالة المريعة التي نحن عليها. إذا كان بإمكانك أن تساعدنا، فافعل ذلك من أجل الله".

ومضت آيتان كتابيتان في عقل هدسون : "من سألك فأعطه" و "حيث كلمة الملك فهناك سلطان". عرف هدسون ما كان يجب عليه أن يفعله. وضع يده في جيبه وسحب نصف الكراون. سلم العملة إلى الرجل، شارحاً له وهو يفعل ذلك أن هذا المبلغ هو كل النقود التي بقيت لديه في الدنيا، ولكن الله أبوه وهو يعول كل أولاده. عندما أخذ الرجل العملة، غمر هدسون السلام والفرح. لقد تغير شيء ما في أعماقه. لم تعد الثقة بالله مجرد فكرة طيبة، كانت حقيقة جديدة في قلبه.

رنم هدسون ترنيمات طوال طريق العودة إلى درين سايد. كان يشعر أن قلبه خفيف كجيبه. عندما وصل إلى البيت، أكل آخر ما تبقى من الطعام، دون أن يفكر في المصدر الذي سوف يأتي منه الوجبة التالية.

باكراً في صباح اليوم التالي، سمع ساعي البريد يطرق على الباب الأمامي. لم يعره الكثير من الالتفات، لأن معظم ما يأتيه من بريد كان يصل حوالي نهاية الأسبوع. ولكن بعد ذلك بلحظة كانت هناك طرقة على بابه. فتح الباب، فوجد مسز فنش، التي كانت تمسح يديها في مئزرتها، تسلمه خطاباً. قال في نفسه، "كم غريب أن يصلني هذا الخطاب في يوم الاثنين" تساءل بينه وبين نفسه عن مصدره ودرس الكتابة على الظرف. لم يتعرف على كاتبه. ثم نظر إلى ختم البريد ليعرف المكان الذي صدر منه الخطاب، ولكنه كان مطموساً لا يقرأ. وأخيراً، فتح الخطاب، فسقط منه قفازان رجالي متقني الصنع. قلبهما، على أمل أن

يجد لافتة تدل على بيان مصدرهما، ولكنه لم يعثر على أي لافتة. ثم سقط شيء صغير من الظرف على الأرض. التقطه هدسون، مندهشاً عما يمكن أن يكون: نصف جنيه إنجليزي ذهبي يساوي عشرة شلنات إنجليزي، أكبر من نصف الكراون الذي تخلى عنه في الليلة الماضية بأربع مرات. قدم في الحال صلاة شكر لله لتلبية احتياجاته.

في سنة ١٨٥١، كان نصف الجنيه يمكن أن يظل مع شخص لفترة طويلة، وبنوع خاص مع شخص متقشف كهدسون تايلور. ولكن بعد أسبوعين، وجد نفسه تقريباً في نفس الموقف الذي كان فيه من قبل، دون أن يتبقى معه سوى نصف كراون في جيبه. مرة أخرى بدأ يطلب من الله أن يذكر الدكتور هاردي بأن أجره قد حان ميعاده منذ أمد طويل. بالطبع، كان يعرف أنه يمكن أن يحصل على المال في أي وقت يطالبه به، مع اعتذار من الدكتور هاردي للتأخير. ولكنه كان قد تعهد لله بأنه سوف يثق بأن الله سوف يذكر الطبيب، وأنه إذا تدخل وتصرف من تلقاء ذاته، فإنه يظهر بذلك عدم الإيمان. وإذا لم يثق بالله في هذا الأمر الصغير، فلن يكون بمقدوره أن يثق بالله في كل المغامرات التي سوف يتعرض لها بالتأكيد في الصين.

ولذا صلى هدسون وانتظر. جاء يوم الأربعاء ومضى، ثم الخميس والجمعة. وبحلول يوم السبت لم يكن معه بنس واحد، وقد حل موعد دفع الإيجار، دع عنك حقيقة أنه لم يتبق لديه شيء ليأكله. في تلك

الليلة عندما كان يغلي قدرا من الدواء وينهي واجباته اليومية، جلس الدكتور هاردي ليتحدث معه. وأثناء حديثهما، نظر الطبيب إلى هدسون نظرة تساؤل وقال له: "بالمناسبة، هل جاء موعد مرتبك ثانية؟".

ركز هدسون بشدة على قدر الدواء الذي يغلي والذي كان يحركه. محاولاً أن يجعل الطبيب يرى مقدار إثارته. وأخيراً أجاب بقدر كبير من التلقائية: "أعتقد أن موعده قد حل منذ فترة مضت".

قال الدكتور هاردي: "كنت أتمنى أن تذكرني. اني آسف. كنت مشغولاً وقد نسيت تماماً مرتبك. كنت أود أن أدفع لك فوراً، ولكني أرسلت كل النقود إلى البنك اليوم بعد الظهر. ولن يكون معي أي مبلغ نقدي حتى يوم الاثنين".

عاد هدسون بسرعة لمتابعة عمله في القدر الذي يغلي، ولكن في هذه المرة كان يحاول أن يخفي يأسه. في إحدى اللحظات كان متأكداً ان الله قد استجاب صلواته، وفي اللحظة التالية تحطمت آماله تماماً.

لحسن الحظ، ترك الدكتور هاردي عيادته الطبية متجهاً إلى البيت بعد ذلك بفترة وجيزة. لم يرد هدسون أن يرى الدكتور هاردي مقدار إحباطه. بمجرد أن غادر الطبيب العيادة، رفع هدسون قدر الدواء من على الموقد. وركع بجانب كرسي ليصلي. بدأت صلاته كصلاة مشحونة بالألم والمعاناة. ولكن بعد فترة وجيزة، بدأ يشعر بسلام داخلي. كان الله قد أمره بأن يثق ويصبر، وهذا ما كان عازماً على أن يفعله.

عندما أنهى هدسون كل واجباته، كانت الساعة قد بلغت العاشرة ليلاً. لبس معطفه وأعد نفسه للقيام برحلة العودة إلى حجرته في درين سايد سيراً على الأقدام في الجو البارد، كان عليه على الأقل ألا يضطر لمواجهة مسز فنش ليخبرها أنه لا يمتلك أي نقود لدفع الإيجار. ولحسن الحظ، فان مسز فنش كانت تذهب إلى الفراش مبكراً في ليالي السبت.

كان هدسون على وشك أن يمد يده لإطفاء نور مصباح الغاز عندما سمع شخصاً ما يضحك في الخارج. ثم اندفع الدكتور هاردي من خلال الباب وهو يقول: "يا له من شيء مضحك قد حدث لي. كنت استعد للذهاب إلى الفراش عندما سمعت طرقاً على الباب. كان الطارق هو مستر بريتشارد، واحد من أغنى أغنياء زبائني المرضى. كان يقف على عتبة باب بيتي يريد أن يدفع فاتورة حسابه". هز الدكتور هاردي رأسه واستمر يقول: "ما الذي يحدو بإنسان أن يدفع الحساب في الساعة العاشرة في ليلة السبت؟ ثم أنه لم يدفع الحساب عن طريق الشيك كما كان يفعل عادة، ولكنه أعطاني المبلغ نقداً بدلاً من ذلك".

مد الطبيب يده إلى دفتر الحسابات الجارية وسجل فيه المبلغ المدفوع. استمر يضحك في سره بخصوص زائر الليل وهو يمشي نحو الباب. وعندما هم بغلق الباب خلفه، تذكر شيئاً فقال: "على فكرة، يا تايلور، يمكنك أيضاً أن تأخذ هذه الأوراق المالية. سوف أعطيك ميزانية

راتبك الأسبوع القادم. وهناك شيء أخر، كنت أتابع حالة مريض في الجانب الآخر من المدينة منذ بضع أيام عندما جاءني رجل أيرلندي وقال لي إنه يقدم لك الشكر لأجل صلاتك، وأن زوجته قد شفيت تماماً" وبعد أن ذكر ذلك ناول هدسون لفافة أوراق مالية ثم مضى، وأغلق الباب خلفه.

وقف هدسون مذهولاً ومندهشاً. كانت الساعة العاشرة وعشر دقائق، وكان يمسك بيده مبلغاً كافياً لدفع الإيجار لمسز فلنش في الموعد المحدد ويشتري طعاماً للإفطار. وليس ذلك فقط، بل إن المرأة التي كان قد صلى لها قد شفيت شفاء عاجلاً. كان متأكداً إنها سوف تموت. ولكن الله استجاب صلاته. وقد عرف الآن، بغض النظر عن أي ظرف، أن لديه إيماناً يجعله يثق بالله برغم كل ما يمكن أن يلقاه في رحلته إلى الصين.

الفصل السادس

رجل ميت في لندن

"يـا تـايلور، مـا رأيـك في التدريـب لكـي تصبح ممتهناً لمهنة الطـب؟" سـأل الدكـتور هـاردي هدسون بعد أن عمل مساعداً له في هل لما يقرب من سنة.

فـتح هدسـون فمـه مندهشاً. كَـف عـن مزج الدواء الذي كان يعده واتجه للطبيب بنظرة يعلوها التساؤل.

قـال الطبيـب: "هـل سمعتني جيداً؟ أريدك أن تصبح تلميذي لتعـلم مهـنة الطـب. سـوف يعـني ذلك خمس سنوات من الدراسة الشاقة بالنسبة لك، ولكنني أعلم أنك تستطيع ذلك. لديك ما يؤهلك لتكون طبيباً ناجحاً".

"شـكراً يـا سـيدي" أجـاب هدسـون، وقـد أذهله العرض" إنه شرف كبير لي. عليَّ أن أصلي لأجل ذلك قبل أن أعطيك جواباً".

أومـأ الدكـتور هـاردي رأسـه بالموافقة، فلم يكن يتوقع أقل من ذلك. كان يعلم أن **هاردي يصلي لأجل كل شيء**.

كـان عرضـاً مغرياً. أحب هدسون فكرة أن يكون طبيباً حقيقياً ولـيس مجـرد مساعد طبيب. ولكن بقدر ما كان يفكر ويصلي لأجل ذلك،

ازداد اقتناعاً بأنه يجب أن يرفض العرض. وعلى الرغم أنه كان يرى امتياز أن يصبح طبيباً مؤهلاً، إلا انه كان يعرف أن بداخله رغبة مستعرة ليكون في الصين بأسرع ما يمكن. صحيح أنه كان بحاجة لمزيد من التدريب الطبي قبل سفره، ولكنه فكر أن بإمكانه الحصول على ذلك التدريب بسرعة أكبر بالذهاب إلى لندن. ولذا فقد قرر رفض عرض الدكتور هاردي والاستقالة من عمله كمساعد له.

تحدث أيضاً مع والديه بشأن قراره هذا. كان يعرف أن العرض فرصة رائعة، ولذا فقد اتفق على أن يعفي ابن خالة هدسون، جون. من العمل في الصيدلية حتى يستطيع أن يأتي إلى "هل" ويصبح المساعد الجديد للدكتور هاردي.

بعد أسبوع من إعلان استقالته كمساعد للدكتور هاردي، بدأت الأمور تستقيم بالنسبة لهدسون. فقد عرض العم بنيامين، الذي أقام هدسون وإميليا عنده في رحلتهما الأولى إلى لندن، على هدسون أن يقيم لديه لمدة أسبوع أو أسبوعين. ووافقت الرابطة الإنجيلية الصينية على أن تدفع لهدسون رسوم تعليمه الطبي في مستشفى لندن. ولما كانت الرابطة تأمل في الحصول على طبيب ليعمل في داخل الصين بأسرع ما يمكن، فقد كانت أكثر كرماً مع هدسون بأكثر مما كان يتخيل. فقد عرضت أن تدفع له الإيجار أيضاً. وفي نفس الوقت، فقد تطوع والد هدسون أن يعوله أثناء

إقامته في لندن: وبدلاً من عدم وجود أي مساعدة مالية، كان لدى هدسون الآن عروض من مصدرين!.

ولكن أي عرض يجب عليه أن يقبله؟ لم يكن يريد أن يتورط في المديونية للرابطة الإنجيلية الصينية خوفاً من عدم نجاح الأمور في الصين. وهو لم يكن متأكداً أيضاً إن كان يريد الارتباط بأكثر من اللازم مع منظمة واحدة لئلا يدعوه الله للقيام بأشياء خاصة به. ولكن قبول عرض أبيه، كان صعباً أيضاً. لم تكن الأمور تسير على ما يرام بالنسبة لأبيه من النواحي المالية، وقد كان هدسون يعلم أن العرض كان يمثل تضحية كبرى للعائلة.

وبينما كان يفكر بشأن قبول أي عرض من الاثنين، كتب لكل من والده والرابطة الإنجيلية الصينية، يعلم فيها كلا الطرفين عن رغبة الطرف الآخر في تقديم المساعدة له ويعد بأن يتخذ قراراً في القريب العاجل.

وبينما كان يصلي بشأن القرار الذي كان عليه أن يتخذه، زحفت إلى عقله فكرة غريبة. ما الذي يحدث لو أنه رفض كلا العرضين! يا لها من فكرة مثالية تعطيه قوة دفع أكبر في الإيمان. هل يستطيع الاعتماد على الله، وليس على والده أو الرابطة الإنجيلية الصينية، لتلبية احتياجاته؟ سوف يكون في مدينة جديدة حيث لم يكن يعرفه أحد. يا لها من فرصة ممتازة ليثق بأن الله سوف يسدد احتياجاته. وفي الحال،

شعر هدسون بأن ذلك هو ما كان الله يريده أن يفعل. التقط قلمه وكتب خطابين آخرين، الأول لأبيه والآخر للرابطة الإنجيلية الصينية، يشكرهما لعرضهما المساعدة ويخبرهما أنه لن يقبلها. وبينما كان يكتب، فكر أن كل طرف سوف يعتقد أنه قبل عرض الطرف الآخر. كان ذلك هو الصواب. إنه حر في أن يعتمد على الله وحده لتلبية احتياجاته دون اللجوء إلى الآخرين، وبنوع خاص أمه، التي كانت قلقة عليه.

بعد مرور أسبوعين، في أوائل سبتمبر سنة ١٨٥٢م، وقف في مقدمة باخرة ساحلية متجهة إلى لندن. وبينما كانت السفينة تشق طريقها بحذر وسط الضباب الكثيف الذي كان يغلف ضفاف نهر التيمس، لف معطفه حوله بشدة ليتقي البرد، والهواء الرطب. لم يكن يعلم ما ينتظره. ولقد تعاهد بينه وبين نفسه، بأن الشيء الوحيد المؤكد، أنه في المرة القادمة التي يضع فيها قدمه فوق ظهر سفينة، سوف تكون متجهة نحو الصين.

كان البيت الذي يقيم فيه حيث كان يعيش العم بنيامين، كان بيتا صغيرا ولكن مريح، وقد قضى هدسون أسبوعين ممتعين معه. وفي بيت آخر، على الناصية، كان ابن عمه توم يعيش في حجرة صغيرة فوق الطابق الثالث. دعا توم هدسون لينتقل ويشاركه حجرته. جر هدسون متعلقاته صاعدا بها فوق درجات السلم نحو حجرة توم. انخرط هدسون في برنامج دراسي عن الجراحة في أحد مستشفيات لندن في وايت تشابل، ومرة أخرى مضت حياته في روتين العمل والدراسة والصلاة والشركة، دع

عنك الوقت الذي كان يقضيه كل يوم في ممارسة الكتابة بالحروف الصينية.

استطاع هدسون أن يوفر قليلاً من المال أثناء إقامته في "هل"، وقد كان مصمماً على جعله يتزايد حتى يصل لأكبر قدر ممكن. ولكي يفعل ذلك، توصل إلى طعام يكلف القليل جداً من المال ولا يتركه يشعر بآلام الجوع. في سيره مشياً على الأقدام من مستشفي لندن، كان يتوقف عند مخبز ويشتري رغيفاً من الخبز البني اللون يكلفه بنسين. وكان يجعل الخباز يشق الرغيف إلى نصفين. كان نصف الرغيف عشاءه، وكان النصف الآخر إفطاراً له. بالطبع، كان يمكنه أن يشق الرغيف إلى نصفين بنفسه، ولكنه طلب من الخباز أن يفعل ذلك لأنه اعتقد أن جوعه قد يغريه بأن يقتطع جزءاً أكبر للعشاء، تاركاً قطعة أصغر مما ينبغي لسد رمقه في الإفطار. في الطريق إلى المستشفى في الصباح، كان يتوقف عند بائع فاكهة ويشتري تفاحتين لغذائه. وعندما كان يشعر بالعطش، يشرب الماء. عن طريق أكل التفاح والخبز وشرب الماء فقط، استطاع هدسون أن يعيش على ثلاثة بنسات في اليوم، بالإضافة إلى ما دفعه لقريبه لدفع نصف إيجار الحجرة.

ولكي يوفر لنفسه المزيد من المال، كان هدسون يمشي إلى كل مكان يريد الذهاب إليه. كان يمشي أربعة أميال إلى المستشفى في وايت تشابل ذهاباً وأربعة غيرها إياباً كل يوم. وكان يمشي إلى الكنيسة يوم

الأحد. وكان أيضاً يمشي أربعة أميال في مسار دائري إلى مكتب الشحن بالسفن مرة في الشهر. كان يذهب إلى مكتب الشحن لإسداء جميل لمسز فنش، صاحبة منز له السابق في "هل". كان زوج مسز فنش ضابط سفينة يعمل على خط بواخر شحن تعمل خارج لندن. وكان يحتفظ بنصف أجرته في المكتب لكي تقوم مسز فنش بتحصيلها. كان من الطبيعي أن ترسل النقود لمسز فنش في "هل"، ولكن كان يتم خصم مبلغ من المال نظير هذه الخدمة. ولذا فقد طلبت من هدسون إن كان بإمكانه الذهاب إلى مكتب الشحن ليقوم بتحصيل أجرة زوجها نيابة عنها ويرسلها إليها. بهذه الطريقة كان يمكنها توفير المبلغ الذي كانت تضطر لدفعه نظير خدمة إرساله بالبريد. كانت مسز فنش تعامل هدسون معاملة طيبة في "هل"، وكانت تعرف أنها كانت بحاجة إلى كل النقود التي كان بإمكانها الحصول عليها، ولذا فقد كان يسعده أن يسدي إليها هذا الجميل.

كان هدسون في لندن حوالي ثلاثة أشهر عندما وصله خطاب من مسز فنش يقول إنها كانت بحاجة للمال من أجرة زوجها فوراً لأنها كانت على وشك أن تتأخر في دفع إيجارها. كان هدسون مشغولاً في دراساته وقتئذ ولم يكن يعتقد أن بإمكانه توفير وقت للسير إلى مكتب الشحن لتحصيل المبلغ. دون تفكير كثير، قرر أن يرسل لمسز فنش آخر ما تبقى من ماله الخاص. كان يمكنه أن يذهب في وقت لاحق من الأسبوع

ويستلم أجرة زوجها ليحصل على مقدار ما دفعه من قبل. بهذه الطريقة يمكن لكليهما أن يسعدا: مسز فنش سوف تحصل على المال الذي كانت في حاجة ماسة إليه، وهدسون سوف لا يضطر للتخلي عن نصف يوم من الدراسة لكي يأتي لها بالنقود.

ولكن كانت هناك مشكلة متعلقة بهذا الحل. عندما ذهب هدسون أخيراً إلى مكتب الشحن ليحصل على أجرة مستر فنش، سمع خبراً سيئاً. يبدو أن مستر فنش قد ترك سفينته واتجه إلى مكان آخر بحثاً عن الثروة. وحيث أن مستر فنش لم يعد يعمل على ظهر السفينة، لم يكن هناك أجر يمكن تحصيله. ذهل هدسون وشرح للموظف في مكتب الشحن كيف انه قد دفع لمسز فنش آخر ما تبقى معه من ماله الخاص، وليس أمامه أي سبيل لاسترداد ما دفعه. تعاطف معه الموظف، بل إنه اعتذر من أجل سلوك مستر فنش. ولكنه أوضح لهدسون أن الناس كانت تترك سفنها وعائلاتها كل يوم، ولا يمكن عمل شيء إزاء ذلك.

استغرق هدسون بضع لحظات ليستوعب خطورة الموقف. لم يتبق لديه سوى عدد قليل من البنسات، ولن يكون بإمكانه أن يسترد المبلغ الذي أرسله لمسز فنش فقط، بل إنها لن تحصل على المزيد من المال من زوجها لدفع إيجارها والعناية بأطفالها.

ترك هدسون المكتب وبدأ يعود إلى البيت سيراً على الأقدام. كان من الطبيعي أن يشعر بالإنقباض بسبب هذا الخبر، ولكن أثناء

سيره، وجد نفسه يشعر بسعادة أكبر. عندما وصل إلى لندن، كانت نيته أن يثق بالله ليعطيه كل احتياجاته، ولكن كان لديه دائماً المال الذي كان قد وفره في "هل" ليعيش منه. كان لابد لمال هدسون أن ينفذ في النهاية، دون أن يترك له أي خيار آخر سوى الاعتماد على الله. ان مستر فنش وطموحاته في البحث عن الثراء قد عجلت بذلك اليوم. وبينما كان هدسون يصعد السلم إلى حجرته العلوية، كان يشعر بالإثارة بشأن ما يمكن أن يحدث بعد ذلك. كيف يمكن لله أن يلبي احتياجاته؟

في تلك الليلة واصل هدسون دراساته. كان عليه أن يتوقف لبضع دقائق ليعمل لنفسه كراسة جديدة. كان أرخص بالنسبة له أن يعمل كراسته الخاصة من أن يشتري كراسة جاهزة من البائع. ولكي يعمل الكراسة، كان يأخذ كومة من الورق الأبيض ويحيك الأوراق معاً. وبينما كان ينهي الغرزة الأخيرة، اخترقت الإبرة الورق ووخزته في الإصبع. لم يكن هناك دم، وبعد دقيقة نسى هدسون كل ما يتعلق بالوخزة. وظل الحال هكذا حتى اليوم التالي.

كان الوقت ظهراً وكان هدسون يجلس أثناء المحاضرة عندما ابتدأ يشعر بالدوار. بدأت الحجرة تدور من حوله، ولم يستطع أن يركز على ما يقوله المحاضر. عثر هدسون في الخارج على الهواء النقي وشرب جرعة ماء. شعر بانتعاش، ولذا فقد رجع إلى قاعة المحاضرات. اعتقد أنه قد أرهق نفسه في اليوم الماضي عندما مشى إلى مكتب الشحن وظل

يستذكر إلى وقت متأخر من الليل. عندما عاد إلى المحاضرة بدأ يشعر بأنه أكثر ضعفاً، حتى أصبح أضعف من أن يمسك بالقلم الذي كان يدون به المذكرات. من الواضح، أنه لم يرهق أصابعه في سيره على الأقدام إلى مكتب الشحن أو في سهره إلى وقت متأخر للاستذكار! كان هناك شيء آخر به خلل.

بعد المحاضرة، أخذ يجرجر نفسه عودة إلى حجرة العمليات الجراحية، حيث كان في وقت سابق في ذلك اليوم يقوم هو ونفر من زملائه بتشريح جثة رجل مات بسبب حمى مميتة. كان يعلم أن عليه أن يساعد الطلبة الآخرين في تنظيف الحجرة، ولكن كل ما استطاع أن يفعله أن يلقي بنفسه فوق أقرب كرسي.

قال للجراح المسئول عن التشريح: "لا أعلم ماذا دهاني" ثم وصف الأعراض التي انتابته.

اصفر وجه الجراح، وبعد أن أزال ما علق بحنجرته عدة مرات قبل أن يتكلم، قال أخيراً: "ما حدث لك واضح بما فيه الكفاية. لابد أنك جرحت نفسك أثناء تشريح الجثة وأصبت نفسك بعدوى حمى مميتة"

هز هدسون رأسه تعبيراً عن عدم الموافقة ثم قال: "لا يمكن أن يكون الأمر هكذا. فلو جرحت نفسي بالمشرط لعرفت ذلك، وأنا متأكداً أني لم افعل ذلك. ها أنظر إلى يديّ"

عندما رفع هدسون يديه مسلماً إياها إلى الجراح ليتفحصها، واتته فكرة. "لا يمكن أن يكون ما حدث بسبب وخز إبرة تعرضت لها أثناء حياكتي لكراسة، الليلة الماضية، هل يمكن أن يكون الأمر كذلك؟"

فكر الجراح للحظة ثم قال: "إن دخول العدوى لا يتطلب فتحة كبرى" تقدم الجراح إلى الأمام ووضع يده على كتف هدسون. ثم، خفض صوته ونظر مباشرة إلى عيني هدسون الزرقاوتين قائلاً له: "عليك أن تحضر عربة لتذهب بها إلى المنزل بأسرع ما يمكن وعليك أن ترتب أمورك، لأنك مائت لا محالة!"

لم يصدق هدسون ما سمعه للتو واللحظة. لم يكن هدسون يشك في تشخيص الجراح، أو أنه اعتقد أن الناس كان يكتب لها الحياة بعد إصابتها بحمى مميتة، فهذا ما لم يكن يحدث عادة. ما لم يستطع هدسون أن يصدقه أنه لن يستطيع الذهاب إلى الصين بعد كل ذلك. قال هدسون للجراح: "لست خائفاً من الموت. في الواقع، إني أتطلع بشوق لمقابلة خالقي. ولكن ما لم أكن مخطئاً، فأنا لا أستطيع أن أموت لأن الله قد دعاني إلى الصين، وأنا لم أذهب بعد إلى هناك. قد أصاب بمرض خطير، ولكنني أشك أني سوف أموت"

دهش الجراح، ثم قال: "هذا وقت طيب بالنسبة لك حين تجادلني فيما يختص بالسبب الذي يجعلك تعتقد أنك لا يصح أن تموت.

اقبل ما لا يمكن تجنبه. عد إلى البيت بأسرع ما يمكن، وإلا فانك لن تذهب إلى البيت على الإطلاق".

ذهب هدسون بالفعل إلى البيت. حاول أولاً أن يمشي، ولكنه كان ضعيفاً جداً، ولذا فقد دفع آخر بنس معه ليركب عربة تجرها الجياد. بينما كانت العربة تصدر أصواتاً وهى تجري على طول الشوارع الحجرية غير المستوية، كان على هدسون أن يركز بشدة حتى يظل يقظاً. فإذا راح في النوم، ربما تجاوز المكان الذي كان ذاهباً إليه. وأخيراً وقفت العربة بجوار البيت الذي كان يقيم فيه، حيث ألقى هدسون بنفسه من العربة.

قابلته الخادمة عند الباب وطلب منها أن تحضر له بعض الماء الساخن. بدأ يصعد درجات السلالم حتى الطابق الثالث متجهاً إلى غرفته. كان يزحف عندما وصل إلى القمة. كان قد تبقى لديه القدر القليل من القوة لكي يمد يده ويحرك مقبض الباب. زحف إلى داخل الحجرة، وسرعان ما تبعته الخادمة ومعها وعاء من الماء الساخن وضعته على الأرض بجواره. وضع هدسون يده في طبق الماء. بعد أن غمره في الماء لمدة دقيقة أو اثنتين، أخرج مشرطاً من جيب سترته، وصر على أسنانه، وشق الاصبع الذي كان قد وخزه الليلة الماضية بالمشرط. امتد ألم شديد في كل ذراعه. ألقى بالمشرط وبدأ يعصر الجرح الذي أحدثه في إصبعه بأقوى ما يمكنه، على أمل أن يخرج كل أثر للحمى الميتة. انبثق الدم، وعندما

حدث ذلك، استرخت قبضة هدسون، وسقط إلى الخلف، وغاب عن الوعي.

ما عرفه هدسون بعد ذلك، إنه نقل إلى سريره وقد أيقظه العم بنيامين. عندما استعاد هدسون الوعي، أخبره العم بنيامين أنه قد استدعى طبيبه الخاص، وسرعان ما كان يقف أفضل الأطباء في لندن بجوار السرير. فحص الطبيب هدسون من رأسه حتى أخمص قدمه فأكد التشخيص القائل بأنها حمى مميتة. كان لدى الطبيب كلمة أمل وحيدة لكي يقدمها لهدسون. قال له: "لو كنت تعيش باعتدال، ولا تشرب البيرة في وقت متأخر بالليل، قد يمكنك أن تجتاز هذه المرحلة الخطرة بسلام. أما إذا كنت تفرط في الشراب وإقامة حفلات السمر، فلا أرى أي أمل لك".

كان يود هدسون أن يضحك لو أن ضلوعه لم تكن تؤلمه. ثم همس في أذن الطبيب بابتسامة قائلاً: "إذا كان الأمر يتعلق بالاعتدال وضبط النفس، فلدى فرصة أكثر من أي شخص آخر أعرفه".

نصحه الطبيب قائلاً: "سوف تكون أمامك معركة شرسة. سوف تغيب عن الوعي وتعود إلى وعيك كثيراً من المرات، وإذا استرددت عافيتك، سوف تكون قد مضت عدة شهور قبل أن ترجع كما كنت. إنك بحاجة للاحتفاظ بقوتك وأن تشرب النبيذ البرتغالي، وأن تأكل أكبر عدد ممكن من شرائح لحم البقر".

حاول هدسون أن يركز، ولكن كلمات الطبيب اختفت بمجرد أن فقد الوعي. قضى عدة أيام وهو يعود للوعي ويغيب عنه. تبادل العم بنيامين وتوم الأدوار في العناية به وإطعامه الخمر وشرائح اللحم التي أمر بها الطبيب. كان الطبيب يأتي كل يوم ليعطيه عقاراً لمساعدته على مقاومة الحمى. كان هدسون في تلك المنطقة الواقعة بين الحياة والموت لعدة أيام. وأخيراً بدا أنه يقلب صفحة جديدة ويبدأ في التحسن. لم يمض وقت طويل حتى كان يجلس في الفراش، ويستقبل الزوار. في إحدى الزيارات، أخبره زميله كيف أن طالبين من مستشفى مجاور قد جرحا أنفسهما مصادفة أثناء تشريح لجثة، وقد مات كلاهما. اقشعر هدسون. حقاً إن الله قد أنقذ حياته حتى يمكنه الذهاب إلى الصين.

بعد أيام قلائل شعر هدسون بتحسن بالدرجة الكافية التي تجعله يهبط درجات السلم. ساعده توم، وقد شقا طريقهما ببطء نحو الردهة اسفل الدرج. سقط هدسون على الأريكة، منهكاً من شدة المجهود. ولكن كم شعر بسرور أن يخرج من حجرة نومه. عندما وصل الطبيب ليفحصه، ذهل أن يجد هدسون في الطابق السفلي في الردهة. شعر الطبيب بالقلق لأجل هدسون لصعوبة صعوده السلم مرة أخرى. بعد أن فحص الطبيب مريضه وسأله عدة أسئلة قليلة، اقترح على هدسون أن يذهب إلى الريف بمجرد أن تسمح صحته بذلك. فالهواء النقي والطعام الصحي سوف يفيدانه كثيراً.

فكر هدسون في نصيحة الطبيب قليلاً. من الجيد أن يذهب إلى بلدتـه. وقد بدا لأول وهلة، أن فكرة أمه وهى تمطره بعنايتها كانت فكرة رائعـة. ولكن كان هناك موضوع المال. فلم يكن لديه ما يكفيه لأجل رحلة القطار إلى بارنزلي. وإذا انفق أي مبلغ من المال، فلا شك أنه سوف يتجه نحو مكافأة الطبيب في مقابل كل ما بذله من عناية به.

بـدأ هدسـون يصلي لأجل موقفه. وهو وحده في الردهة. وبينما كـان يصـلي، ظل يشعر أنه يجب أن يعود إلى مكتب الشحن مرة أخرى. كـان هـناك هـاجس بداخلـه يوحـي له بأن تلك الفكرة مجنونة، كالقبض عـلى الأوهام. ولكن كان هناك هاجس أخر يوحي له بأن الله كان يوجهـه ليذهـب إلى هـناك. بعد ما يقرب من ساعة، توصل إلى قرار راسخ بان الله كـان يقـوده بـالفعل ليذهـب إلى هناك. ولكن متى ينبغي عليه أن يذهب؟ كان هذا هو السؤال.كان يرقد في الفراش في حالة من الضعف والإعياء عدة أيـام. لقـد نفـذت كـل طاقـته في نـزول السلالم إلى قاعة الاستقبال، وكان تنـتابه الشـكوك بشأن قدرته على صعود السلم مرة أخرى. من الواضح انه كـان يلـزمه بعـض الوقـت قـبل أن يتمكن من الذهاب إلى مكتب الشحن. كـان هناك ذلك الصوت الضعيف، الذي يذكره بأن الله يقول إن كل شيء مسـتطاع لـلمؤمن. هكـذا آمـن هدسون، ولذا فقد قال لله إنه على استعداد لذهـاب الميل الثاني مشياً على الأقدام إلى المكتب إذا أعطاه الله القوة على عمـل ذلـك. عـندما انـتهى من التحدث مع الله بهذا الكلام، وعلى الرغم

من أنه كان لا يزال مريضاً، غمره سلام عجيب. طلب من الخادمة أن تحضر له قبعته وعصا المشي من الدور العلوي. وعندما رجعت، كان هدسون يقف عند الباب الأمامي، على استعداد للمشي إلى مكتب الشحن.

قرر هدسون أن يمشي الهوينا. تخطى واجهتي حانوتين وتوقف عند الواجهة الثالثة ليلتقط أنفاسه. وعندما وصل إلى "تل"، سمح لنفسه أن يتوقف عند كل واجهة متجر. بهذه الطريقة، استطاع أن يشق طريقه في خط متعرج وسط شوارع لندن. وبينما كان يمشي ويتعثر، كان يتساءل عن قصد الله من هذه الرحلة. وأخيراً، جلس متثاقلاً على درجات السلم الأمامية للمبنى الذي كان يضم مكتب الشحن. كان رجال الأعمال يصعدون السلم حو له وهو يجلس لاهثاً منتظراً أن تعاوده قوته لصعود السلالم إلى المكتب في الطابق الثاني.

أخيراً استجمع هدسون قوته وصعد السلالم ودخل مكتب الشحن. علت نظرة ارتياح وجه الموظف عندما دخل هدسون وألقى بنفسه على أقرب كرسي، فقال له: "إني مسرور أن أراك ثانية يا سيدي. لم أكن أعلم كيف أتصل بك. لدى بعض الأخبار السارة. كان هناك شخصان يحملان اسم مستر فنش على نفس المركب، وقد كان الشخص الآخر، وليس مستر فنش الذي تعرفه، هو الذي ترك المركب وذهب ليبحث عن الثروة في مكان آخر. كان الموضوع كله مربكاً وأني جد آسف. هاك النقود التي ندين بها لك". سلم إلى هدسون مظروفاً مليئاً بالنقود.

مضى الموظف يسأل هدسون عن صحته، ثم أصر على أن يبقى ويشاركه طعام الغذاء قبل العودة إلى المنزل، راكباً عربة، بالطبع.

في اليوم التالي ذهب هدسون ليدفع أجر الطبيب، ولكن لأن هدسون يعمل بنفس المهنة، رفض الطبيب تناول الأجر. ولكن هدسون أصر على الأقل أن يدفع ثمن العقاقير. قبل الطبيب المبلغ، ثم أخبر هدسون أنه ليس قوياً بالدرجة الكافية حتى يمكنه أن يمشي إلى هنا وهناك. أخبره هدسون قصة ذهابه إلى مكتب الشحن في اليوم السابق. فقاطعه الطبيب قائلاً "مستحيل، لقد تركتك في الردهة أقرب ما تكون إلى الشبح منه إلى الإنسان". فأكد هدسون للطبيب مراراً وتكراراً أنه بمعونة الله استطاع بالفعل أن يمشي كل تلك المسافة. قبل أن يترك الطبيب حجرة العمليات. كانت الدموع تنساب من عينيه بالفعل. قال الطبيب وهو يسلم على هدسون: "إني على استعداد أن أضحي بالعالم كله ليكون لي إيمان مثل إيمانك" أجابه هدسون وهو يهم بالرحيل: "يمكن أن يكون لك مثل هذا الإيمان، فهو هبة مجانية لكل من يطلب".

قد تبقى لدى هدسون قدر كاف من المال بعد أن دفع للطبيب، بما يمكنه من أن يشتري تذكرة القطار إلى بارنزلي ويحصل على بعض الطعام ليأكله في الطريق، ويستأجر عربة لتأخذه إلى منزل والديه عندما يصل إلى هناك.

على أي حال، كان يبدو أن الله يتحكم في كل شيء.

الفصل السابع

هل كان يجب أن تبقى في إنجلترا ؟

تقدم هدسون نحو الشفاء بسرعة في بارنزلي. كان المنزل دافئاً، والطعام صحياً، وكانت أمه تفرط في رعايته والعناية به على الدوام، خاصة بعد أن اكتشفت عادات الأكل التي كان يتبعها في لندن. كانت إميليا وماريان أيضاً زائرتين تترددان كثيراً على البيت، وقد أبهجه ضحكهما وحواراتهما. وفي إحدى هذه الزيارات، استجمع هدسون أخيراً شجاعته وطلب من ماريان أن تتزوجه. وقد فرح كثيراً عندما وافقت وأعلن أبوها موافقته أيضاً. سوف تصبح ماريان رفيقته في الصين على أي حال!

بعد عدة أسابيع في البيت، تلقى هدسون خبراً بأن ابن عمه توم، في لندن، قد أصيب بمرض الحمى الروماتزمية. وحيث أن توم كان قد اعتنى به عندما كان مريضاً بحمى مميتة ، فكر هدسون بأن الوقت قد حان لرد الجميل. ولذا فقد سافر إلى لندن مرة أخرى.

وبينما كان يسهر الليالي للعناية بتوم، كان يصلي على الدوام طالباً من الله أن يدبر طريقة لمساعدته في الوصول إلى الصين بأسرع ما يمكن. بينما كان هدسون يقف بجوار سرير توم، كانت تحدث في الصين

أمور مجهولة بالنسبة لهدسون. منذ سنة ١٦٤٤، كانت الصين يحكمها إمبراطور وولاة مانشوريون* من شمال شرق الصين. كان الإمبراطور المانشوري وأفراد حكومته يطلق عليهم لقب أسرة كنج. ولكن على الرغم من أن الناس في خارج الصين كانوا يعتقدون أن كل الناس في الصين من جنس واحد، إلا ان الشعب الصيني اعتبر المانشوريين أجانب دخلاء على الصين. بالطبع، لم يكن هذا يقلق أسرة كنج. فقد كانوا يحكمون الصين لمدد طويلة جداً، وكان لديهم قوات أكثر من كافية لحفظ النظام. أو هكذا اعتقدوا. في وسط الصين، على بعد مسافة كبيرة من بكين، عاصمة أسرة كنج، كان التمرد قد بدأ، وكان يزداد يوماً بعد يوم. عُرِفَ التمرد باسم عصيان تيبنج. والذين كانوا يقاتلون وفقاً لهذا التمرد كانوا يفعلون ذلك للإطاحة بأسرة كنج. وسرعان ما سيطر متمردو "التيبنج" على أجزاء كبيرة من وسط الصين، بما في ذلك العاصمة القديمة "نانكينج". ولكن ما كان أكثر أهمية بالنسبة للأوروبيين من مدى اتساع رقعة الإقليم الذي سيطر عليه متمردو "التيبنج" كان اعتقاد قادة التمرد بشأن البيض. فعلى الرغم أنهم كانوا يريدون أن يوقف الإنجليز إدخال الأفيون إلى الصين، إلا أنهم اعتقدوا ان البيض ليسوا "برابرة"، كما كان يفعل السواد الأعظم من الشعب الصيني. لقد اعتقدوا بدلاً من ذلك أن كل البشر إخوة، وأنه بدلاً

* نسبة لشعب منشوريا المنغولي الذي غزا الصين وأسس فيها سلالة حاكمة عام ١٦٤٤ (المحرر ـ نقلا عن قاموس المورد)

من إبعاد البيض عن قلب الصين يجب أن يسمح لهم بالذهاب إلى حيث يريدون وأن يلتقوا بمن يرغبون.

وصلت أخبار التمرد ببطء إلى إنجلترا، وقرأ هدسون عنه لأول مرة في مجلة الـ (جلينر) لسان حال الرابطة الإنجيلية الصينية، شعر هدسون بالإثارة لما قرأه، ولكنه كان منهمكاً أيضاً. وبينما كان يعتني بـ توم، نضبت موارد هدسون المالية مرة أخرى. ولكن في هذه المرة شعر أن الله كانت لديه خطة مختلفة لتلبية احتياجاته عن ذي قبل. ولا شك انه عندما صلي هدسون بخصوص الموقف، عرض عليه الدكتور براون من منطقة "بيشوبزجيت" في لندن وظيفة كمساعد له، وليس ذلك فقط، ولكن الدكتور براون عرض أيضاً التوفيق بين ساعات عمل هدسون في وظيفته الجديدة ودراساته الطبية في مستشفى لندن.

قبل هدسون المركز بشغف، ومنذ أن صار توم في حالة صحية جيدة بما فيه الكفاية، انتقل للإقامة مع الدكتور براون وزوجته. وسرعان ما تكدست أيام هدسون بالعمل المتواصل. فبعد حضور المحاضرات في المستشفى من الثامنة صباحاً حتى الثالثة بعد الظهر، كان يعود إلى "بيشوبزجيت" حيث كان يساعد الدكتور براون في توزيع الأدوية، وزيارة المرضى، وإمساك حسابات الطبيب. وعندما كان ينتهي هدسون من مساعدة الدكتور براون في المساء، كان يصلي ويدرس الكتاب المقدس، ويستغرق في قراءة كتبه الطبية، ويمارس كتابه الحروف الصينية حتى

وقت متأخر في المساء. كانت الأيام طويلة، ولكن الأطعمة التي كانت تعدها زوجة الدكتور براون كان يبدو أنها تعطي هدسون الطاقة اللازمة لمواصلة الكفاح.

كانت ماريان تقوم برحلات إلى لندن لزيارة هدسون، ولكن مع كل رحلة، لم يستطع هدسون أن يتجنب ملاحظة أن ماريان لم تكن تبدو عليها مشاركة. كانت دائماً تتعلل بسبب يدعوها لعدم القدرة على مواصلة البقاء لمدة أطول وأخيراً، وبعد عدة أسابيع، واجهها بشأن ذلك، فاعترفت أنها لم تكن تحبه، ولكن أمها كانت مريضة جداً، وأن والدها لم يعط موافقته أبداً على خطبتهما. أصيب هدسون بالصدمة من جراء هذا الكلام: فوالدها قد أذن لها شخصياً بالزواج.

وفي الحال، كتب إلى مستر فون (والد ماريان) لوضع الأمور في نصابها الصحيح. استجاب مستر فون بصراحة، ولكن ليس كما كان يريد هدسون أو يتوقع. كان خطابه كالتالي: "لو أنك بقيت في إنجلترا، فليس هناك شيء يمكن أن يعطيني سروراً أكبر من أن أراك تتزوج ماريان زواجاً سعيداً. ولكن على الرغم من أنني لا أمانع في ارتباطكما، إلا أني أشعر أني لا يمكن أن أتخلى عنها بإرادتي، أو أفكر في مجرد أن تترك هذا البلد"

شعر هدسون أولاً بالغضب من مستر فون. لماذا وافق على الزواج في المقام الأول؟ لماذا لم يقل ما كان يشعر به حقاً منذ البداية؟ ولكن

كـلما فكـر في ذلـك ، إزداد تعاطفـه مـع حقـيقة مشـاعر مسـتر فـون. أدار هدسون حواراً وهمياً في ذهنه مع مستر فون. ومضى الحوار هكذا :

مستر فون : "أين سوف تعيش بعد أن تتزوج؟"

هدسون : "في الصين"

مسـتر فـون : "في أي جـزء مـن الصـين؟ عـلى أي حـال فالصين بلد كبير جداً".

هدسون : "لا أعرف بعد، لم يرني الله بعد. ولكني اعتقد أن ذلك سوف يكون في أواسط الصين، في مكان ما لم يسبق للاجانب أن عاشوا فيه"

مستر فون : "أي دعم سوف تلقاه؟"

هدسون : "الرابطة الإنجيلية الصينية قد ترسلني، ولكني لم أقرر تماماً أن أقبل عرضها، ثم إن الرابطة ليست مستقرة مادياً. بالاختصار، سوف لا نذهب ومعنا شيء سوى ما يمدنا به الله".

مستر فون : "كم مرة سوف تحضر ماريان لتزور عائلتها؟"

هدسون : "لا أستطيع أن أعدك بأنك سوف تراها مرة أخرى".

عندما فكر هدسون في الأمور بهذه الطريقة ، كان من السهل أن يـدرك لمـاذا لم يكـن مسـتر فون على استعداد لقبول زواجهما. ولكنه كان يحـب مـاريـان. كـان مقتـنعاً أنها سوف تكون زوجة رائعة. بالطبع ، كان يمكـنه ألا يذهـب إلى الصـين. كانـت ماريـان تخـبره دائما أن بإمكانه أن

يساعد أناساً كثيرين في وطنه انجلترا كطبيب. ومع ذلك فعلى الرغم من حبه الكبير لماريان، كان يحب الله أكثر، وقد دعاه الله إلى الصين، سواء بزوجة أم من غير زوجة. لم يتبق أمامه شيء يمكن أن يفعله سوى أن ينهي هذا الارتباط.

مع أنه كان مكتئباً بسبب عدم الارتباط بماريان، إلا أنه كان يجد إثارة بسبب قصص تمرد "التيبنج" الذي استمرت أخباره تصدر في الـ (جلينر)[1]. كان هناك تفاؤل كبير بين الكنائس والجمعيات المرسلية بأن يكون ذلك هو الثغرة التي كانت تبحث عنها، الثغرة التي سوف تسمح للمرسلين بالدخول إلى قلب الصين إلى الأبد. وإذا كان هدسون مشغولاً بالأحداث التي تجري في الصين، فقد اكتشف أنه من الصعب عليه أن يركز في دراساته الطبية.

في ذلك الوقت خطرت على باله فكرة هامة. صحيح أنه كان يحب الطب وأن يكون طبيباً، ولكن المعرفة الطبية لم تكن ببساطة سوى أداة. كان مدعوا ليكون مبشراً بالإنجيل، فإذا ساعده تدريبه الطبي ليكون مبشراً بكفاءة أكبر، فمرحباً به. ولكن كان هناك شيء مؤكد، فقد كان يعرف أنه لم يدع إلى الصين لمجرد أن يقيم مستشفى في أحد موانئ المعاهدة. لقد دعى ليبشر في قلب الصين. والآن كان يبدو أن تمرد التيبنج يتيح فرصة رائعة للوصول أخيراً إلى المكان الذي كان يعرف أنه مدعو

---

[1] مجلة الرابطة الإنجيلية الصينية (المترجم)

إليه، إلى عمق قلب الصين نفسها. إذن فلماذا يواصل تدريبه الطبي في حين أنه كان يعده للإلمام بشيء كان يعلم أن الله لم يدعه للإلمام به؟ كلا، لقد حان الوقت ليكون في طريقه للصين.

في نفس الوقت الذي كانت فيه تلك الأفكار تراود هدسون، قررت الرابطة الإنجيلية الصينية أن الفرصة الحالية في الصين كانت مواتية لدرجة أنه لا يصح تركها تضيع هباء. قررت الرابطة إرسال مرسلين إلى هناك فوراً. وعندما اكتشفت الرابطة أن هدسون تايلور كان متاحاً، قررت أن يكون أول من يذهب. كانت الرابطة الإنجيلية الصينية على استعداد لأن تدفع تكاليف رحلته إلى الصين وأن ترسل له نقوداً كل شهر لمواجهة نفقاته المعيشية. كان من المقرر أن يذهب أولاً إلى شنغهاى وينتظر هناك حتى تتاح له الفرص للانتقال إلى مكان أبعد داخل الصين.

كان هدسون مسروراً. لقد حجزت له الرابطة الإنجيلية الصينية الرحلة إلى الصين على ظهر الباخرة الدمفرايز، وهي سفينة شراعية ذات صاريين، كانت ستغادر ليفربول في ١٩ سبتمبر متجهة إلى شنغهاى. انطلق هدسون بسرعة وأخذ يجمع الإمدادات التي كان بحاجة إليها ليأخذها معه. وأخيراً، وقبل اليوم الذي كان مقرراً فيه أن تقلع الدمفرايز بعدة أيام، وصل هدسون إلى ليفربول، حيث كانت عائلته تنتظره. وقد انضم إليها مستر بيرس من الرابطة الإنجيلية الصينية، كما فعلت أيضاً الخالة حنة. قضوا جميعاً عدة أيام رائعة معاً.

وأخـيراً حـل موعـد قـيام السفينة وهو ١٩ سبتمبر سنة ١٨٥٣ كـان طـاقم الـبحارة يرتبون آخر ما تبقى من الحمولة عندما وصل هدسون إلى رصيف الميـناء. وصـل هدسـون إلى ظهر السفينة وأراه مضيف السفينة قمـرته في مؤخـرة السـفينة. كانت القمرة قد أعيد طلاؤها من جديد تكريماً للراكـب الوحـيد عـلى ظهـر المركـب. اصطحبته إلى قمرته عائلته، ومستر بـيرس، والخـادم المحلـي، حيـث صـلوا جمـيعاً وقـرأوا أجـزاء مـن سفر المـزامير سوياً. وأخيراً، كان عليهم أن يغادروا السفينة، حيث كانت على وشك الإقلاع. احتضن هدسون أمه للمرة الأخيرة، وعندما عادت بأمان إلى رصـيف الميـناء، تم إطـلاق حـبال المراسـي وانزلقت الدمفرايز خارجة من رصـيف الميـناء مـتجهة إلى نهـر مِرسـي. اصدر القبطان موريس الأمر بفرد الأشرعة، وبمجرد أن ملأتها الريح، بدأت السفينة رحلة الثلاثة أميال في نهـر مرسي متجهة نحو بحر ايرلندا. لوح هدسون بكل قوته لأفراد عائلته عـلى رصيف الميناء، وبمجرد أن غابوا عن الأنظار، تسلق أشرعة السفينة وصواريها على أمل أن يلقي النظرة الأخيرة. كان في الواحدة والعشرين من العمر وفي طريقه إلى الصين أخيراً.

بعـد أربعـة أيام من ترك ليفربول، هبت على الدمفرايز عاصفة عنـيفة كـادت تقضـي عـلى الدمفرايـز. وعلى بحارتها على صخور شاطئ ويلز. استطاع القبطان موريس وبحارته إصلاح كل التلف الذي أصيبت به السفينة من جراء العاصفة بعد أسبوعين. أصيب بعض البحارة في العاصفة

واستطاع هدسون أن يداوي جراحهم وأخيراً، وبعد إصلاح العطب، استطاعت السفينة أن تعود بكل أشرعتها عندما اتجهت صوب الساحل الغربي لأفريقيا.

بعد أن مضت إثارة العاصفة في بحر أيرلندا، أصبحت الرحلة مملة. في وقت عيد الميلاد، بعد ترك ليفربول بثلاثة اشهر، وصلت السفينة أقصى نقطة في الجنوب. رأس الرجاء الصالح.أظهر سجل قياس سرعة السفينة أن السفينة قد قطعت مسافة ١٤,٥٠٠ ميل، ولكن كان عليها أن تقطع مسافة طويلة قبل أن تصل إلى الصين.

منذ أوائل يناير سنة ١٨٥٤م، كانت الدمفرايز قد بدأت المسافة الطويلة عبر المحيط الهندي. قطعت السفينة ١٢٠ ميلاً بعيداً عن الطرف الشمالي الغربي من استراليا واتجهت صوب الجزر الاستوائية في الجزء الغربي للمحيط الهادي في آخر حركة بطيئة من رحلتها إلى شنغهاى. وقد حدث عرضا، أن اقتربت السفينة من جزيرة جدف سكانها للوصول إلى السفينة ليعرضوا جوز الهند والمحار في مقابل السكاكين أو البطاطين.

كانت الأيام والليالي في المناطق الاستوائية تخضع لنمط معين. ففي أثناء النهار كان البحر هادئاً ولم تكن هناك رياح، ولذا فقد كان البحارة ينهمكون في لعب الورق، وعمل المنحوتات العظمية، ويسلى كل واحد الآخر بسرد قصص ما سوف يفعله كل منهم عندما يصلون للشاطئ.

وبين آن وآخر. كان واحد منهم يتسلل من المجموعة ويتوقف بجوار قمرة هدسون. كان بابه مفتوحاً دائماً، وكان ينخرط في العديد من المناقشات الطريفة مع أفراد طاقم البحارة عن جوانب من خدمة الأحد التى كان يلقيها على ظهر المركب. وعند الغروب كانت الرياح تبدأ في الهبوب. ولو كانوا محظوظين، كانت الرياح تستمر في الهبوب حتى الفجر. ولكن في بعض الليالي، لم تكن الريح تهب على الإطلاق. في تلك الليالي، كانت الدمفرايز تقطع مسافة تقل عن سبعة أميال. كان القبطان موريس يسجل المسافة المقطوعة كل يوم بأمانة في سجل سرعة السفينة.

فإن كانت رحلتهم قد بدأت بما يشبه الكارثة بسبب النشاط المتزايد للريح والأمواج، فقد كادت تنتهي بكارثة. لسبب على النقيض من ذلك تماماً.

كان يوم الأحد، وكان هدسون يواصل خدمته المعتادة في الجزء الخلفي من ظهر الدمفرايز. كان عدد كبير من البحارة يجلسون على شكل نصف دائرة على البراميل ولفات الحبال، وهم يستمعون لهدسون وهو يعظ. ولكن القبطان موريس لم يبدُ عليه أنه يعير الالتفات إلى الخدمة. وكان هذا أمراً غير معتاد. كان ربان السفينة ميثودستياً وكان يستمتع تماماً بوجود مرسل صغير على ظهر سفينته. بعد إنشاد الترنيمة الأخيرة، مشى الربان إلى جانب السفينة وحملق بقلق في الماء. انضم إليه هدسون وسأله عما يبحث عنه. لم تكن الإجابة مشجعة. كانت المركب متوقفة

ومقبلة على كارثة. كان التيار أقوى من المعتاد، حوالي ٤ عقدات، وكان يحملهم تجاه الصخور العميقة. ومع عدم توقع هبوب الريح حتى حلول المساء، كان القبطان موريس يخشى أن يكون الوقت قد تأخر، وأن الدمفرايز سوف تصطدم بالصخور وتغوص قبل ذلك. هذه المعلومة قد جعلت القشعريرة تسري في بدن هدسون. كان قد رأى عدداً كبيراً من أسماك القرش حول السفينة في الأيام القليلة الماضية، ولم ترق له فكرة الاضطرار للعوم لينجو بحياته.

ان عبارة توقف المركب لقلة الرياح تثير الرعب في قلوب الرجال على ظهر السفن الشراعية. فالعاصفة، وحتى الإعصار، يمكن التغلب عليه في غالب الأحيان، ولكن السفينة المتوقفة تذهب حيث يأخذها التيار، ولا يمكن عمل شيء للتغلب على ذلك. في بحر أيرلندا، كادت الدمفرايز أن تضيع بسبب كثرة هبوب الريح والآن، كان يبدو أنها سوف تهلك بسبب قلة الريح كان موقفاً يائساً. ومع أن القبطان موريس كان يعلم أنه لا يمكن عمل شيء إزاء عدم هبوب الريح، إلا ان فريق البحارة توسلوا إليه حتى يسمح لهم بتجربة شيء ما. ولذا فقد سمح لهم أن يستعينوا بالقوارب الطويلة. ربطوا الحبال الضخمة من الدمفرايز بالقوارب الطويلة ثم استخدموا المجاديف، محاولين أن يجدفوا بالسفينة ضد التيار. ولكنها لم تتحرك وظلت تنجرف مع التيار.

وفي هدوء، تسلق البحارة شبكة الحبال على ظهر الدمفرايز. ولم تسفر أفضل جهودهم المبذولة عن شيء يذكر. كان الموقف يائساً. وعندما يصل نسيم المساء، يكون الوقت قد تأخر بالنسبة للسفينة وبحارتها.

كم غريب أن يواجهوا الموت في مثل هذا اليوم الهادئ الجميل. هكذا كان هدسون يفكر وهو يحدق ببصره في أحد جوانب الدمفرايز. تخلص القبطان موريس من أفكاره وقال: "لقد فعلنا كل ما نقدر عليه. كل ما نستطيعه الآن أن ننتظر ونرى ما يحدث بعد ذلك".

كان لكلمات القبطان وقعها على أسماع هدسون. **فعلنا كل ما نستطيع عمله**.. ولكن هل فعلوا ذلك حقاً؟

جاءته فكرة. اتجه بحماس للقبطان موريس وقال: "هناك شيء واحد لم نفعله بعد"

سأله القبطان مندهشاً: " وما هو ذلك الشيء؟"، لقد كان هدسون يعتقد أنه يعرف شيئاً بشأن إنقاذ السفن المتوقفة لسكون الريح.

قال هدسون: "أربعة أشخاص منا على ظهر المركب مسيحيون. ليذهب كل واحد منا إلى قمرته الخاصة ولنتفق معاً على أن نصلي ونطلب من الله أن يعطينا ريحاً الآن. إنه يستطيع أن يرسل الريح بسهولة الآن كما سيرسلها عند الغروب".

وافق القبطان موريس، لأنه لا أحد سوى الله في إمكانه أن يساعدهم في التو واللحظة. أسرع إلى قمرته بينما حدد هدسون مكان

النجار السويدي للسفينة والخادم، وهما المسيحيان الآخران، على ظهر المركب.

صلى هدسون في قمرته بحرارة لبضع دقائق ثم أحس كما لو أن حملاً ثقيلاً قد انزاح من على كاهله. كان واثقاً أن الله قد سمع صلواته وأنه سوف يستجيبها. وبعد أن وقف من الوضع راكعاً، أخذ يخطو ثانية نحو سطح المركب. كان الضابط الأول واقفاً، يدخن غليونه على سطح مقدمة السفينة.

قال له هدسون: "أسرع، أنزل الشراع الرئيسي"

أخذ الضابط الأول يضحك باستهزاء قائلاً له "وما الحكمة في ذلك؟" فرد عليه هدسون قائلاً "المسيحيون على ظهر المركب يصلون لأجل هبوب الريح، وسوف تأتي في أي لحظة منذ الآن. اقترح عليك أن تستعد لذلك".

ضحك الضابط الأول من أعماق قلبه. إن مرسلاً شاباً كان يخبره كيف يدير السفينة. لن يكون هناك ريح حتى غروب الشمس، ولكي يثبت صحة موقفه، نظر إلى الشراع. هل رفرف الشراع قليلاً؟ ربما. ولكن هذه الرفرفة لن تفيدهم في شيء.

بينما كان الضابط الأول يقف هناك، حركت السفينة فجأة هبة ريح مفاجئة. هذه المرة لم يضع وقتاً. صاح قائلاً "كل الأيدي العاملة تتجمع على سطح المركب"، وهو يقبض على أحد الحبال. جاء البحارة

يجرون، وعلى بعد خطوات قليلة منهم، كان القبطان موريس والذي سمع كل الهرج والمرج من قمرته. كان الريح الذي هب نسيماً رائعاً قوياً. في ظرف دقائق قليلة، كانت الدمفرايز تشق طريقها في المحيط الهادي بسرعة سبع عقدات. كانت كل دقيقة تمضي تبعدهم عن الصخور الخطرة وتقربهم إلى شنغهاي.

الفصل الثامن
الصين أخيراً

نظر هدسون من أحد جوانب الدمفرايز ورأى التربة الصينية. إنها ليست أرضاً جافة، بل أطناناً من التربة، مختلطة بالماء ومتدفقة من نهر يانجتسي. كان القبطان موريس قد أخبره أنهم في مكان المرساة عند مصب النهر. وما كان لهدسون أن يعرف بمفرده، لأن ضباب بارد رطب كان يضغط حول السفينة بشدة حتى أنه كان من المتعذر رؤية الأرض من أي جانب من جوانب السفينة. القوا بالمرساة انتظاراً لوصول مرشد الميناء ليرشدهم أولاً إلى ووسونج، ثم إلى أرصفة ميناء شنغهاي على بعد ١٥ ميلاً على نهر هوانج بو.

شأنه شأن بقية البحارة، فبعد مرور خمسة أشهر ونصف في البحر، كان هدسون شغوفاً بسماع أي خبر يكون لدى المرشد عن إنجلترا وحقيقة موقف تمرد "التيبنج". ولكن لم يكن هناك شيء يعمل خلال انتظاره لوصول مرشد الميناء. ولذا فقد راح يملأ ويفرغ حقيبته عدة مرات، ثم صعد إلى سطح السفينة وأخذ يمشي بتؤدة فوق ظهر الدمفرايز والتي تحملت طول الاستعمال جيداً. أخذ يحدق بصره في اللون الأبيض للضباب، على أمل أن يلمح أرضاً. كان ذلك محبطاً. كان قد مضى عليه

خمس سنوات وهو يستعد للمجيء إلى الصين، والآن وبعد أن أتي إليها لم يستطع أن يراها.

أخيراً، كف عن المحاولة ونزل إلى أسفل ليكتب آخر شيء في دفتر يومياته من الدمفرايز. كتب يقول: "كم من مشاعر غريبة تنتابني بسبب مشهد الهبوط الوشيك في بلد مجهول، وسط غرباء، بلد سوف يصبح الآن موطني ومكاناً لعملي".

وضع قلمه وحاول أن يتخيل ما يمكنه عمله عندما يصل أخيراً إلى شنغهاي. ألقى نظرة على الخطابات الثلاثة الموضوعة بإتقان فوق كتابه المقدس. إنه يشكر الله لحصوله عليها، فهي التي سوف تمهد له الطريق للحياة الجديدة في الصين. كان الخطابان العلويان خطابي توصية من أصدقاء متميزين بإنجلترا إلى مرسلين يعرفونهم في شنغهاي. وبناء على قوة صداقتهم والخطابين، عرف هدسون أي مرسل يسعده أن يقدم له النصيحة في بداية حياته الجديدة. وكان الخطاب الثالث من أحد معارف هدسون في لندن إلى المبجل الدكتور والتر مدهرست من الرابطة المرسلية بلندن. كان الدكتور مدهرست قد كتب كتاباً عن الصين استعاره هدسون من خادم الطائفة في بارنزلي، الكتاب الذي كان له تأثير عليه لكي يواصل التدريب الطبي.

حاول أن يواصل الكتابة في دفتر يومياته، ولكن عقله كان مشغولاً. ما شكل الصين الآن؟ هل انتصر تمرد "التيبنج" أخيراً على أسرة

كـنج؟ كانـت هـناك العديـد مـن الـتقارير الرائعة عما كان يحدث قبل أن يترك إنجلترا. هل انفتح قلب الصين أثناء الوقت الذي قضاه في البحر؟ لم يستطع الانتظار حتى تتضح حقيقة الأمور.

عـندما الـتقط قـلمه ليكتـب المـزيد، سمـع وكيل الربان يصيح قائلاً: "القارب إلى اليمين، كل الأيدي العاملة على السطح"

أسـرع هدسـون بتجفـيف الحـبر وأغلـق دفـتر يومـياته. شـعر بالإثـارة تسـري في عـروقه عـندما أسرع بالصـعود إلى سطح المركب. تتبع نظرات البحارة. كانت هناك سفينة صينية تقترب منهم كطائر ينزلق على المـاء. وقـف هدسـون وأخـذ يحملـق. شعر كما لو كان يعيش داخل كتاب ملـيء بالصـور. بـذل جهـداً لـيرى الـبحارة الصـينيين، وعـندما اقتربـت السـفينة الصـينية رآهم كأفراد متميزين. كانوا جميعهم يرتدون حللاً تشبه البـيجامات الـزرقاء.وعندما تحركوا، استطاع أن يرى ضفائرهم التي تتدلى مـن مؤخـرة رؤوسـهم، تـتأرجح خلفهـم. شـعر هدسون بالشكر والامتنان. انتهـت سنوات الاستعداد والانتظار، وأصبحت الرحلة وراءهم مهما يكن الأمـر، فقـد أتـى بـه الله سـالماً إلى الصين، ولأول مرة، كان يرى الشعب الصيني وجهاً لوجه.

تدافـع بحـارة الدمفرايز للإمساك بحبل شراع السفينة الصينية وهـو يلقى منها. وسرعان ما تم ربط السفينة بإحكام في أمان، وظهر رجل إنجلـيزي وحـيد بـين الـبحارة الصينيين. تسلق سلم الحبال الذي كان قد

أنزل على أحد جوانب السفينة. وعندما وصل في النهاية إلى سطح المركب، تصاعدت هتافات بحارة الدمفرايز. لقد وصل مرشدهم، وسرعان ما يكونون في طريقهم في اتجاه أعالي النهر نحو شنغهاي.

اختفت السفينة الصينية في وسط الضباب بسرعة كما جاءت. انتظر فريق البحارة بقلق بينما كان المرشد والقبطان موريس يتحدثان سوياً في قمرة القبطان. وعندما خرجا، أخبرهم المرشد بأن الضباب بدلاً من أن ينقشع، كان يزداد كثافة. لن يمكنهم الذهاب إلى أي مكان آخر اليوم ومن المرجح أن يظل الحال على ما هو عليه غداً أيضاً، فقد كان من الخطورة بمكان أن يحاولوا الملاحة في النهر في مثل هذا الطقس. أصيب هدسون بالإحباط ولكنه سرعان ما عاد إلى طبيعته، وبدأ مع بقية البحارة يحاول انتزاع أخبار الوطن من المرشد.

أخبرهم المرشد أن تركيا وروسيا كانتا تعدان جيوشهما لتقاتل كل منهما الأخرى في شبه جزيرة القرم. وكانت إنجلترا وفرنسا قد أرسلتا أساطيلهما البحرية، وكانا يرسلان قواتهما البرية أيضاً لمساندة الروس.

هل أرسلت الملكة فكتوريا القوات كتحذير، أم كانت تقصد أن تشترك هذه القوات في القتال؟ كان البحارة يريدون أن يعرفوا الحقيقة. كم كان عدد الجنود الإنجليز الذين أرسلوا للقتال؟ وهل سيتم إرسال المزيد منهم؟ وهل أرسل الفرنسيون عدداَ مماثلاً من الجنود؟ كان يكمن وراء

الأسئلة قلق ٢٣ رجلاً، كانوا يتساءلون عما إذا كان أخوتهم وأبناؤهم يقاتلون فعلاً في القرم أم لا.

أخبرهم المرشد كل ما يعرفه عن الموقف في القرم ثم مضى يخبرهم بعض الأخبار المحلية. لم يكن البحارة مهتمين بها كثيراً، ولكن هدسون كان كذلك. كانت الصين وطنه الجديد، وأراد أن يعرف ما كان يحدث. كان المرشد لديه أخبار عن تمرد "التيبنج" عندما غادر هدسون إنجلترا منذ خمسة شهور ونصف مضت، كان يبدو أن التمرد سوف يفتح قلب الصين للأجانب. كان يأمل أن يكون ذلك قد حدث بالفعل، لأنه كان ينوي أن يقيم في شنغهاي لمدة قصيرة فقط قبل أن يتجه إلى الداخل للاستكشاف والتبشير. ولكن الأخبار التي كان المرشد يخبره إياه كانت تختلف تماماً عن الصورة الوردية التى وصلت أخبارها إلى إنجلترا. لقد أصبح تمرد التيبنج" عنيفاً جداً. ففي شنغهاي، استولت مجموعة من متمردي "التيبنج" المعروفة باسم "القبعات الحمراء" والتي سميت على اسم القبعات الحمراء التي كانوا يلبسونها، استولت على المدينة. وكانت المدينة محاصرة من قِبَل الآلاف من القوات الإمبراطورية والتي كانت تنوي أن تستردها من القبعات الحمراء بالقوة. كانت الحرب المدنية الدموية مستعرة.

قسمت شنغهاي إلى قسمين، المدينة الصينية القديمة ذات الأسوار، والتي استولت عليها القبعات الحمراء بالفعل، والمستوطنة

الدولـية، التي أقيمت بعد حرب الأفيون كمكان للأجانب للعيش والتجارة فيها. ولسوء الحظ، كانت المستوطنة الدولية تقع خارج سور المدينة القديم من ناحية الشمال وكانت محاصرة بين القوتين المتعارضتين.

كـان الجانـبان منهمكين في إطلاق نيران المدافع من فوق السور كـل مـنهما ضـد الآخـر. ولذلـك، كمـا يحـدث دائمـاً في الحـروب، كـان المدنـيون هـم الوقـود الأساسـي لهـا. فقـد تم تدمير مئات المنازل وتشريد آلاف البشر.

عـندما كان هدسون يستمع إلى المرشد وهو يتكلم، تملكه الفزع. لم يكـن هـذا مـا كـان يتوقعه بالمرة. لم يكن يتخيل أن تصبح الأمور هكذا خـلال الشـهور الطويلة التي قضاها في البحر، ولكن كان هناك كذلك خبر سيئ آخـر بالنسبة لهدسون. فحيث أن شنغهاي كانت تحت الحصار، كـان تصـدير الأشـياء العاديـة كـالأرز والخضـراوات إلى داخل المدينة أمراً بـالغ الخطـورة حـتى إن أسـعار كـل شيء قد وصلت إلى عنان السماء. في الشـهر الماضـي وحـده، تضاعفت الأسعار، ولم يكن يبدو أن معدل الزيادة يمـيل للانخفـاض. والإيجـار أيضاً قد تصاعد، هذا إذا كنت محظوظاً بما فـيه الكفايـة لكـي تجـد مكانـاً للإيجـار. ومـع تدمـير الأعداد الكبيرة من المـباني والمـنازل، كـان مـن شبه المستحيل تقريباً أن تجد منزلاً أو حجرة للإيجـار في المديـنة. كـان ذلك خبراً سيئاً لهدسون بنوع خاص، والذي لم يكـن لديه سوى عدة شلنات قليلة قد تبقت في جيبه لكي يعول بها نفسه

حتى يحصل على المزيد من المال من الرابطة الإنجيلية الصينية . ومع ذلك، فقد وصل إلى هذا المكان البعيد، وكان متأكداً أن الله لن يتخلى عنه الآن.

عندما طلع الفجر على نهر يانجتسي في يومهم الثاني في المرساة، كان الضباب الكثيف يلف كل شيء. وظل هكذا حتى قرب حلول المساء، عندما بدأ ينقشع. عندما انزاح الضباب، ألقى هدسون أول نظرة على الصين. كان موضع المرسى يبعد عن جزيرة مليئة بالأعشاب بعيدة عن الشاطئ محاطة بساحل البحر الذي كان يبدو أنه مكون من الطمي وليس من الرمل. وعندما حل الظلام، فهم المرشد أن الضباب قد رق بما فيه الكفاية لبدء الرحلة نحو أعالي النهر. وقف هدسون على سطح المركب وراقب الأرض التى يغمرها ضوء القمر تمر أمامه عندما بدأت الدمفرايز الجزء الأخير من رحلتها. عندما وصلوا إلى "ووسنج" عند مصب نهر الهوانج بو، نزل الضباب مرة أخرى، واضطروا لإنزال المراسي مرة أخرى.

وحيث أن هدسون كان مسافراً، فقد رتب المرشد أن يأخذه إلى أعالي النهر إلى شنغهاي على سفينة مرشد آخر. كانت السفينة الصينية الصغيرة، والتي كان هدسون على ظهرها، تتأرجح جيئة وذهابا ولكنها لم تكن تواجه الكثير من الصعوبات عند المناورة في وسط الضباب. بعد عدة ساعات، وقفت بمحاذاة رصيف في ميناء شنغهاي، وخطا هدسون

أول خطوة له على أرض الصين ذاتها. كان ذلك يوم الأربعاء أول مارس ١٨٥٤، حين وصل هدسون أخيراً. لقد وجد لقدميه مستقراً في الصين أخيراً. صلى صلاة صامتة، شاكراً الله لأجل أمانته بإحضاره سالماً إلى هذا المكان البعيد في الجانب الآخر من العالم.

كان رصيف تحميل السفن وتفريغها شعلة نشاط، وكان الصينيون حول هدسون يجرون مسرعين بضفائرهم المجدولة وهى تتحرك من جانب إلى آخر وهم يشقون طريقهم إلى الأمام. كان معظم الناس يرتدون قبعات من القش مخروطية الشكل وعريضة وكان بعضهم يحمل أعواد الخيزران فوق أكتافهم. كان يتدلى من تلك الأعواد كل شيء بدءاً من الدجاج والبط حتى الدلاء التى تحمل السوائل والسلال التى تحمل البيض أو القمح. لاحظ هدسون امرأتين. كانت أقدامهما مقيدتين على شكل مثلثين في أسفل ساقيهما، مما جعلهما أقرب شبهاً بحافرى حصان منه إلى قدمين. وفي كل مكان حوله، كان هدسون يسمع الصوت الإيقاعي الرتيب للكلام باللغة الصينية.

وعندما نظر إلى الوجوه الصينية في كل مكان حوله، شعر هدسون بوحدة مرعبة. كان يعيش في شنغهاي أكثر من ٢٠٠.٠٠٠ شخص، لم يكن واحد منهم ينتظره. كانت كل متعلقاته وكل شخص كان يعرفه في الصين حالياً، مازالوا على ظهر الدمفرايز، في المرسى عند

"ووسنج". مد يده لا إرادياً، ولمس خطابات التوصية في جيب سترته. شكراً لله لأن له أصدقاء كان لديهم أصدقاء في شنغهاي.

مشي نحو نهاية رصيف المرفأ، حيث نظر يساراً. وحسبما أخبره المرشد تماماً، كان هناك العلم البريطاني مرفوعاً فوق مبنى أبيض كبير. كانت هى القنصلية البريطانية، التي كانت تحتفظ بسجلات، ضمن أشياء أخرى، بكل الرعايا البريطانيين في وحول المستوطنة الدولية. شق هدسون طريقه نحو المبنى. لاحظ وهو يفعل ذلك أن الأرض كانت تبدو تهتز يمنة ويسرة تحت قدميه. بعد خمسة أشهر ونصف على ظهر سفينة في البحر، كان عليه أن يستغرق بعض الوقت حتى يعتاد المشي على الأرض ثانية.

وقف أمام المبنى ونظر إلى شعار النبالة الخاص بالملكة فيكتوريا محفوراً على لوح حجري فوق الباب. فتح الباب وخطا إلى الداخل. أصبح هدسون مرة أخرى في عالم كان مألوفاً لديه. كان يقف في حجرة لشبيهة بالبهو في بنك بارنزلي، ولكن كانت أكثر اتساعاً. كانت أمامه لوحة كبيرة مكتوب عليها "تواريخ وصول السفن ورحيلها". فحص اللوحة بسرعة، كانت كلمة "الدمفرايز" مكتوبة بالقلم الرصاصي تحت العمود المذكور أمامه عبارة "متوقع وصولها"، ولكن لم يكن هناك أي موعد للوصول قد أدخل بجانبها. ابتسم هدسون بينه وبين نفسه، لم يفترض وصول عدد كبير من المسافرين قبل وصول سفينتهم.

كانت هناك طاولة طويلة بمحاذاة الحائط على يمينه. وفوقها كانت هناك لافتة تقول: "البريد الملكي يستلم ويوزع هنا" وكان فوق الطاولة لافتة أصغر تقول: "مغلق حتى الساعة التاسعة صباحاً". شعر هدسون بالرعب. كان يأمل أن يبحث عن البريد، خاصة الخطابات من عائلته ومن الرابطة الإنجيلية الصينية. كانت الرابطة قد وعدت أن ترسل له خطاب ائتمان. وبموجب هذا الخطاب كان بإمكانه أن يذهب إلى الوكيل المالي للرابطة في شنغهاي ويسحب بعض المال. ولكن كان عليه أن ينتظر حتى الغد. ولكن لم تكن تروقه فكرة الوصول إلى منزل شخص غريب ومعه القليل من المال، آملاً أن يقدموا له فراشاً للمبيت في الليل. ولكن لم يكن هناك شيء يمكن عمله إزاء ذلك. كان بحاجة للحصول على من يدله على منازل الأشخاص المذكورين في خطابات التوصية. ويشق طريقه لزيارتهم بأسرع ما يمكن قبل حلول الظلام.

نظر إلى يساره. كان هناك طاولة آخرى فوقها لافتة تقول: "استفسارات عامة". قدم نفسه إلى الموظف الجالس خلف الطاولة وأخرج خطابات التوصية.

سأله الموظف: "عمن تبحث؟"

قرأ هدسون الاسم من على واجهة أول مظروف. "بيكرنج، نيكولاس م" اخرج الموظف صندوقاً خشبياً يحتوي على ملفات، راح يقلب فيها. ثم قال: "كلا، لن يفيدك هذا الشخص في شيء ما"، قال هذا وهو يسحب

بطاقة من الصندوق. قرأ من البطاقة: "رحل عن شنغهاي، في ٢٨ يناير، على ظهر الباخرة سيرين. محطة الوصول، سان فرانسيسكو.. من المرجح أنه أصيب بلوثة استخراج الذهب من باطن الأرض"، ثم قال بابتسامة: "أي شخص آخر؟"

قرأ هدسون الاسم من المظروف التالي: "أرمسترونج، الفريد ب" سحب الموظف بطاقة أخرى من الصندوق "ها هو، الفريد ب" ثم قال، وهو يتوقف ليأخذ نفساً عميقاً "يا للحسرة. ليس لديك الكثير من الحظ" قلب الموظف البطاقة حتى يستطيع هدسون أن يقرأها. كانت هناك كلمة واحدة مطبوعة بحروف حمراء كبيرة في الجزء العلوي منها وهي كلمة "توفى" يعقبها التاريخ ١ فبراير سنة ١٨٥٤م.

أضاف الموظف قائلاً بلهجة يشوبها العطف: "إني آسف لذلك" حملق هدسون دون أن ينطق ببنت شفة في التاريخ. لقد مات الرجل منذ شهر مضى بالضبط، وتساءل "ماذا حدث؟"

أجاب الموظف "من المرجح أنه أصيب بمرض التيفوس، لقد حصد أرواح الكثير من الناس مؤخراً. كان يمكنني أن أتذكر لو أن هناك شيئاً يتعلق بالقتال. فقد فقدنا شخصيين فقط بتلك الطريقة، وفي المكان الخطأ في الوقت غير المناسب. حظ سيئ حقيقة. ولكن إذا كان الجيش الإمبراطوري يمل من ضرب أفراد القبعات الحمراء ويوجه مدافعه نحو

المستوطنة الدولية، فإننا نصبح كالبط الجالس بلا حراك" ثم ضحك بعصبية.

فزع هدسون لما سمعه في الحال، واتجه نحو آخر بارقة أمل لديه. قرأ الاسم من واجهة الظروف الأخير: "الدكتور والتر مدهرست" قال الموظف بحماس "هذا اسم اعرفه هذه المرة. كل واحد يعرف عائلة مدهرست. إنها تعيش في مجمع الرابطة المرسلية اللندنية"، قال الموظف ذلك قبل مواصلة إعطاء هدسون التوجيهات الخاصة بكيفية الذهاب سيراً على الأقدام إلى المجمّع.

بعد القنصلية البريطانية بمسافة قليلة، كانت الشوارع موحلة. كان هدسون يتحسس طريقه، محاولاً أن يحفظ قدميه جافتين على قدر الإمكان حتى وصل إلى البوابة الكبيرة المقوسة للمجمّع. كانت الأبواب مفتوحة، ولذلك دخل هدسون. كان في أحد الجوانب مبنى ما يشبه المستشفى، وعلى الجانب الآخر، كانت توجد عدة منازل منخفضة. كان هناك خادم صيني يكنس الفناء المفتوح. جاء يجري بمجرد أن رأى هدسون. انحنى ثلاث مرات وانتظر حتى يتكلم هدسون.

قال هدسون: "هل الدكتور مدهرست موجود؟ لدىّ خطاب توصية له"

حملق الخادم. تأكد هدسون أنه لم يفهم كلمة واحدة. لم يكن هناك شخص آخر يمكن أن يسأله، ولذا قال بلغة مبسطة وهو يحاول أن يتكلم ببطء مرة أخرى. "أنا أريد الدكتور مدهرست" علت ابتسامة وجه الخادم

وعينـيه. "الدكتور مدهرست مضى" قال هذا، وهو يلوح بيديه نحو البوابة ليؤكد ما كان يقوله.

هـبط كـتفا هدسـون فجأة. ماذا تعني كلمة "مضى"؟ وفقاً لسير الأحـداث، فـان كـلمة "مضـى" يمكن أن تعني أي شيء بدءاً من ذهب في مهمة حتى مات!

سأل ببطء "أين مضى الدكتور مدهرست؟"

أشـرق وجـه الخـادم، حيـث مـن الواضح أنـه سـر لأن لغـته الإنجلـيزية قد فهمت. قال بحماس وهو يلوح بذراعيه مرة أخرى: "نعم، مضى"... "مضى".

وقـف هدسـون وهـو لا يدري ما يمكن أن يفعله. كانت أشجار التفاح في مؤخرة المجمع تلقى بظلال ممتدة عبر الفناء. سوف يحل الظلام حـالاً، وبـدأ يشـعر أنـه كـان من الأفضل له أن يبقى على ظهر الدمفرايز حـتى ترسـو عـلى رصيف الميناء. عندما قارب النهار على المغيب، أصبح الهـواء بـارداً، والشـلنات القليلة في جيبه لن تكفي بالتأكيد لدفع تكاليف المـأوى لـتلك الليلة. بدت الأمور كئيبة. كل شخص كان يحمل له خطاب توصية يتضح بأنه إما ميت أو غير موجود.

نظـر هدسـون إلى بـاب المستشـفى، متسائلاً عن شخص يجيد الإنجلـيزية. وكمـا لـو أن شخصـاً قد استجاب لأفكاره، فتح الباب وخرج

منه رجل أوروبي. بعد أن رأى هدسون، سار نحوه ومد يده. وإذ شعر هدسون بارتياح، صافحه بحرارة.

قدم الرجل نفسه بلكنة إنجليزية قوية "اسمي إدكنز، هل يمكنني أن أساعدك؟"

قدم هدسون إليه خطاب التوصية. قرأه إدكنز، ثم قال موضحاً إن الدكتور مدهرست وعائلته قد انتقلوا إلى مكان أكثر أمناً في المدينة، حيث أن المجمع كان على مسمع ومقربة من طلقات المدافع. ولكن الدكتور لوكهارت، زميل مدهرست، قد يكون بمقدوره أن يساعده. اقتاد إدكنز هدسون إلى واحد من المنازل القريبة ومضى يبحث عن الدكتور لوكهارت.

بينما كان هدسون ينتظر، ذاع خبر وصوله بسرعة. توقف موكب من المحبين للاستطلاع ليسألوا عن هويته وعما يفعل في الصين. كيف وصل إلى هناك؟ لم ترسُ سفينة جديدة في الأسبوع الماضي، أليس كذلك؟ هل كان هناك قادمون جدد؟ هل هو طبيب أم راعي كنيسة).

لقد أثبت ذلك السؤال الأخير أنه اصعب الأسئلة. عندما قال إنه لم يكن طبيباً أو راعى كنيسة، بل مجرد مرسل، نظر إليه عدد كبير من الناس باستغراب. وقد سأله أحدهم هذا السؤال: كيف يمكن لشخص أن يدعو نفسه مرسلاً دون أن يكون تابعاً لكنيسة معينة أو حاصلاً على تدريب طبي؟ لقد كان سؤالاً أدهش هدسون، حيث أنه كان صادراً من

قبل مرسل آخر. وقد كان أيضاً سؤالاً يمكن أن يوجه إليه مراراً وتكراراً خلال إقامته في شنغهاي.

وأخيراً، وصل الدكتور لوكهارت. رحب بهدسون وقدم له حجرة في منز له حتى يستطيع الوقوف على قدميه. كان هدسون مسروراً أن يحصل عليها، وبعد تناول العشاء مع الـ "بردونز"، وهما زوجان مرسلان شابان في المجمع، ذهب إلى الفراش. ولأول مرة بعد مدة طويلة جداً، لم يكن الفراش يهتز.

استيقظ في صباح اليوم التالي على وقع أصوات جديدة. "ان سروري في الاستيقاظ وسماع أغنية الطيور المبهجة يمكن تخيلها بأفضل مما يمكن وصفها. فالقمح الأخضر في الحقول، والنباتات المثمرة في الحديقة، والزهور الحلوة العطرة فوق بعض الأشجار كانت مبهجة بالفعل بعد قضاء كل هذا الوقت الطويل في البحر" هكذا كتب هدسون إلى إميليا في خطاب. بالطبع، لم يخبرها عن قصف المدافع أثناء الليل.

قال لنفسه وهو يرتدي حذاءه الطويل، بأن الأمور ليست سيئة جداً على أي حال. قرر أن يعود إلى القنصلية البريطانية ويحصل على خطاب الائتمان من الرابطة الإنجيلية الصينية، وقد كان يأمل في الحصول على بعض الخطابات الأخرى من العائلة والأصدقاء من أرض الوطن. ثم يتجول على طول حافة النهر وهو يرقب الدمفرايز. فعندما ترسو على رصيف الميناء، كان بإمكانه أن يفرغ متعلقاته ويستقر في

حجرته الجديدة. كانت خطة جيدة، ولكن، حسبما سمحت به الظروف، لم تكن هى الخطة التى نجحت.

الفصل التاسع

"آه لو عرفوا الإله الحي"

خـرج هدسـون إلى خـارج بوابـات المجمـع واتجـه نحـو نهـر "هوانـج بـو". مضـى الدكـتور لوكهارت وتبعه خادمه من على بعد. ولكن بـرغم شـغف هدسون للوصول إلى مكتب القنصلية، فإنه لم يستطع تجنب التوقف في الطريق. فقد خلبه كل شيء. شنغهاي كانت مختلفة كثيراً عن لـندن. بالتأكـيد كانت لندن مزدحمة، ولكن شنغهاي بدت أكثر ازدحاماً. وبالـرغم أن المديـنة كانـت تحـت الحصار، إلا أنه حيث ألقى بصره كان يجـد نشـاطاً ملحوظاً. بجوار الطريق الموصل كان هناك رجل عجوز يصنع فوانيس من الورق الأحمر. وكان هناك ولدان يبيعان طيوراً ملونة في أقفاص مـن الخـيزران. وكـان رجل آخر يبيع فاكهة خضراء بيضاوية الشكل، لا تشـبه أي شـيء رآه هدسـون مـن قـبل. وكانـت هـناك إمـرأة ترضع طفلاً جالسـة القرفصاء بجوار حصيرة من الأعشاب فوقها صف من أكواب الأرز المطهـى. أي واحـد لم يكـن يبـيع شـيئاً كـان يـبدو حاملاً شيئاً ما. وكما حـدث عـند رصـيف الميـناء في الـيوم السـابق، كـان الناس يسلكون طريقاً معوجـاً وسط الجماهير، وهم يحملون أعواد الخيزران فوق أكتافهم باتزان. كـان أحـد الـرجال يعدو مسرعاً ومعه ديوك حية مقيدة من رجليها ومدلاة

من عود الخيزران الذي كان يضعه فوق كتفيه. رجل آخر كان معه وسائد حريرية مزخرفة مربوطة في عوده. كان الشبان أيضاً يسيرون وهم يدفعون أمامهم عربات يد بعجلات محملة بأوان كبيرة من الفخار مليئة بالماء. في كل مكان كانت هناك أصوات الناس وهم يتكلمون، ويضحكون، ويتبادلون السلع عن طريق المقايضة. كان الهواء كذلك محملاً بروائح مثيرة، رائحة الطعام المطهى في أوعية كبيرة على النار في الهواء الطلق، والخنازير الحية والدواجن والبط، والبخور العبق الذي يبيعه التجار، وبالوعات المجاري المفتوحة في الشارع. كانت الروائح العالقة في الهواء، تجعل هدسون يريد أن يتنفس بعمق ليستمتع بها وفي أحيان أخرى كانت تجعله يتقيأ.

كان يتساءل وهو يمشي في الشارع عن كيفية وصفه للمشهد في خطابه المقبل لإميليا. الشيء الوحيد الذي كان يعتقد أنه يمكن مقارنته به كانت زيارتهما إلى المعرض الكبير في لندن منذ سنتين. ولكن كم كان ذلك منظماً عند مقارنته بهذا المشهد.

كان يتوقف كل بضعة أمتار ليفحص كل شيء كان معروضاً للبيع أو ينظر من خلال بوابة. ولكنه كان أيضاً شغوفاً بالحصول على خطاب الائتمان من الرابطة الإنجيلية الصينية، جنباً إلى جنب مع التعليمات الخاصة بمكان وكيفية البدء في إنشاء الإرسالية في شنغهاي.

اعتقد أن أول شيء يريدونه أن يفعله هو أن يجد مكاناً دائماً ليعيش فيه بينما كان هو يستعد للذهاب إلى قلب الصين.

لاحت القنصلية البريطانية أمامه مرة أخرى، صعد السلم إلى القنصلية ودخل، وهو ينظر خلفه إلى خادم الدكتور لوكهارت الذي كان ينتظر على السلم السفلي. كم كان رائعاً ذلك الشعور بأنه يستطيع قراءة كل اللافتات واللوحات وأن يعرف كيف يتحدث نفس اللغة التي يتحدث بها كل شخص آخر في الحجرة. كان هناك صف من الناس ينتظر عند طاولة البريد، وجد هدسون نفسه ينتظر خلف إمرأة ترتدي ثوباً طويلاً واسعاً من اسفل وضيقاً عند خصرها. كان من الممكن أن يكون فستانها عادياً تماماً في لندن، ولكن في شنغهاي كان يبدو غريباً وغير عملي نظراً للشوارع المزدحمة الموحلة.

أخيراً، جاء الدور على هدسون كي يستلم بريده. ذكر اسمه بوضوح ومد يديه، استعداداً لتسلم كومة الخطابات. سلمه الموظف خطاباً واحداً فقط. تعرف هدسون في الحال من الخط الذي على الظرف. إنه خط أمه. انتظر لاستلام المزيد من الخطابات. ولكن بدلاً من تسليمه المزيد منها، قال له الموظف "شلنان من فضلك، ليس هناك طوابع بريد كافية على هذا الخطاب. أنت مدين بالفرق".

مد هدسون يده في جيب سترته وسلم شلنين إلى الموظف، الذي دون المبلغ في دفتر الحسابات قرين كلمة "دفع" بجواره.

مـازال هدسـون ينتظر بصبر مزيداً من الخطابات. نظر الموظف مذهـولاً. وقـال: "هـذا كـل شـيء، يـا سـيدي"، قبل أن يخاطب الرجل الواقف في الصف خلفه.

تحـرك هدسـون بعـيداً عـن طاولـة البريد والكلمات: "هذا كل شـيء" تـرن في أذنـيه. لـيس هـذا كـل شيء. لم يكن هناك سوى خطاب واحـد. كـان الـ (بردونز) قد أخبراه أن باخرة البريد تأتي من إنجلترا مرة كـل شـهر. كانـت هـذه البواخر أسرع في إتمام الرحلة من إنجلترا بكثير عـن السـفن الشـراعية مـثل الدمفرايـز. إذن كـيف يمكـن أن يكـون هناك خطـاب واحد فقط، ولم يكن هذا الخطاب من الرابطة الإنجيلية الصينية؟ أيـن خطـاب الائـتمان الخـاص بالـرابطة؟ كـان هدسـون بحاجـة لهـذا الخطـاب، وكـان يحتاجه الآن. ما الذي ينتظرون منه أن يفعله في الصين دون وجود مال ودون تعليمات عن كيفية التحرك؟

ومضـت فكـرة ثانـية في عقلـه. كيف يمكنني أن أخفي حقيقة أنـي لم اسـتلم أي خطـاب ائتمان عن المرسلين الآخرين؟ بعد قضاء ليلة واحـدة في مجمـع الـرابطة المرسلية اللندنية، استطاع هدسون أن يدرك أن المرسـلين الآخـرين اعتقدوا أن الرابطة الإنجيلية الصينية مجرد خدعة. ما الـذي يمكـن أن يعـتقدوه عندما يكتشفون أن الرابطة قد تركته بلا مال أو تعليمات فيما يختص بما أرادوه أن يعمل؟

كان هدسون لا يزال في ذهول عندما غادر القنصلية البريطانية واتجه نحو أرصفة الميناء. انقشع الضباب، ومنظر الدمفرايز وهي تبحر في النهر أدخل على قلبه السرور. لم يكن قد مضى سوى يوم واحد، ولكن بدا كما لو كان قد مر وقت طويل منذ أن رأى القبطان موريس لأخر مرة.

رست الدمفرايز وسط الكثير من الصياح والتلويح بالأيدي بمجرد أن نزل القبطان من السفينة، سمح لهدسون بصعودها. كان القبطان موريس مسروراً لرؤيته وصافحه بحرارة. ثم أمر البحارة بإنزال حقائب هدسون على الرصيف.

كان هدسون ممتناً لأن الدكتور لوكهارت قد أرسل خادمه مع إعطائه تعليمات لمساعدته في توصيل متعلقاته إلى المجمع. لم يكن هناك من سبيل كان يمكن أن يسلكه ليجعل نفسه مفهوماً للعمال أو الحمالين، الذين كانوا يتسكعون حول الرصيف، حين كان ينادي عليهم. استأجر خادم الدكتور لوكهارت بسرعة سبعة حمالين لنقل متعلقات هدسون إلى المجمع. قاموا بهمة ونشاط بربط متعلقاته بالحبال، ثم علقوها من عيدان الخيزران. كان مع الحمال الأول (الهارمونيوم) آلة هدسون الموسيقية معلقة في أحد طرفي عوده، وقد جعلها متزنة بواسطة عدة أكوام من الكتب في الطرف الآخر. وربط حمالان آخران حبلاً في مقابض غسالة الملابس الخاصة به وحملاها معلقة على عود خيزران فيما بينهما. كانت الغسالة

تتأرجح إلى أعلى وإلى أسفل فيما بينهما. كان هدسون يقود موكب الحمالين في الشوارع في طريق العودة إلى المجمع. وعندما تحركوا، اختلطت أصواتهم بأصوات خلية النشاط المتصل من حولهم.

لم يستغرق هدسون سوى أمسية واحدة لتفريغ منقولاته وترتيبها في حجرته. ولسوء الحظ، فعلى الأرجح أن زوج أحذيته الإضافي قد تبلل بالماء في الرحلة عندما سقط غطاء كوة السفينة خلال العاصفة في بحر أيرلندا، ولذا فقد كان عليه أن يتخلى عنه. وقد اضطر أيضاً للتخلي عن كومة من مذكرات دراسة الكتاب المقدس، فقد كسرت عدة زجاجات حبر وانسكبت على بعض الصفحات فأحالتها إلى حبر أسود اللون ولذا فقد تعذرت قراءتها. وبينما كان يفرغ محتويات حقائبه كان لديه متسع من الوقت للتفكير فيما يجب أن يفعله بعد ذلك. قرأ خطاب أمه مراراً وتكراراً، على أمل أن يجد تفسيراً لما يحدث، ولكنه لم يجد ما يشفي غليله.

بعد ظهر يوم الأحد، أخذ يزداد قلقاً. لم تكن بواخر بريد جديدة قد وصلت، ولم يكن ينام جيداً. كان قصف قذائف المدافع المصوبة نحوهم يجعله يقظاً طوال الليل. ولذا فقد شعر بارتياح كبير عندما عرض الكسندر ويلي، عامل الطباعة في الرابطة المرسلية اللندنية أن يأخذ هدسون في جولة حول سور المدينة القديم.

كانت المدينة القديمة محاطة من ثلاث جهات بـ ٥٠,٠٠٠ جندي من قوات الجيش الإمبراطوري. وكانت المستوطنة الدولية تطل على الجهة الرابعة. وبينما كانا يمشيان في الشوارع المزدحمة للمستوطنة الدولية تجاه المدينة القديمة، شرح الكسندر ويلي لهدسون بأنه بسبب معاهدة نانكين، لم يكن للجيش الإمبراطوري سلطة على المستوطنة الدولية. فلم يكن بمقدوره أن يحاصرها أو يلحق بها الضرر بأي طريقة من الطرق. كان الموقف يبعث على الإحباط في الجيش لأن بعض الأجانب، الذين كانوا يأملون في هزيمته، يساعدون أصحاب القبعات الحمراء داخل المدينة القديمة. كانوا يزودونهم بالطعام، والسلاح، وأي شيء آخر يمكن أن يمنحهم التفوق على القوات الإمبراطورية. ومع استمرار تدفق الإمدادات والمعلومات عن تحرك القوات من الأجانب إلى المتمردين وسكان شنغهاي القديمة، كان يمكن للحصار أن يستمر لمدة غير محددة. ولذا فقد كان من الطبيعي، أن يكره الجيش الإمبراطوري الأجانب الذين يتدخلون في شئون البلاد.

عندما وقفا تحت ظل شجرة برقوق مزهرة لالتقاط الأنفاس، سأل هدسون الكسندر ويلي عن حقيقة شعور المرسلين بشأن الحصار.

أخبره ويلي أن الموقف كان يعد مشكلة بالنسبة للمرسلين. كان المرسلون على دراية باللهجات الصينية المختلفة أفضل من بقية الأجانب الآخرين ولذا فقد كانوا يُطالبون على الدوام بالتجسس لصالح

الجانـبين. فعـل بعضـهم ذلـك، بيـنما عمل الآخرون كمترجمين رسميين. كـان مـن المسـتحيل عـدم الـتأثر بسبب محنة الشعب الذي يتضور جوعاً داخـل المديـنة القديمة. ومع ذلك فقد كان كل شخص يعرف أن إعطائهم المعونة يعمل على إطالة أمد الحرب. لم تكن هناك إجابات سهلة للموقف بالنسبة للمرسلين الذين كانوا يعيشون في المستوطنة الدولية.

شـق الـرجلان طـريقهما عـلى طـول حافـة الترعـة المؤديـة إلى المديـنة ذات الأسـوار. كانـت الـبوابة الجنوبـية مغلقـة، ولذا بدآ يمشيان حول السور من الخارج. وبعد دقيقتين رأيا سلماً كان معلقاً على السور.

"بعدك" قال الكسندر ويلي. وهو يشير لهدسون بتسلق السور.

أمسـك هدسـون بعـود الخـيزران وسلم الحبال بكلتا يديه وبدأ يتسـلق إلى القمـة، نظر إلى أسفل وأطل على المشهد من الجانب الآخر من السـور. وعـلى امـتداد البصر، كانت أسطح المنازل إما مفقودة أو مدمرة أو مليئة حوائطها بالثقوب. وقد تحولت بعض المنازل إلى أكوام من الأخشاب المـتفحمة والطـوب المتفتـت حتى قاذورات الشوارع كان بها بعض الثقوب بفعـل القـنابل. وفي وسـط كل ذلك كان الناس يتجولون بلا هدف. ارتعش هدسـون مـن الرعـب بعـد أن تسـلق السـور ونظر أسفل السلم من الجانب الآخـر، أن تسـمع عن ويلات الحرب شيء، وأن ترى الدمار الذي تلحقه شيء مختلف تماماً.

تـبع الكسـندر ويلي هدسون عن كثب. لم يبدو أن المشهد كان يقلقـه كثيراً. افترض هدسون أن اليوم لم يكن يبدو أكثر إحباطاً له من أي يـوم آخـر. بـدآ يسيران سوياً في اتجاه معبد بوذي. وفي الطريق، قام ويلي وهدسـون بـتوزيع النـبذ أثـناء ذلـك، صلى هدسون سراً أن تقرأ تلك النبذ قـبل أن تحـرق كوقـود أو تستخدم كلفافـات لمـلء ثقـوب الجـدران. كان الكسـندر ويلي يتوقف كثيراً ليتحدث مع الناس، وقد كان هدسون يحسد الطـريقة الـتي كـان ينـتقل بهـا من الإنجليزية إلى الصينية ثم العكس مرة أخرى.

وفي الـنهاية وصـلا إلى المعـبد الـبوذي، حيـث حـياهما كـاهن يـرتدي ثوباً أصفر في داخل الهيكل. استطاع هدسون أن يرى رجالاً ونساء يحـرقون الـبخور ويصـلون لتمثال حجري كبير لبوذا. كان هدسون يراقب عـن عمـد. في حياته كلها لم يكن قد رأى شيئاً آخر غير كنيسة مسيحية. ومـا أذهلـه عـندما رأى المشـهد لم يكـن مقـدار اختلاف المعبد البوذي عن الكنيسـة المسـيحية، بـل الإخـلاص الذي كان بادياً على وجوه العابدين الذيـن كـانوا يسـجدون لتمـثال حجـري. كـان تفكيره يجري هكذا "<u>آه لو عرفوا الإله الحي</u>"

تـبع هدسـون الكسـندر ويلـي وهـو مـازال يفكـر في العـابدين الـبوذيين. وعـندما اقتربـا مـن الـبوابة الشمالية استطاعا أن يسمعا صياحاً وصـراخاً. كـان هـناك نـوع مـن القـتال المتصـاعد. مـد ويلـي يـده وأوقف

هدسون. شرح له مقدار الخطر الذي يمكن أن يلحق به لو اقترب من القتال الدائر. ولكن حتى لو لم يقتربا أكثر من القتال، كانت نتائج المعركة واضحة من حولهم، حيث كان يتم سحب الأجساد المشوهة أو المائتة بعيداً.

شعر هدسون بالارتياح عندما اقترباً أخيراً من كنيسة الرابطة المرسلية اللندنية وسمعا الترنيم. تسللا بهدوء إلى مؤخرة الكنيسة، حيث كان الدكتور مدهرست قد بدأ لتوه يلقي العظة. ركز هدسون بشدة على اللغة الصينية التي كان يستخدمها الدكتور مدهرست. كان من الصعب عليه أن يلتقط كلمات بمفردها حيث كانت الأصوات تنساب معاً فيما كان يبدو أكثر شبهاً بالترنيم عنه بالحديث. نظر حوله في الكنيسة. كان أحد حوائطها به فتحة بفعل قذيفة مدفع، وكومة من الكراسي المحطمة موضوعة بجوار الفتحة.

بعد الخدمة، تحدث الرجال مع الدكتور مدهرست، الذي وافق على مقابلتهم عند البوابة الشمالية بعد نصف ساعة. كان على الدكتور مدهرست أن يقوم ببعض المهام، وأراد الكسندر ويلي أن يرى هدسون بعض الشوارع الخلفية بالقرب من الكنيسة.

كانوا قد مشوا مسافة ربع ميل عندما ظهرت مجموعة من رجال القبعات الحمراء وهم يتصايحون. عندما اقتربوا، استطاع هدسون أن يرى أنهم كانوا يدفعون أمامهم مدفعاً صغيراً. خمن هدسون من نظرة

الرضا على وجوههم أنهم قد ظفروا به من الجيش الإمبراطوري. كان خلفهم خمسة رجال، يقاومون ويصرخون، لأنهم كانوا يُجَرون من ضفائرهم. كان واضحاً من الأزياء التي كانوا يلبسونها أنهم جنود من الجيش الإمبراطوري. بمجرد أن رأوا هدسون والكسندر ويلي، كانوا يمسكون طرف ملابسهما. أمسك واحد منهم ببنطلون هدسون، ولكن واحد من رجال القبعات الحمراء أزاحه بعيداً بغلظة. لم يكن هدسون بحاجة أن يفهم كلماتهم لكي يعرف أنهم يلتمسون المساعدة، فنظرة التوسل في عيونهم كانت واضحة بما فيه الكفاية.

وقف المرسلان عاجزين عندما استدارت المجموعة حول ناصية واختفت عن الأنظار. لم يكن باستطاعتهما عمل أي شيء للرجال في مواجهة هؤلاء الرعاع. سأل هدسون الكسندر ويلي عما سوف يحدث لهم. قال ويلي أنهم جنود مأسورون وفي الطريق لقطع رءوسهم. وأخبر هدسون أن تلك الميتة كانت من أشنع الميتات وأكثرها رعباً للإنسان الصيني، لأنهم كانوا يعتقدون أنه إذا دخل شخص الحياة الأخرى بدون رأس، فعليه أن يحيا إلى الأبد بدون رأس. وأضاف قائلاً، إنه لهذا السبب كان من الصعب أن يوافق الصيني على بتر أي عضو من أعضائه.

كان هدسون يحاول أن يبعد صورة الرجل الذي كان يتوسل إليه عن مخيلته عندما وجدا سيلاً من الدماء التي تدفقت منذ لحظات حيث كانا قد اتفقا على مقابلة الدكتور مدهرست. ولخوفهما من حدوث

ما هو أسوأ، تتبعا سيل الدم بالعودة إلى المستوطنة الدولية. لحسن الحظ، لم يصب الدكتور مدهرست بأذى، ولكن كانت لديه قصة مدوية يرويها. فبينما كان ينتظر هدسون والكسندر ويلي، كان قد بدأ التحدث مع اثنين من الحمالين. سمع قصف المدافع ولذا فقد قرر أنه من الأفضل أن يمشي بمفرده. مشى حوالي عشرة أقدام عندما دوت قذيفة مدفع فوق رأسه وسقطت حيث كان يقف. وقد تحطم كاحلا الحمالين، وتدفق الدم من ساقيهما أثناء نقلهما إلى المستشفى، وقد كان ذلك هو السبب في تدفق سيل الدم. كان الأمل الوحيد للنجاة لأي من الحمالين يكمن في بتر الساق، وقد رفضا كلاهما ذلك. كان كل ما يمكن عمله الآن إشاعة العزاء في نفسيهما وهما ينتظران الموت الأكيد.

عاد المرسلان إلى مجمع الرابطة المرسلية اللندنية، وذهب هدسون إلى حجرته، وقد ازداد حكمة بفعل كل ما قد رآه. كم كان الوضع مختلفاً عن يوم الأحد بعد الظهر في إنجلترا. فلقد أعد نفسه لأشياء كثيرة بقدومه إلى الصين، لم يكن من بينها التواجد في أتون معركة حربية.

وأسوأ ما في الأمر، أنه في وسط كل المعاناة التي رآها، شعر أنه بلا فائدة. في داخل المدينة القديمة، كان الرجال والنساء والأطفال يصلون عند الأضرحة لأجدادهم ولأصنام من الحجر، بينما هو يمتلك المعرفة بالإله الحقيقي الحي الذي يستطيع حقاً أن يستجيب صلواتهم. كان قلبه ملتهباً ليخبر هؤلاء الناس عن محبة الله، ولكنه لم يكن يعرف

كيف يقول كلمة واحدة بالصينية. فإذا كان لابد له أن يتمم رغبته الملتهبة في إشراك شعب الصين في الإنجيل، كان عليه أن يتعلم الصينية، ويتعلمها بسرعة.

في صباح اليوم التالي، اقترح الدكتور مدهرست أن يبدأ هدسون في تعلم لهجة (الماندارين) الصينية بدلاً من اللهجة المحلية للمنطقة المجاورة لشنغهاي. أوضح له الدكتور مدهرست أن (الماندارين) كان القائد المعين من قبل الحكومة، فهو الحاكم. وكان لكل مدينة واحد، وكانت مهمته حل المشكلات وحكم الناس طبقاً للتعليمات التى كان يتلقاها من الإمبراطور. كان الحال هكذا في الصين لقرون عديدة، وكان ذلك يعني أن دولة باتساع رقعة الصين كان يمكن أن تحكم بكفاءة تامة. كان الحكام (الماندرانات)، وأهل المعرفة والعلم وعدد كبير من التجار في البلاد، يتحدثون لهجة تعرف باسم (ماندارين). وبغض النظر عن الإقليم الذي أتوا منه، كانوا جميعاً يفهمونها ويتحدثون بها مع بعضهم البعض، وكان الإمبراطور في إمكانه أن يتصل بسهولة (بالماندرانات) ويريهم كيف كان يريدهم أن يحكموا.

استطاع هدسون أن يعرف الحكمة من اقتراح الدكتور مدهرست. فبتعلمه لهجة (الماندارين)، كان يستطيع الاتصال بالناس حيثما ذهب، حتى في أعماق قلب الصين.

اتفق الدكتور مدهرست مع معلم ليعلم هدسون لهجة الماندارين ولذلك كان المعلم وهدسون يقضيان عدة ساعات لدراسة اللهجة كل صباح. أثبت هدسون أنه يتعلم بسرعة، ولدهشة الجميع، لم يمض وقت طويل قبل أن يذهب إلى السوق وحده، ويساوم التجار بلهجة الماندارين في مقدار ما يدفعه ثمناً لمشترياته.

استطاع مدهرست أن يرى في هدسون دلالة تبشر بنبوغ في مستقبله كطبيب، وحيث أنه قد بدا له أن الرابطة الإنجيلية الصينية لم يكن لديها خطة حقيقية بالنسبة له، فقد دعا هدسون أن يواصل دراساته الطبية في مستشفى الرابطة المرسلية اللندنية.

صحيح أنه كان منهمكاً، ولكن ليس بالكامل حتى الآن. كان في الصين، ولكن على السهل الساحلي فقط. كان يريد أن يتحرك نحو الداخل، ولكنه كان بحاجة للمال أولاً وإلى تعليمات من الرابطة الإنجيلية الصينية. فلماذا تأخروا طويلاً؟.

الفصل العاشر
واحد من الجمهور

كان المرسلون الآخرون يراقبون هدسون عن كثب. كانت الرابطة الإنجيلية الصينية منظمة جديدة، وكانوا يريدون أن يروا كيف كانت تعتني الرابطة برجلها الوحيد. وما رأوه لم يكن يعطي انطباعاً جيداً. كانت الصورة بالنسبة لهم، أن الرابطة قد أرسلت رجلاً غير مؤهل وغير متزوج، ودون أي تعليمات فيما يختص بما يريدونه أن يفعل، وقد توصلوا لذلك بناء على ملبسه والطعام الذي كان يأكله، مع قلة دخله. ما الذي كانوا يفكرون فيه؟

بعد عدة شهور بدأ هدسون يتساءل عن نفس الشيء. أصبح أكثر عزلة. لم يكن يجرؤ على أن يخبر أي واحد عن مدى صعوبة الأمور بالنسبة له، ولو فعل ذلك لأعطى المرسلين الآخرين المزيد من المبررات لانتقاد الرابطة الإنجيلية الصينية.

أخيراً، بدأت الخطابات تصل من الرابطة. تسلم هدسون خطاب الائتمان الخاص به واستطاع تدبير بعض المال لدفع نفقاته. ولكن المال لم يكن كافياً. دفعت له الرابطة مرتباً يعادل ٨٠ جنيهاً أسترلينياً في السنة، كان عليه أن يدبر بها كل نفقاته. كان المرسلون العزاب في

الرابطة المرسلية اللندنية يُدفع لهم سبعمائة جنيه استرليني في السنة، كما كان يُدفع لهم الإيجار والنفقات الأخرى. كتب هدسون إلى الرابطة الإنجيلية الصينية وشرح لهم كيف أن الحرب قد رفعت أسعار كل شيء في شنغهاي. تساءل إن كان في إمكانهم زيادة المبلغ الذي كانوا يدفعونه له، في ضوء ارتفاع تكلفة المعيشة. لم يكن الخطاب الذي أرسلوه له رداً على خطابه هو ما كان يتوقعه.

بدلاً من زيادة دخل هدسون، أعلنت الرابطة أنها سوف ترسل مرسلاً آخر ليعمل في شنغهاي، ليس مجرد شخص أعزب مثل هدسون، ولكن رجلاً له زوجة وطفلان. في الواقع، كان الدكتور باركر وعائلته في طريقهم على ظهر سفينة تدعى الـ "سويفت شور".

أراد هدسون أن يشعر بابتهاج لفكرة وجود مرسل آخر من الرابطة الإنجيلية الصينية معه في شنغهاي، ولكنه كان في معظم الأحيان ممتلئاً بإحساس الخوف. وكالمعتاد، لم ترسل الرابطة أي تعليمات فيما يختص بالطريقة التي يريدونه أن يستعد بها لوصول الدكتور باركر. فقد افترض أنهم يريدونه أن يستأجر منزلاً حتى يمكنهم جميعهم أن يعيشوا فيه ويجعلوه المركز الرئيسي للرابطة في الصين. ولكنه ظل يخبر الرابطة في خطاباته إليهم في لندن بأنه لا يوجد بيت يمكن استئجاره في كل المستوطنة الدولية بسبب الحصار. كان هدسون يبلغ من العمر ٢١ سنة، لا يكاد بمقدوره أن يعيش على دخله الهزيل، والآن كان عليه أيضاً ان

يتحمل المسئولية عن عائلة بأكملها في مدينة لم يتوفر بها منزل أو حجرة للإيجار. تساءل عن مقدار ما أعلنته الرابطة الإنجيلية الصينية لأسرة باركر عن الأحوال في شنغهاي. وعندما يصلون، فهل سيصابون بالدهشة بسبب الأحوال كما حدث له؟

تناول هدسون أول وجبة له في الصين مع عائلة بردون، وهما زوجان شابان تابعان للرابطة المرسلية اللندنية. صارت عائلة بردون وهدسون أصدقاء حميمين وكانوا يقضون الكثير من الوقت معاً. والآن كانت مسز بردون على فراش الموت بسبب الكوليرا. قضى هدسون الساعات الطوال في بيت عائلة بردون للعناية بمسز بردون، وزوجها، جون، الذي كان مريضاً أيضاً، وابنتهما الطفلة البالغة من العمر ثلاثة شهور. وأخيراً في ٢٦ سبتمبر، ماتت مسز بردون، وبحزن عظيم، قام هدسون بإجراء الترتيبات لخدمة جنازتها ودفنها. استعاد جون بردون قواه ببطء. وفي نهاية أكتوبر، قرر أن يترك بيته. ويعيش مع قسيس الرابطة المرسلية اللندنية، والذي كانت زوجته سوف تساعده في العناية بابنته الصغيرة. عرض جون بردون أن يؤجر المنزل لهدسون، والذي قبل ذلك بسرور.

كان الوقت الآن في منتصف نوفمبر، وفي كل صباح كان هدسون يمشي إلى أرصفة الميناء ليرى إن كانت هناك أخبار تتعلق بوصول سفينة سويفت شور وعندما لم يصله أي شيء يتعلق بوصولها بعد عدة

أيام، بدأ يتساءل عما إذا كانت قد تحطمت. وقد استبد به القلق أكثر بعد أن سمع خبراً مفاده أن الدمفرايز قد تحطمت في رحلة العودة إلى إنجلترا، ولكن لحسن الحظ فقد نجا القبطان موريس وفريق بحارته.

أخيراً في ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٥٤، بعد أسبوعين، أبحرت الـ سويفت شور في أعالي نهر "هوانج بو" متجهة إلى شنغهاي. رست السفينة، وحيا هدسون "الباركرز" بحفاوة. ولدهشته البالغة، فمع أن "الباركرز" تركوا إنجلترا ومعهم طفلان، إلا أنهم وصلوا إلى شنغهاي ومعهم ثلاثة. وضعت مسز باركر طفلاً في أثناء الرحلة.

اتفق هدسون مع بعض الحمالين كي يحملوا أمتعتهم، بعد تسعة شهور من توليه نفس المهمة بنفسه، واقتادهم جميعاً في شوارع المستوطنة الدولية إلى مجمع الرابطة المرسلية اللندنية.

في المجمع، أرى "الباركرز" المركز الرئيسي الجديد للرابطة الإنجيلية الصينية. وحتى مع وجود متعلقات هدسون مبعثرة في كل أنحاء البيت، كان يبدو فارغاً. كان هناك القليل من الأثاث في البيت، لأن كل نقود هدسون كانت قد أنفقت في دفع الإيجار. كانت عملية شراء الأثاث يجب أن تنتظر بعض الوقت.

في صباح اليوم التالي، ذهب هدسون والدكتور باركر، وهو رجل اسكتلندي ذو عقلية استقلالية، إلى القنصلية البريطانية لاستلام البريد. أخبر الدكتور باركر أن خطاب ائتمان الرابطة الإنجيلية الصينية

سوف يكون في انتظاره عند وصوله. وكما حدث تماماً مع هدسون، فقد صدم الدكتور باركر عندما لم يكن هناك مثل هذا الخطاب في انتظاره. لقد أصبحت قصة مألوفة الآن بالنسبة لهدسون.

ومع ذلك، فقد كان يخامر هدسون شعور طيب بأن له زميل عمل في الإرسالية. إن هدسون وباركر سوف يجلسان ويتحدثان ويضعان خطة العمل حتى وقت متأخر من الليل، ومع ذلك فعلى الرغم من الصحبة الطيبة، شعر هدسون بالاكتئاب. لقد بقى في الصين لما يقرب من عام الآن، وكان لا يزال قابعاً في شنغهاي، كان يتوق بشدة ليتمكن من بداية التحرك نحو الداخل. ولكن مع اشتعال الحرب والاتجاه العدائي تجاه الأجانب، لم يكن لديه الكثير الذي يمكن أن يفعله حتى يتغير الموقف. وبالطبع، كان هو المرسل "الأكثر خبرة" في الرابطة الإنجيلية الصينية، ولهذا كانت تقع على عاتقه مسئولية العناية بالباركرز. ويا للمفارقة الغريبة! فها هنا في شنغهاي، كان قلب الصين يبدو أبعد عن متناول هدسون عما كان عليه عندما كان في إنجلترا.

وأخيراً، في فبراير سنة ١٨٥٥، جاء لهدسون خبر سار. فقد تمكن الكسندر ويلي وجون بردون من الحصول على إذن يسمح لهما بالسفر إلى داخل الصين لمدة أسبوع واحد، وقد أرادا أن يذهب هدسون معهما.

في اليوم الثاني من رحلتهم، قرروا إقامة خدمة تعبدية على قمة جبل يمكنهم من رؤية شنغهاي من على بعد. كانت بقعة جميلة، وسرعان ما انهمكوا في تقديم الشكر لله على خليقته الرائعة وللسماح لهم بامتياز أن يكونوا خدامه في الصين. وفي أثناء عبادتهم، نظر هدسون في اتجاه شنغهاي ورأى سحابة كبيرة من الدخان ترتفع إلى عنان سماء المدينة. كان هذا يعني شيئاً واحداً: أن شنغهاي قد سقطت لصالح الجيش الإمبراطوري. ولكن ماذا كان الثمن؟

قطع الرجال الثلاثة رحلتهم وأسرعوا عائدين إلى شنغهاي، غير عالمين ما يمكن أن يلاقونه. وأثناء عودتهم، قابلوا في طريقهم أناساً هاربين أخبروا المرسلين الثلاثة أنه بدلاً من استسلامهم، فإن أصحاب القبعات الحمراء قد فجروا البوابة الجنوبية وأضرموا النار في المدينة. دخل الجيش الإمبراطوري المدينة بعد ذلك وبدأ يقتل الناس. كان هناك حمام دم، وكان الرعب مرتسماً على وجوه الهاربين.

عندما وصلوا المدينة، وجدوها حسبما قيل لهم. كانت الجثث في كل مكان. كان يبدو كما لو لم يكن هناك منزل أو مبنى في كل المدينة لم يحترق بالنار. كان الموت والدمار في كل مكان. النظر إلى المشهد جعل هدسون يصاب بالغثيان.

ولحسن الحظ، فباستثناء التلف الناجم عن بضع قذائف مدفعية قليلة، فإن المستوطنة الدولية لم تصب بأذى.

في تلك الليلة، لأول مرة منذ وصول هدسون إلى الصين، كانت شنغهاي مدينة صامتة. لم تكن هناك قنابل، أو انفجارات. كان هناك صمت الموت فقط.

عمل المرسلون بجد في الأسابيع التالية، مقدمين الخدمة لأولئك الذين قد نجوا من المذبحة. بدأت شنغهاي جديدة تبرز ببطء من بين الأنقاض.

منذ أن قطعت رحلتهما الأولى قرر هدسون وجون بردون القيام برحلة أخرى. في هذه المرة فإنهما سوف يتجهان صوب تونج شو، إلى مكان أبعد على نهر يانجتسي. كانت تونج شو تعرف أيضاً "بكرسي الشيطان" لأن أهل المدينة كانوا لا يخضعون لسيادة القانون ويصعب السيطرة عليهم. كانت المدينة مليئة بالجرائم مما دفع معظم الصينيين لتجنب المدينة تماماً.

استأجرا سفينتين صغيرتين واتجها صوب أعالي النهر. عندما وصلا إلى رصيف الميناء، استبد القلق برباني السفينتين فيما يتعلق بسلامة هدسون وجون بردون. لابد أنهما قد سمعا عن شهرة المدينة، ولذا فكر هدسون في خطة للهروب. فلو لم يعد هو وجون بردون قبل حلول الظلام، كان من المفروض أن تتجه إحدى السفينتين نحو مصب النهر إلى شنغهاي بأسرع ما يمكن لإذاعة خبر القبض عليهما. وكان على السفينة الأخرى أن ترسو بالقرب من رصيف الميناء تحسباً لتمكن الرجلين من الهروب.

مع إعداد خطتهما، نام الرجلان بعمق وأعدا حقائبهما مع أول ضوء.

كانت مدينة تونج شو تقع فعلاً على مسافة كبيرة من الرصيف على النهر، ولذا فإن هدسون، وجون بردون، وخادم بدأوا في المشي نحو المدينة. ولكن الطريق كان وعراً جداً، وكان عليهم أن يمشوا ببطء. وأخيراً قرروا أنه من الأسرع استئجار عربات يد ورجال يدفعونهم ليأخذوهم إلى تونج شو. كانت عربات اليد وسيلة مألوفة من وسائل المواصلات في الصين. وكانت كبيرة للدرجة التي تسمح بجلوس رجل مع وجود مكان بجواره للحقائب. استأجروا ثلاث عربات وركبوا فيها، جنباً إلى جنب مع الكتب المقدسة باللغة الصينية والنبذ التي كانوا يحملونها، واستعدوا للتحرك.

كان الرجال الذين يدفعون العربات يعرفون كل مطب في الطريق وكانوا يوجهون عرباتهم بالالتفاف حولها. بينما كانوا يهرولون بسرعة، كان لدى الخادم الذي اصطحبهم متسع من الوقت ليفكر في المكان الذي كان ذاهباً إليه معهم. وأخيراً عندما بصق أحدهم عليه لسفره مع "الشياطين الأجانب" لم يستطع أن يتحمل أكثر من ذلك. صرخ في الرجال الذين كانوا يدفعون العربات لكي يقفوا وطلب من هدسون وجون بردون أن يسمحا له بالعودة إلى البواخر. ولما رأى المرسلان مقدار هلعه وخوفه، وافقا على ذلك

كانـا يقتربـان مـن المديـنة عـندما أشار إليهما رجل تبدو عليه إمـارات الأهمـية بـأن يـتوقفا. تحـدث إلـيهما بلغـة المـاندارين وطلب من كليهما ان يستديرا إلى الخلف. لم تكن تونج شو مكاناً آمناً للأجانب، ولم يكن يعتقد أنهما يستحقان الموت هناك.

واصـل الرجل المسيرة، ولكن دافعو عربات اليد لم يكونوا على استعداد للسـير أكـثر مـن ذلـك. كانوا مقتنعين بأن "الشياطين الأجانب" الذيـن كـان يركب إثنان منهما في عربات يد خاصة بهم، سوف يهاجمان ويقـتلان، ولو حالوا بينـهما وبين المهاجمين، فلربما يقتلون هم أيضاً. ولذا فقـد أمـروا هدسـون وجـون بـردون بـترك العربات، واتجهوا بعرباتهم في الاتجاه المضاد.

وجـد هدسـون اثـنين مـن دافعـي عـربات الـيد عـلى استعداد لحملهما إلى المدينة، ولكنهما طلبا بأن يدفع لهما "مبلغ من المال في مقابل الخطـر" الـذي يـتهددهما. وأخـيراً، وبـدون خادمهمـا، ومـع رجلـين جديديـن، وجد هدسون وجون بردون نفسيهما يدخلان البوابة الغربية من تونج شو.

خـرجا مـن عربتي اليد الخاصتين بهما. اختلط التراب والعرق معـا. لـيكونا أخـاديد صـغيرة مـن الطـين كانـت تجـري أسـفل رقبتـيهما وتـهطـلان مـن جبينيهمـا. سـحب هدسـون بعض الكتب المقدسة من حقيبته وسـأل الـناس إن كـان بإمكـانهم أن يقـرأوا. فـإذا كان الشخص يقول إنه

يستطيع القراءة، كان يعطيه كتاباً مقدساً ويقول له إنه رسالة الله له. شكره عدد كبير من الناس. بدت الأمور وكأنها تجري في هدوء، ولكن ليس على المدى الطويل، إذ شق رجل مخمور ضخم الجسم طريقه نحو مقدمة الجماهير التي كانت قد اجتمعت حول الرجلين، وأمسك بهدسون من الحلق، وابتدأ يخنقه. كان هدسون يلهث ويتكلم بسرعة على نحو غير مفهوم وهو يحاول أن يزيح يد الرجل من فوق حلقه.

بدأ جون بردون يصيح: "نحن نطالب بأخذنا إلى الحاكم"

أرخى الرجل المخمور قبضته من على حلق هدسون. وقال بسخرية: "نحن نعرف ما سوف نفعله بكما!"

تصاعد زئير من وسط الجمهور، وبدأ الناس يسددون ضربات للمرسلين بالعصى. بدأوا يتصايحون: "اقتلوا الشياطين الأجانب"

كان القابض على هدسون يجره من رقبته الآن، وكان رجلان يجران جون بردون. وحتى بالرغم من ذلك، استطاع جون بردون أن يمد يده إلى حقيبته ويلقي بالنبذات إلى الناس.

ولكن إلقاء النبذات ضايق عدداً كبيراً من الناس من الرعاع. فبدأوا يطعنون المرسلين بعصيهم بقوة أكبر عن ذي قبل.

"تذكر كيف فرح الرسل أنهم حسبوا أهلاً لكي يتألموا لأجل المسيح" صاح هدسون مردداً هذا القول لبردون بالإنجليزية.

شدد الرجل المخمور الضخم قبضته على حلق هدسون لدرجة أنه لم يستطع أن يتكلم أكثر من ذلك. كان على هدسون أن يفعل شيئاً، ولكن ماذا فعل؟ تذكر بطاقته الشخصية في الجيب الأيسر لبنطلونه. وببطء أدخل يده في الجيب. استطاع أن يتحسس البطاقة. وأمسك بها بسرعة ولوح بها في الهواء.

صاح قائلاً: "إني أطالب بأن أؤخذ إلى الحاكم"

منظر بطاقة الهوية الأجنبية أسكت الرعاع. كانت البطاقة تعني أن الرجلين اللذين يجرانهما من المرجح أن يكون لهما أصدقاء مهمون. فقرروا أنه ربما يكون من الأفضل أخذهما إلى الحاكم.

سقط هدسون على الأرض أمام بيت الحاكم، في حالة من الإعياء التام. كان حلقه يحترق، وشعر أن جسمه كله مفكك الأوصال. دخل زعماء ثورة الرعاع إلى الداخل ليتكلموا مع الحاكم. وتزاحم بقية الرعاع حول الرجلين. ولكن جون بردون، أدرك أنها فرصة عظيمة. ها هنا جمع غفير لم يسمع أبداً عن يسوع. وقف مستنداً إلى حائط وبدأ يعظ الجمهور.

بعد دقائق قليلة، خرج خدام الحاكم وجروا هدسون وجون بردون إلى داخل البوابات. اوقفوهما على قدميهما وأخبروهما أنهما سوف يذهبان لرؤية تشين تالاووي (الجد المبجل الأكبر لتشين) ، حاكم تونج شو.

اقتيد هدسون وجون بردون إلى حجرة مليئة بأثاث الخشب اللامع والصور الحريرية الملونة. كان الجد المبجل الأكبر تشين يجلس على كرسي ذي وسائد عند الطرف البعيد للحجرة.

رحب بهما الحاكم وأخذهما إلى حجرة خاصة وقدم لهما بعض الشاي. سر هدسون بشرب الشاي، لأنه لطف من الآلام التي كانت في حلقه. شرح لهما الجد تشين أنه يعرف الكثير من الأشياء. فقد كان موظفاً في شنغهاي وكان على دراية بمعاهدة نانكنج، وأنه لا يصح أن يعامل الأجانب معاملة سيئة. سأل عما كانا يفعلانه في تونج شو، وبما أن هدسون كان يتكلم اللهجة الماندرانية بصورة أفضل. فقد أجاب على أسئلة تشين. قال إنهما يقدمان حقيقة الله إلى شعب المدينة، وأوضح كيف أنهما لم يقصدا أن يسببا أي اضطراب. وقال أيضاً إن الجمهور لم يعاملهما معاملة حسنة وأنه يأمل أن تمضي الأمور بأكثر سلاسة منذ ذلك الوقت فصاعداً.

أومأ الحاكم رأسه بالموافقة. وكان مسروراً أن الزائرين لم يشتكيا من مواطنيه، كما فعل معظم الأجانب. كان هذان أجنبيان يعرفان بعض العادات الصينية.

سأل هدسون الجد المبجل الأكبر إن كان بإمكانه أن يترك له كتاباً مقدساً ليقرأه وإذا كان يمكنه أن يوزع بقية كتبهما المقدسة ونبذهما في المدينة.

أومأ الحاكم رأسه بالموافقة. وبالإضافة إلى ذلك فقد أمدهما بمرافق حتى لا يتعرضا للتكدير مرة أخرى.

هذه المرة، كان هدسون وجون بردون يعاملان في الشوارع كضنيفين مهمين على الحاكم، وإذا لم يتحرك الناس من الطريق بسرعة ويسمحوا لهما بالمرور، كان مرافقوهما يستخدمون ضفائرهم الطويلة كسياط لإفساح الطريق. وهكذا، فبحماية ضفائر حراس الحاكم، وزع المرسلان آخر ما تبقى من نبذاتهما وكتبهما المقدسة.

ولدهشة الجميع، عاد المرسلان إلى السفينتين مرة واحدة وقبل حلول الظلام.

خلال السنة التالية، قام هدسون، بصحبة عدد آخر من المرسلين، برحلات عديدة إلى داخل البلاد من شنغهاي. وقام أيضاً برحلة ساحلية إلى ميناء آخر من موانئ المعاهدة، هو ميناء ننج بو. اصطحبه الدكتور باركر في تلك الرحلة. كان هناك عدد كبير من المرسلين يعملون في ننج بو، وكان هناك أيضاً العديد من التجار الأجانب والموظفين. ولكن في كل أنحاء المدينة، لم تكن هناك عيادة طبية أو طبيب. صلى هدسون والدكتور باركر وتحدثا عن الفرصة المتاحة. وأخيراً، قررا ضرورة انتقال الدكتور باركر وعائلته إلى ننج بو وإقامة مستشفى هناك.

بينما كان هدسون يقوم برحلاته الداخلية، كان يعاني من مشكلة. ما قاله له ولهلم لوبسكيد قبل أربع سنوات في الاجتماع في لندن

كـان صـحيحاً. وحـتى عندما كان على بعد عشرة أو عشرين ميلاً فقط من شـنغهاي، كـان مـنظره يخـيف الـناس. فلم يكونوا معتادين على الملابس الأجنبـية، والأحذية اللامعة، أو الشعر الأشقر المجعد. تذكر أن الدكتور مدهرسـت كـان يـرتدي الملابس الصينية عندما كن يقوم برحلاته الأولى في قلـب الصـين، لكي يندمج مع الناس. ولذا فقد تكلم مع الدكتور مدهرست عن الموقف، وشجعه الطبيب على أن يبدأ في ارتداد الملابس الصينية.

إن ارتـداءه لـلملابس الصـينية قـد يسر الشعب الصيني، ولكن هدسـون كـان يخامـره شعور بـأن ذلـك قـد يغضب الكثيرين من المرسلين الآخـرين. فقـد كـانوا يعـتقدون أنهـم "يمدينون" الصينين، وارتداء الرجل الإنجلـيزي لـلملابس الصـينية كان يجعل الأمور تسير في الاتجاه الخاطئ تمامـاً. بالإضـافة لأن المظهـر الـبريطاني كان يعطي نوعاً من الحماية. كل واحـد كان يعرف أن إيقاع الأذى بشخص يرتدي الملابس الإنجليزية كان إهانة للإمبراطورية البريطانية القوية.

ولكـن عـندما كـان هدسون يتفكر في هذه الأمور، أصبح مقتنعاً ان ارتـداء الملابس الصينية يحتوي نقاطاً جيدة أكثر مما يحتوي على نقاط سيئة. ولـيس ارتـداء ملابـس كالصـينيين فقـط، بـل التشـبه بهـم أيضاً. اسـتأجر حلاقـا قـص الخصـلات الشقراء المجعدة والتي كانت تتدلى على جبيـنه، ثـم قص الحلاق النصف الأمامي من رأس هدسون. أحدث الموس القلـيل مـن الجـروح في فـروة رأسه كانت تؤلمه عندما كان الحلاق يسكب

صبغة الشعر السوداء على ما تبقى من شعره. ما أن اكتملت الصباغة، حتى جدول الحلاق ضفيرة مزيفة في خصلات شعره المكتسية حديثاً باللون الأسود.

بعد ذلك اشترى هدسون لنفسه بعض الملابس الصينية وارتداها. بدأ أولاً بالبنطلون الذي كان واسعاً جداً. فقد كان وسطه يبدو ضعف وسطه الحقيقي. كان التاجر على حق، فمقاس واحد كان يناسب الجميع على وجه التحديد. لحسن الحظ، كان الناس يرتدون بنطلوناتهم مع استخدام حزام. ولذا فقد لبس الحزام وأدخل الجزء العلوي من البنطلون بداخله. ثم ارتدى الجورب. كان الجورب خشناً يحتك بقدميه، ولم يكن له (أستك) في الجزء العلوي منه. كانت يتم إدخال الجزء السفلي من بنطلونه المنتفخ الحجم في الجورب، وكان للجورب رباطان قويان يستخدمان لشد البنطلون لأسفل ورفع الجورب لأعلى. لبس قميصاً من القطن غير المزخرف، ثم ارتدى فوقه سترة طويلة مزخرفة. كانت هذه السترة تصل حتى قدمي هدسون، مخفية بنطلونه المنتفخ. كانت أكمام السترة تتدلى إلى ما تحت أطراف أصابعه بـ ١٨ بوصة. كان في كل مرة يريد استخدام يديه، كان عليه أولاً أن يتذكر أن يرفع أكمامه إلى أعلى، ثم ينزلهما إلى أسفل بعد ذلك. كان الأمر يبدو غير عملي بالنسبة لهدسون، ولكن هذه كانت الطريقة التي يرتدي بها الصينيون ملابسهم. ولكن قد ثبت أن الحذاء كان أصعب ما يمكن التعامل معه. كان عليه أن

يـثني جوربـه على قدميه ثم يقوم بمناورة لكي يرفع الحذاء القماش فوقه. كـان الحـذاء مصـمماً لكي يلتف حول أصابع القدم بالاتجاه إلى أعلى على شكل ثنيات، وكانت الثنيات تمتد لكي تمسك بالجزء السفلي من سترته. نظر هدسون إلى نفسه في المرآة. كان الآن رجلاً صينياً أزرق العينين.

وحـتى بالـرغم مـن ذلك، فقد استغرق قليلاً من الوقت قبل أن تواتـيه الجسـارة الكافـية ليمشـي خارج بيته في زيه الجديد. ولكن عندما فعـل ذلـك، اكتشـف أن الـناس لم تعره كثيراً من الالتفات. وبعد أن طال به الأمد وهو مختلف على هذا النحو، كان من الغريب أن يمشي بمحاذاة شـخص صـيني دون أن يحملـق فـيه، أو دون أن يـثير فضـول الجمهـور عـندما كـان يـتوقف ليشـتري فاكهة من السوق. فللمرة الأولى منذ أن غادر لندن، شعر حقيقة أنه شبيه بأي واحد من الجمهور.

الفصل الحادي عشر

أسعد إنسان على ظهر الأرض

في كل أسبوع، كان الدكتور مدهرست يعقد اجتماع صلاة في بيته. وكان هدسون يحضر الاجتماع بانتظام، كما كان يفعل وليم برنز، وهو خادم مشيخي من إنجلترا قام بعدة رحلات إلى قلب الصين مع هدسون. وفي إحدى ليالي الشتاء القارسة البرودة، كان يحضر اجتماع الصلاة القبطان باورز، قبطان الجيلنج، وهي سفينة شراعية ساحلية كانت تقوم بخدمة مواني المعاهدة، فكانت تظهر وتختفي على ساحل الصين. طلب باورز الصلاة لأجل مدينة سواتو، على بعد ٨٠٠ ميل جنوباً. كان القبطان قد جاء لتوه من هناك ولم يستطع أن ينسى الفظائع التي رآها هناك. لم تكن سواتو ضمن مواني المعاهدة، ولكن كان هناك أجانب كثيرون يعيشون هناك. كان معظمهم تجار: تجار أفيون، وعبيد، وعاهرات. كان القبطان باورز يريد من المجموعة أن تصلي حتى يشعر أحد المرسلين بالدعوة للذهاب إلى هناك.

لم يستطع هدسون أن يخرج من ذهنه كل ما قاله القبطان باورز عن سواتو. تأكد أن الله كان يدعوه للذهاب. كانت هناك مشكلة واحدة. لقد أصبح هو ووليم برنز صديقين حميمين. كان هدسون يكره

فكرة ترك صديقه. في الواقع، لقد أصبحا فريق عمل مؤثراً، يخدمان سوياً. ولكن على الرغم من مشاعره الشخصية، كان على هدسون أن يطيع الله. ولذا فقد ذهب ليخبر وليم برنز بقراره. وعندما قال هدسون أخيراً إنه ذاهب، علت ابتسامة مشرقة وجه وليم برنز. ففي نفس ذلك المساء، كان ذاهباً ليخبر هدسون بنفس الشيء بالضبط. لقد دعاه الله إلى سواتو أيضاً.

في مارس سنة ١٨٥٦، في رحلة مجانية على ظهر الجيلونج، بدأ الرجلان رحلتهما جنوباً. بقيت السفينة قريبة من السهل الساحلي، وكلما اقتربا إلى الجنوب أكثر، استطاعا أن يشاهدا النباتات والأشجار وقد أصبحت أقرب إلى الأشجار الاستوائية. فأشجار التفاح قد استبدلت بأشجار الموز، والسهل الخصيب المجاور للنهر المحيط بشنغهاي قد تحول ببطء إلى جبال منحدرة، أقيمت على سفوحها مصاطب لزراعة الأرز. اختفى الطمي متيحاً المجال لظهور الشواطئ الطويلة الرملية البيضاء اللون. كان كل شيء دافئاً ومشرقاً ووفيراً مقارنة بشنغهاي في الشتاء.

في سواتو استأجر الرجلان حجرة علوية فوق دكان لبيع البخور. كانت حجرة كبيرة بطول الدكان. وللوصول إليها، كان عليهما أن يتسلقا سلماً موضوعاً خلف الطاولة. لم يكن هناك باب سري موصل إلى الحجرة، وفي أي وقت كان كل شخص في الدكان يشعر بحب

استطلاع بشأن ما يفعله الشياطين الأجانب، كان يصعد السلم وينظر إلى الداخل.

تعلم هدسون جانباً من اللهجة المحلية، ولم يمض وقت طويل حتى كان يبشر في الشوارع. أسس هو ووليم برنز أيضاً عيادة طبية صغيرة. وسرعان ما امتلأت العيادة بالناس. كان هدسون يبذل كل ما في وسعه لتلبية احتياجاتهم، ولكنه كان قد ترك معظم أدويته، ومعداته الجراحية، وكتبه في شنغهاي. وحتى تؤدي العيادة رسالتها عل ما يرام، تقرر أن يقوم هدسون برحلة طويلة للعودة إلى شنغهاي وتجميع كل متعلقاته.

كان من الممكن لشخص ما في شنغهاي أن يوفر عليه عناء الرحلة لو أنه أخبره أن حريقاً قد شب في مخزن الرابطة المرسلية اللندنية ودمر كل معداته الطبية. ولكن بما أنه لم يتلق مكتوباً من أي واحد، فقد كانت صدمة كبيرة بالنسبة لهدسون عندما وصل إلى شنغهاي. ومع أنه كان يائساً ومحبطاً بسبب ما حدث لمتعلقاته، إلا انه قرر أنه بعد سفر لمسافة ٨٠٠ ميل، فانه لن يعود فارغ اليدين. ولذا فقد اتجه إلى ننج بو ليرى إن كان لدى الدكتور باركر أي إمدادات احتياطية.

عندما وصل، وجد أن المستشفى الجديد قد اكتمل تقريباً. وبعد أن سر الدكتور باركر لرؤية هدسون، طلب منه مساعدته في تنظيم

الأشياء. كان أمامهما الكثير ليقوما به. قرر هدسون أن الخبرة سوف تكون مفيدة له عندما يعود إلى سواتو.

مضى شهران قبل ترتيب كل شيء. شعر هدسون بعظيم الارتياح عندما فتحت المستشفى أبوابها وبدأت في تلبية الاحتياجات الطبية للسكان المحليين. أتاحت له مدة الشهرين أيضاً فرصة طيبة لمعرفة جون جونز وزوجته ماري، اللذين كانا آخر مرسلين أرسلتهما الرابطة الإنجيلية الصينية للصين. أصبح جون جونز وهدسون صديقين حميمين. وقاما بعدة رحلات قصيرة سوياً لبعض المستوطنات الواقعة حول ننج بو للتبشير بالإنجيل وتوزيع النبذات والكتب المقدسة.

عقد هدسون صداقة أخرى أثناء إقامته طيلة الشهرين في ننج بو. كان الباركرز يتناولون العشاء مساء كل أربعاء مع مس "ألدرسي" والأختين داير. كانت مس "ألدرسي"، في الستين من العمر إمرأة قوية الإرادة. كانت قد قضت في الصين مدة طويلة وأسست بمفردها مدرسة كبيرة وملجأ، أول ملجأ من نوعه يفتحه البروتستانت في الصين. عندما كانت مس "ألدرسي" تصمم على شيء، لم تكن تتراجع عنه. كانت قد قررت ذات مرة أن المشي في الصباح الباكر مفيد لصحتها. فكان الناس يرونها في تمام الساعة الخامسة صباحاً وهي تدور مرة واحدة حول سور المدينة سيراً على الأقدام. وحين كان الثلج ينزل، كانت ترتدي ملابس أكثر. وإذا كانت الدنيا ظلاماً أو كان الضباب كثيفاً، كان خادم يمشي

أمامها وهو يحمل فانوساً. لم يكن يعوقها شيء عن مشيتها الصباحية المعتادة.

كان عدد كبير من أفراد الشعب الصيني يجد صعوبة في تخيل أن الإمبراطورية البريطانية القوية تحكمها إمرأة، الملكة فيكتوريا. أما الذين عرفوا مس "ألدرسي" لم يجدوا أي وجه غرابة في ذلك على الإطلاق.

كانت الأختان داير، وإحداهما تبلغ من العمر ٢١ سنة وتدعى برونيلا، والثانية تبلغ من العمر ١٩ سنة وتدعى ماريا، قد جاءتا إلى ننج بو عن طريق مجموعة من الظروف المعقدة وغير المباشرة.

كانت البنتان قد ولدتا في سنغافورة، حيث كان أبواهما من أوائل المرسلين في الرابطة المرسلية اللندنية. وعندما مات أبوهما، تزوجت أمهما المستر "بوسام" الذي أصبح زوج أم البنتين. لم يمض وقت طويل بعد ذلك، حين ماتت أمهما، وتزوج مستر "بوسام" مرة أخرى. استمرت البنتان تعيشان معه ومع زوجته الجديدة. بعد ذلك بعدة سنوات، مات مستر "بوسام" أيضاً. بعد موته، أصبح عم البنتين، وليم تارن، الذي كان يعيش في لندن، وصياً عليهما. كان يدفع تكاليف تعليمهما ولكن البنتين ظلتا على اتصال وثيق بمسز بوسام، والتي حتى وإن لم تكن تعرف أياً من والديهما، كانت بمثابة الأم لهما.

وبما أن مس "ألدرسي" كانت تتقدم في السن، فقد طلبت من مسز بوسام أن تأتي إلى الصين وتستعد لتولي إدارة الملجأ والمدرسة بدلاً منها. وافقت برونيلا وماريا على الذهاب معها إلى الصين. وبذلك جاءت كلتا البنتين لتعيشا في ننج بو.

خلال الوقت الذي كانت فيه البنتان في ننج بو، كانت مس ألدرسي قد أعطت المزيد والمزيد من إدارة شئون الملجأ والمدرسة لمسز باوسوم. ولتوفر المزيد من وقت الفراغ لديها، فقد تولت المزيد والمزيد من إدارة شئون ماريا وبرونيلا. كانت تعتقد أنهما شابتان ضعيفتان في بلد كان يمكن فيه للرجال أن يستغلونهما. كانتا بحاجة ماسة للحماية، وكانت هى على استعداد لتوفيرها لهما.

لهذا السبب، لم تكن مس ألدرسى مسرورة عندما طلب الدكتور باركر الإذن باحضار هدسون لتناول العشاء في بيتها. كان يمكنها ان ترفض، ولكن لم يكن ذلك سلوكاً لائقاً. ومع ذلك فقد كانت تشكل استضافة تايلور بالنسبة لها نوعاً من الحرج والتأفف. كان قصيراً، له شعر مصبوغ وضفائر مضحكة. وكان يرتدي ملابس صينية مبتذلة. سألت البنتان في إحدى الامسيات بعد أن غادر المنزل: "هل حقاً لا يفتخر بكونه بريطانياً؟"

أما من جانب هدسون، فقد كان يستمتع بالامسيات في منزل مس ألدرسي. كانت برونيلا وماريا ترنمان كلتاهما بصوت جميل، وكان

الطعـام إنجلـيزياً دائمـاً، يذكره بالطعام الذي كانت أمه تطهوه. ولكنه لم يـدرك إطلاقـاً، الـتأثير الـذي كان له على إحدى البنتين. وعلى الرغم أن مـس ألدرسـي كانـت تـزداد كراهـية لهدسون مع كل زيارة، إلا أن ماريا الطويلـة، النحـيلة، ذات الشـعر البني، كانت ترى أن هدسون أكثر إثارة وجرأة عن أي شخص قد التقت به من قبل.

مـا أن افتتحـت المستشفى وبدأت تعمل، حتى استعد هدسون للعـودة إلى سـاوتو واستئناف عمله مع وليم برنز. أعطاه الدكتور باركر كل الـدواء والمعـدات الـتي استطاع الاسـتغناء عـنها، وبدأ هدسون رحلته إلى شـنغهاي، حيث كانت سفينة أخرى سوف تأخذه على طول الساحل إلى سـاوتو. عـندما وصـل إلى شـنغهاي، كـان ينـتظره خطاب عاجل من وليم برنز. كان برنز قد قرر القيام برحلة داخلية من ساوتو. وفي أثناء الرحلة، كـان قـد قـبض علـيه هـو وخادمـيه مـن قبل السلطات الصينية ووضع في السـجن في كانـتون. وأخـيراً، أطلـق سـراحه وتم تحويلـه إلى القنصـل الـبريطاني. ولكـن القنصـل الـبريطاني قـد مـنعهم مـن العـودة إلى سـاوتو والاستمرار في عملهم هناك. ولذلك لم يكن هناك داع لعودة هدسون.

اصيب هدسـون بـالذهول. لقد استغرق من الوقت ثلاثة أشهر للسـفر والعمـل للحصـول عـلى الـدواء والمعـدات الـتي كـان بحاجة إليها لعـيادته هـناك. وبالإضـافة لذلك، فقد كان يستمتع بالعمل في ساوتو.كان علـيه الكثير ليفعله فهناك الكثير من الاحتياجات، الطبية والروحية على

حد سواء، كان عليه الوفاء بها. فما الذي سوف يحدث لأهل ساوتو بدونها؟

بينما كان يفكر في الموقف، قرر أن أمامه خيارين أثناء الانتظار ليرى إن كانت الأمور تغيرت في ساوتو حتى يستطيع العودة. فإما أن يقيم في شنغهاي أو يعود إلى ننج بو ويعمل مع الدكتور باركر. قرر العودة إلى ننج بو.

رحب الدكتور باركر بعودته. انتقل هدسون إلى بيت في شارع القنطرة، المسمى كذلك، لوجود قنطرة عند طرفي الشارع. استغل الدكتور باركر المنزل كمدرسة، ولكن الحجرة العلوية كانت أبرد من أن يتحملها الأطفال. كان ذلك هو المكان الذي ينام فيه هدسون. وفي صباح الأيام الباردة جداً، كان من المعتاد بالنسبة له أن يستيقظ ويجد طبقة رقيقة من الثلج فوق غطائه قد انزلقت من خلال الشقوق في السقف المصنوع من القرميد.

كان هدسون يؤدي عمله بكفاءة في المستشفى مع الدكتور باركر. وكان يستمر أيضاً في التبشير مع جون جونز في وحول ننج بو.

مضت الأسابيع بسرعة، وسرعان ما جاء عيد الميلاد، حاول الجميع الاستمتاع بقدر من المرح، لأنه لم يكن بعيداً عن مخيلتهم فكرة أن هذا العيد، قد يكون أخر عيد ميلاد يقضونه معاً في ننج بو. وحتى

وهم يهللون وينشدون، لم يكن التهديد بحرب أفيون أخرى بعيداً عن أفكارهم.

كانت الأحداث الأخيرة قد بدأت عندما كانت الـ (أرو)، وهي سفينة صينية ترفع العلم البريطاني، قد تم تفتيشها والعثور على الأفيون بداخلها. قبض على بحارة الـ (أرو) وسجنوا على أيدي المسئولين الصينيين. جن جنون البريطانيين. كيف يجرؤ المسئولون الصينيون على تفتيش سفينة تحمل علم المملكة المتحدة؟ في واقع الأمر، كان للصينيين كل الحق في تفتيش السفينة، حيث أن الـ (أرو) لم يكن لها الحق في رفع العلم البريطاني في المقام الأول. ولكن البريطانيين لم يكن هذا الأمر يشكل مشكلة بالغة بالنسبة لهم. ما كان يقلق البريطانيين أن الصينيين يحاولون التدخل في تجارتهم مرة أخرى. كان لابد من إيقاف ذلك. طلب البريطانيون اعتذاراً فورياً عما حدث، وإلا فإنهم سوف يقصفون مدينة كانتون بالقنابل. وعندما لم يعتذر الصينيون، فتح البريطانيون نيران مدافعهم وقصفوا المدينة.

انحاز عدد كبير من الأجانب، بمن فيهم هدسون، إلى جانب وجهة النظر الصينية. كان على البريطانيين أن يتذكروا أنهم كانوا ضيوفاً في بلد أجنبي. ولكن بالنسبة للصينيين، كان كل الأجانب من طينة واحدة. ووصل الأمر إلى الحد الذي فيه عرضت بعض الجماعات الصينية أن تدفع مبلغاً من المال في مقابل رأس كل شيطان أجنبي يقدم إليها.

وضع هذا العرض كل الأجانب في الصين في موقف بالغ الصعوبة. في هونج كونج، وضع خباز الزرنيخ في خبزه وباع الأرغفة للأجانب. ولحسن الحظ، لم يستعمل كمية كافية من الزرنيخ، وعلى حين أن عدداً كبيراً من الناس قد أصيبوا بالمرض من جراء أكل الخبز، إلا أن أحداً لم يمت. وفي ننج بو نفسها، هوجمت مجموعة من التجار البرتغاليين وقتل أفرادها. بدأ عدد كبير من المرسلين في التفكير بوجوب ترك ننج بو، فلم تعد الصين مكاناً آمناً بعد ذلك.

عرف المرسلون أن الاحتمال الأكبر أن يهاجموا عندما يكونون في مجموعة واحدة، ولكنهم استمروا يلتقون في الكنيسة واجتماعات الصلاة على أي حال. ما لم يكن يعرفونه أن زمرة من الرجال الصينيين الغاضبين قد طلبوا من الحاكم المحلي الإذن بقتل كل المرسلين في ننج بو. أعطى الحاكم إذنه، وكل ما تبقى كان الانتظار حتى يجتمع المرسلون في الكنيسة يوم الأحد. تم عمل الترتيبات أن تهاجم أكبر مجموعة من الرجال الكنيسة أثناء خدمة الأحد، بينما تحيط مجموعة أصغر بأي مرسل لا يكون حاضراً في الكنيسة وتقتله.

كان لأحد الرجال المخططين للهجوم صديق كان يعمل في خدمة مرسل. وعرف أنه عند تنفيذ خطتهم، قد يقتل صديقه مع الأجانب، ولذا فقد حذره بموعد الهجوم، ثم أخبر الرجل المرسل الذي

كـان يعمل عنده بالخطة. فسرى الخبر بسرعة بين المرسلين. قرر المرسلون أن يصلوا بشأن الموقف ودعوا لاجتماع صلاة خاص.

في نفـس الوقـت، سمـع حـاكم لإحـدى المقاطعـات الصـغيرة بالخطـة لقتل المرسلين وذهب إلى الوالي. فأشار بأنه إذا قتل كل المرسلين في المديـنة، فـان ذلـك سـوف يغضـب الأجانـب فتتم مهاجمة ننج بو كما حـدث لكانـتون. وأشـار أن البريطانيين لديهم القدرة على قتل كل صيني في ننج بو وتسوية كل المباني بالأرض ردا على الهجوم. لم يكن الوالي قد فكـر في ذلـك، وعـندما عـلم بذلـك، انـتابه الذعـر. تحـرك الوالي بسرعة وأصدر أمراً بإيقاف الهجوم.

اسـتجيبت صـلوات المرسلين. ولكن حتى على الرغم من إنقاذ حياتهم هذه المرة، كانت الأمور شديدة التوتر في ننج بو. استأجر المرسلون حراسـاً خصوصـيين، ولكـن مـا الذي يمنع الحراس الخصوصيين من قتل المرسلين؟

أخـيراً، تقـرر أن يرجع النساء والأطفال إلى شنغهاي وينتظروا هـناك حـتى تسـتقر الأمـور في نـنج بو. طلب من هدسون وجون جونز أن يصطحبوهم إلى هناك.

ومـع ذلـك، فقـد رفضـت الأخـتان دايـر أن تذهبا. لقد شعرتا أنهمـا بحاجـة للـبقاء ومسـاعدة مسز بوسام في إدارة الملجأ والمدرسة ليظلا مفتوحين.

تم استئجار قاربين لحمل النساء والأطفال إلى شنغهاي. أثناء إبحارهم في القناة الكبرى بعيداً عن ننج بو. واتت هدسون أغرب فكرة تساءل إن كان بمقدوره أن يرى ماريا مرة أخرى أم لا.

ولما عاد إلى شنغهاي، لم يستطع أن يبعد ماريا عن مخيلته. وأخيراً كتب لها خطاباً سألها فيه إن كانت ترغب في معرفته بصورة أفضل، مع الاحتمال أن يتزوجا يوماً ما.

شعرت ماريا بالإثارة حين وصلها خطاب هدسون. فلم تكن متأكدة إن كان يعرف أنها كانت تهتم به أم لا. ولكن سرورها كان بالغاً عندما أبلغت مس ألدرس بالخطاب. صدمت مس ألدرس كيف يجرؤ هدسون تايلور، الرجل الأبله الصغير الجسم والذي يمضي مختالاً من مكان إلى مكان كرجل صيني، على التفكير في الزواج من إحدى "بنتيها"؟ فليس بمقدوره أن يعول نفسه. فأي أمل لديه في أن يعول ماريا أو يجعلها سعيدة؟ مثل هذا الزواج يمكن أن يسبب الكثير من الحيرة والارتباك. لم يكن زواج مثل هذا متصوراً، وكانت مصممة على إيقاف مثل هذا الزواج.

كتبت في الحال خطاباً للمستر تارن، عم ماريا والوصي عليها في لندن، وحذرته بأن مرسلاً غير مرغوب فيه قد وقع في حب ابنة أخيه. بعد أن كتبت ذلك الخطاب، دعت ماريا إلى حجرة مكتبها وجعلتها تكتب خطاباً تخبر فيه هدسون أنها لا تريد أن تتزوجه وطلبت منه ألا يذكر الموضوع مرة أخرى.

اصيب هدسون بالإحباط بسبب خطاب ماريا، ولكنه كان قد بدأ يتساءل عما يمكن أن يمتلكه بالضبط حتى يتقدم لطلب يد زوجته. وضع الخطاب جانباً ووجه انتباهه لموضوع مقلق آخر.

منذ تواجدهما في شنغهاي، كان هدسون وجون جونز قد اكتشفا أن الرابطة الإنجيلية الصينية كانت تستعير النقود التي كانت ترسلها لمرسليها. اقلق ذلك كلا الرجلين. لم يكن هدسون يؤمن بالاستعارة لنفسه، وقد وجد أنه من الصعب أن يقبل شخصاً آخر يستعير لأجله. صلى هو وجون جونز بشأن ما يجب أن يفعلاه. وأخيراً قرر كلاهما أنهما يجب أن يستقيلا من الرابطة الإنجيلية الصينية.

لم يكن هدسون الآن لديه رابطة مرسلية تعوله كما كان لا يوجد مصدر آخر للدخل. كان وحيداً وكان يعتمد على الله لتلبية كل احتياجاته، كما فعل في "هل" ولندن.

بينما كان في شنغهاي، فكر هدسون أيضاً كثيراً في التحدي الذي كان يواجهه المرسلون الأجانب في الصين، وتوصل إلى هذا الاستنتاج: لن تصل رسالة الإنجيل للصين لو تركت المهمة للأجانب وحدهم. كان لابد من التغلب على الكثير من المصاعب. إن أفضل شيء يمكن للأجانب أن يفعلوه أن يدربوا الشعب الصيني على أن يأخذوا الإنجيل إلى قلب الصين إلى ذويهم.

أشرك هدسون أفكاره مع جون جونز، وقرر كلاهما أنهما عندما يعودان إلى ننج بو فإنهما سوف يلقيان بكل ثقلهما في إنشاء كنيسة في المنزل الموجود في شارع القنطرة، حيث يستطيعان تدريب المسيحيين الصينيين على الذهاب والتبشير بالإنجيل.

بعد قضاء شهرين في شنغهاي، استقرت الأوضاع في ننج بو، واستطاعت النساء والأطفال العودة إلى هناك.

بعد عودته، كان هدسون يرى ماريا أحياناً في منزل صديق، ولكن لم يتكلم كل منهما مع الآخر بأكثر مما كانت الضرورة تحتمه. ولكن عندما أخذ يواصل التفكير بشأن ما حدث من تداعيات مع ماريا، تساءل هدسون إن كانت مس ألدرسي هى السبب في خطاب الرفض الذي أرسلته له ماريا. ولذا، فقد قرر أن يزورها. لم تكن زيارة سارة، ولكنه اكتشف أنها هى التي جعلت ماريا تكتب له الخطاب. واكتشف أيضاً بعض الأشياء الأخرى. لقد أوضحت له مس ألدرس جيداً أنه ليس ملائماً لكي يطلب من أي إنسانة أن تكون زوجة له. وقد ذكرته تعليقاتها بالخطاب المرسل له من والد ماريانا قبل ثلاث سنوات.

بعد زيارته، أصبحت الأمور أسوأ مما كانت عليه. بدأت مس ألدرسي في بث الإشاعات بين كل أفراد الجالية عن هدسون. ولكن على الرغم من مجهوداتها، فان هدسون لم يستسلم. أتيحت الفرصة لطلب يدها ليس بعد ذلك بوقت طويل، عندما كان هناك اجتماع صلاة نسائي

في كنيسة بشارع القنطرة. كان هدسون قد خرج في المساء حتى لا يزعج النساء. وعندما رجع، رأى أنه ليس كل النساء قد غادرن المكان. أخذت دقات قلبه تسرع. فتح الباب، وتأكد أن ماريا كانت لا تزال هناك، جالسة بجوار الشباك. كانت مسز بوسام تجلس بجانبها، ولكن مس ألدرسي كانت قد رحلت. كانت تلك فرصة هدسون. سأل مسز باوسوم إن كان بإمكانه التحدث مع ماريا، وسرعان ما كان ثلاثتهم بمفردهم في إحدى الحجرات بالدور العلوي. تظاهر هدسون أن مسز بوسام لم تكن هناك، عندما قال لماريا أنه يحبها. ابتسمت ماريا وأومأت رأسها بالموافقة، فقد كانت هي تحب هدسون أيضاً. ولم تمض سوى دقائق، حتى تمت تسوية الأمور. سوف يكتب هدسون إلى مستر تارن ويطلب إذنه ليتزوج ماريا.

عندما اكتشفت مس ألدرس أن ماريا وهدسون قد التقيا وتحدثا سوياً، اشتعلت غضباً. كتبت إلى هدسون خطاباً وقحاً، تخبره فيه أنه يجب أن يكون خجلاً من نفسه حين يدعو نفسه مسيحياً، في حين أنه يذهب هنا وهناك محاولاً إغراء الفتيات المرسلات الشابات اللواتي لا يعرفن أي شخص أفضل منه. ولكن عنفها وقسوتها معاً لم يأت بنتيجة. فقد أرسل مستر تارن رداً بالموافقة وأعطى الإذن لهدسون بالزواج من ماريا. وهكذا تم الزواج.

في ٢٠ يناير سنة ١٨٥٨، بعد مرور سنة من أخذ هدسون للنساء والأطفال بعيداً عن ننج بو إلى مكان آمن في شنغهاي، كان يقف أمام كنيسة مع ماريا، وقد كانت ترتدي فستاناً من الحرير الرمادي له خمار زفاف طويل. أما هو، نفسه، فقد صبغ ضفيرته حديثاً واشترى بدلة جديدة من الملابس الصينية للزفاف. وبينما كان يقف أمام الكنيسة، شعر أنه أسعد رجل على ظهر الأرض قد أتيحت له فرصة الزواج من هذه العروس الجميلة.

قضى هدسون وماريا شهر العسل في دير قديم رائع في التلال المطلة على ننج بو. كانا سعيدين جداً معاً. لكن لسوء الحظ، فبعد أسبوعين فقط من الزواج، مرضت ماريا مرضاً خطيراً. فقد أصيبت بالتيفود، وهو مرض كان يعد قاتلاً في أغلب الحيان. اعتني هدسون بها، ولكن في الوقت الذي بدأت فيه تتحسن، أصيب هدسون بنفس المرض. كانت مسز بوسام تعتني برفق بكليهما، ولم يصبحا بصحة جيدة تمكنهما من الانتقال إلى منزل شارع القنطرة سوياً قبل شهر إبريل. في واقع الحال، فقد مضت سنوات عديدة قبل أن يتماثل هدسون للشفاء تماماً.

مضى عام، واستمر هدسون يعمل بجد في تأسيس كنيسة في منزل شارع القنطرة. بينما افتتحت ماريا مدرسة صغيرة للبنات.

كانت تلك أوقات سعيدة بالنسبة لهدسون وماريا، ولكن خلال العام الثاني من زواجهما، حدثت بعض التغييرات في شهر يوليو ولدت طفلة، أسمياها جريس داير تايلور. كانت بنتاً صغيرة جميلة، كان الجميع يودون إدخال السرور عليها.

التغيير الثاني كان محزناً. في شهر أغسطس، أصيبت زوجة الدكتور باركر بمرض الكوليرا وماتت في ظرف يومين. أصيب الجميع بالذهول لوفاتها المفاجئة، وأصيب الدكتور باركر بالاكتئاب والذي حال بينه وبين مواصلة مهمته الطبية. قرر أن يأخذ أطفاله الأربعة ليعود بهم إلى اسكتلندا، حيث يمكن لوالديه أن يساعداه في تربيتهم.

ولكن من يدير المستشفى الذي تعب كثيراً في تأسيسه؟ لم يكن هناك طبيب آخر مؤهل في كل ننج بو ليتولى هذه المهمة. كان لابد للمستشفى أن تغلق أبوابها. ولكن ماذا بشأن الصيدلية؟ اتجهت كل الأبصار نحو هدسون بهذا الصدد. احتج هدسون على ذلك بالقول إنه لم يكن ممكناً بالنسبة له أن يديرها. كان الدكتور باركر يعالج مرضى خصوصيين أجانب ليكسب مالاً يكفي لإدارة المستشفى والصيدلية. وحيث أن هدسون ليس طبيباً مؤهلاً، فهو لا يمكن أن يفعل ذلك.

ومع ذلك فقد وافق على تدبر الأمر، وبدأ هو وماريا يصومان ويصليان. بعد عدة أيام، شعر هدسون أنه لا يجب ان يتولى مهمة إدارة

الصيدلية فقط بل المستشفى أيضاً. وبطريقة ما، وبعون الله، يمكنهما أن يجعلاها تعمل.

ترك لهما الدكتور باركر ما لا يكفي لإدارة المستشفى لمدة شهر، ثم، بعد موت زوجته بثمانية أيام، رحل إلى اسكتلندا.

اتضح أن المستشفى مكان رائع للمسيحيين الصينيين من كنيسة شارع القنطرة حيث كان يمكنهم أن يتعلموا كيف يخدمون بعضهم بعضاً. قررت الكنيسة أن تكون المستشفى مشروعها. كان أفراد الكنيسة يعملون يوماً بعد يوم في المستشفى دون أن يتقاضوا أجراً. كانوا يقومون بأعمال النظافة والغسيل، وكانوا يرنمون ويعظون. كان أكثر ما يثلج قلب هدسون أن يرى الصينيين الذين دربهم يبشرون الآخرين.

ولكنهما كانا لا يزالان في احتياج للمال لإدارة المستشفى. كان الجميع يراقبون نفاذ المال بقلق. كانوا يتساءلون إن كان هدسون على حق. هل سوف يرسل الله لهم بعض المال؟

أصبح الموقف خطيراً. منذ عام ونصف، لم يكن هدسون يعرف إن كان في إمكانه أن يعول زوجة، والآن كان لديه زوجة، وطفل، ومستشفى عليه أن يدبر المال اللازم لهم.

بعد ظهر أحد الأيام، جاء الطباخ، وقد كان متجدداً حديثاً، ليخبر هدسون أنه قد فتح لتوه آخر كيس أرز. وفي نفس الوقت، وصل البريد. كان خطاباً من مستر برجر في إنجلترا يحوي شيكاً بمبلغ خمسين

جنيهاً استرلينياً. لو كان هدسون بحاجة للمزيد من المال، هكذا أخبره مستر برجر، كان عليه فقط أن يكتب لطلب المبلغ الذي يريده. فيرسله له. قرأ هدسون الخطاب للطباخ، الذي جرى وهو يصيح في ردهة المستشفى، وهو يقول: "الله يستجيب الصلاة، الله يستجيب الصلاة".

في الشهور التالية، كانت هناك عدة استجابات رائعة أخرى للصلاة سمحت للمستشفى بمواصلة تلبيتها لاحتياجات الناس.

زاد أيضاً عدد أعضاء كنيسة شارع القنطرة حتى بلغوا ٢١ عضواً نشطاً، وكانت هناك أعداد كبيرة من الناس الذين كانوا مهتمين بمعرفة المزيد عن الإنجيل.

في كل يوم بعد الظهر، كان هدسون يعلم المتجددين حديثاً كيف يقرأون الكتاب المقدس ويتبعون تعليمه. ولكن في كل يوم بعد الظهر، كان يكتشف شيئاً من الصعوبة في التركيز. لم يكن يحب أن يقر بذلك، ولكن صحته كانت تتدهور شيئاً فشيئاً.

الفصل الثاني عشر
في ضوء الأبدية

وقف معاً كل من هدسون، وماريا وهي تحتضن جريس بين ذراعيها، ووانج لاي ديون، وهو مسيحي صيني من كنيسة شارع القنطرة، على سطح "اليوبيل"، وهي سفينة جديدة سريعة. تحول لون الماء ببطء من الأصفر إلى الأزرق عندما تخلصت السفينة من دلتا اليانجتسي واتجهت صوب المياه المفتوحة لبحر الصين. شعر هدسون بتوتر وانفعال وهو يلقي النظرة الأخيرة على الصين. كان قلبه مثقلاً للدرجة التي لم يستطع معها أن يتكلم. كان عليه أن يفعل الكثير لأجل الله في الصين، ولكنه لم يستطع أن يبقى، فقد خذله جسده. بعد ست سنوات في الصين، وفي سن الثامنة والعشرين، كان السل قد تمكن منه. وبعد تأجيل استشارة الطبيب لعدة شهور، بحث عنه هدسون أخيراً، حتى بالرغم من علمه بما سوف يقوله الطبيب له. كان عليه أن يعود لوطنه إنجلترا فوراً، حيث الطعام الجيد، وأفضل الأطباء، والمناخ الأكثر برودة يمكن أن يساعده في التغلب على المرض. وإذا لم يعد لوطنه، فالاحتمال الأكبر أن يموت في ظرف عدة شهور قليلة.

أنجزت "اليوبيل" رحلة العودة إلى إنجلترا في أربعة شهور فقط، وقد كان ذلك شيئاً طيباً، لأن جريس البالغة من العمر سنة واحدة كانت تصرخ معظم الرحلة لأنها كانت في مرحلة ظهور الأسنان، وكانت ماريا تعاني من التهاب الأمعاء، بينما كان هدسون يشكو من الدوسنتاريا جنباً إلى جنب مع مشاكله الصحية الأخرى. وكان وانج لاي ديون أيضاً يشكو من دوار البحر. شعروا جميعاً بالسرور عندما ظهر السهل الساحلي لإنجلترا.

رست "اليوبيل" على رصيف ميناء جريفسند في أواخر نوفمبر سنة ١٨٦٠، وركبوا القطار المتجه إلى لندن. في لندن شقوا طريقهم نحو "بايز ووتر" حيث منزل إميليا وزوجها الجديد بنيامين برومهول. كانت، لويزا، أخته الصغرى، وقد بلغت الآن العشرين من العمر، تنتظره أيضاً هناك. استمتعوا بوقت جميل تم فيه جمع الشمل الذي طالما انتظروه، وبعد قضاء عدة أيام مع إميليا وبنيامين، أخذوا القطار إلى بارنزلي حيث كان اللقاء الدافئ مع والديه. ولكن قبل مغادرته لندن، استطاعت إميليا أن تقنعه بأن يقص ضفيرته ويبدأ في ارتداء الملابس الإنجليزية من جديد.

بعد ذلك بأسبوعين، وصلت إميليا وبنيامين، والخالة حنة والخال رتشارد من "هل"، إلى بارنزلي لقضاء عطلة أعياد الميلاد. شعرت ماريا بالترحيب من عائلة هدسون، ورؤية الجميع مرة أخرى جعل هدسون يشعر بأنه أفضل.

بعد انتهاء إجازة أعياد الميلاد، عادوا إلى لندن واستأجروا منزلاً قريباً من مستشفى لندن. وكان وانج لاي ديون ملازماً لهم.

ذهب هدسون إلى المستشفى، حيث أخبره استاذه السابق بأن كبده، وجهازه الهضمي وجهازه العصبي قد لحق بهما الضرر البالغ بسبب مرضه، وأن استرداده لعافيته سوف يستغرق وقتاً طويلاً، وسوف تنقضي سنوات طوال قبل أن يصبح قوياً بالدرجة الكافية التي يمكنه من السفر عبر البحار مرة أخرى. على الرغم من هذا الخبر السيئ، لم يشعر هدسون بالاكتئاب، فقد كان عليه الشيء الكثير الذي يفعله.

وعلى الرغم أنه قد ترك الصين، إلا أن الصين لم تتركه. كانت تشغل مساحة كبيرة من تفكيره اشترى هدسون خريطة كبرى للصين وثبتها على الحائط المقابل لمكتبه في الحجرة الخاصة به. كانت هى أول شيء يراه عندما كان يبدأ العمل في الصباح وآخر شيء يصلي لأجله بالليل. وعندما بدأ يسترد عافيته ببطء، بدأ يخطط لعودته المرتقبة للصين، على الرغم أنه لم تكن لديه فكرة عن توقيت حدوث ذلك.

التجارب التي اجتاز فيها هدسون في مستشفى ننج بو قد أظهرت له الحاجة لإكمال تدريبه الطبي. ولهذا السبب استأجر منزلاً قريباً من مبنى مستشفى كلية الطب الجديدة بلندن. وعلى الرغم من أنه قد بدأ كمريض بالعيادة الخارجية في المستشفى، إلا أنه بمجرد أن أصبح قوياً بالدرجة الكافية، استأنف دراساته الطبية هناك.

بينما كان يدرس في المستشفى، بدأ مشروعاً آخر. هذا المشروع كان السبب الذي جعل وانج لاي ديون يصطحبهم في رحلة العودة إلى إنجلترا. فعن طريق مساعدته، ومساعدة فردريك جوف، مرسل آخر إلى الصين، بدأوا مهمة ترجمة العهد الجديد بلهجة ننج بو من الكتابة بالصور إلى الكتابة بالحروف اللاتينية (كان هذا يعني أنه بدلاً من استخدام الصور لتمثيل الكلمات الصينية بالطريقة التقليدية، كانت أصوات الكلمات نفسها تكتب عن طريق استخدام الحروف الأبجدية). إن ترجمة العهد الجديد بهذه الطريقة يجعله أسهل بكثير للشعب الصيني والمرسلين على السواء لتعلم كيفية قراءة اللغة الصينية.

بدأ هدسون في تجنيد العاملين للذهاب إلى ننج بو ومساعدة جون جونز في إدارة كنيسة شارع القنطرة، حيث سميت الكنيسة هناك بهذا الاسم.

جعل كل ذلك هدسون منهمكاً إلى حد كبير. في الواقع، فقد استغرق أربع سنوات لتكملة مشروعه. بحلول عام سنة ١٨٦٥، تمت ترجمة العهد الجديد ورجع وانج لاي ديون لعائلته في ننج بو بالنسخة المكتملة. تم إرسال ستة عاملين آخرين إلى ننج بو. عاد الدكتور باركر، بعد أن تزوج ثانية، ليعيد تشغيل المستشفى. وحصل هدسون على درجته الطبية. لقد أصبح عضواً في كلية الجراحين الملكية وحصل على لقب "دكتور" لتكتب قرين اسمه.

خلال هذه المدة، لم يتقاض هدسون أتعاباً على مجهوداته، ولذلك فقد كان هو وماريا يعتمدان على الله لتلبية احتياجاتها. في بعض الأحيان، كانت الموارد الإلهية تصل في اللحظة الأخيرة، ولكن في كل الأحيان، حتى عندما ولد أبناؤهما الثلاثة، هربرت ثم هوارد، وأخيراً الصغير صموئيل، كان هناك مال يكفي لدفع الإيجار وشراء الطعام.

بمضي الأيام وبعد دراسة هدسون للخريطة الكبرى على الحائط، بدأت فكرة تطرأ على ذهنه. كان للصين أحد عشر إقليماً ومقاطعة واحدة، وهي منغوليا. كان هدسون يصلي لأجلها كل يوم. كم يكون من الصعب تجنيد اثنين من المرسلين للذهاب إلى كل واحدة من تلك المناطق؟ بنهاية السنة، يمكن أن يكون لكل إقليم في الصين مرسلان خاصان به لتوصيل رسالة الإنجيل للشعب هناك. أثارته الفكرة. كان يكفي فقط ٢٤ مرسلاً للقيام بهذا العمل. ويمكن تحقيقها بسهولة لو أن الجمعيات المرسلية التي لها مرسلون بالفعل في الصين وافقت على الاشتراك في الخطة. ولذا بدأ هدسون في زيارة المندوبين المحليين لهذه الجمعيات لحثهم على تقديم العون.

كان المندوبون الذين زارهم مؤدبين، ولكنهم متصلبون. لقد قدموا جميعاً نفس الإجابة. لم يكن لديهم المال الكافي أو الهيئات المناسبة لإرسال مرسلين إلى الداخل. كان من الصعب تقديم الدعم الكافي للمرسلين الموجودين بالفعل في الصين. في الواقع، كان يوجد بالصين في السنة

الماضية ١١٥ مرسلاً بروتستانتياً في الصين. في هذا العام هبط الرقم إلى ٩١ مرسلاً. وقالوا إن هدسون كان بحاجة لقبول الحقيقة بأن الصين لم تعد مكاناً صالحاً لإرسال المرسلين، فقد أصبحت مكاناً خطراً وغريباً.

لم يستطع هدسون أن يصدق ما كان يسمعه. ووفقاً لمثل هذا المنطق، لن يتبقى أي مرسلين في الصين في بضع سنوات قليلة، وفي نفس الوقت الذي بدأت فيه البلاد تنفتح على العالم. كان عليهم الاستمرار في إرسال مرسلين! وفي كل شهر كان أكثر من مليون صيني يموتون دون حتى أن يسمعوا عن يسوع المسيح.

كان هدسون يسأل نفسه مراراً وتكراراً هذا السؤال. لماذا لا يفعل أحد شيئاً؟ وبينما كان يفكر في الإجابة على السؤال، تحول السؤال في ذهنه ببطء وهدوء ليصبح هكذا: **لماذا لا افعل أنا شيئاً؟**

كان يكافح بحثاً عن الإجابة في أعماق قلبه. كان يعلم أنه لا يوجد شخص في إنجلترا يصلح لتجنيد مجموعة من المرسلين للذهاب إلى قلب الصين، أنسب منه هو وماريا، ولكنه لم يكن يريد أن يتحمل المسئولية عن حياة الآخرين. فقد كان ذلك عبئاً لا يستطيع تحمله. بجعل الآخرين يعتمدون عليه تحسباً لسلامتهم وإرشادهم. عند عودته للصين، كان الدكتور باركر وقع من على حصان في نهر جليدى وغرق. وواحد من المرسلين الستة الذين جندهم هدسون وأرسلهم إلى ننج بو قد أصيب بالكوليرا ومات. وحتى صديقه الحميم، جون جونز، قد مرض مرضاً

خطيراً أضطره للعودة إلى إنجلترا. وفي رحلة العودة إلى أرض الوطن مات، وهو الآن مدفون في جزيرة بعيدة ومهملة. مثل هذه الأخبار الحزينة جعلت هدسون يتوق للتواجد في الصين لمساعدة وتشجيع أولئك الذين بقوا للعمل هناك، ولكن كيف يمكنه تحمل المسئولية عن حياة الآخرين الذين قد يذهبون؟

شعر أنه بين نارين. كانت تتملكه رغبة عارمة في تنظيم حملة تبشيرية شاملة لغزو الصين، ولكن كان يتنازعه موقف آخر يجعله يجبن عن أن يطلب من الناس أن يذهبوا، عالماً أنه سوف يكون مسئولاً عنهم.

أصبح هدسون متوتراً أكثر مما ينبغي بسبب هذا الأمر. لم يكن يبدو عليه أنه يستطيع أن ينام أو يأكل، وبدأت صحته تتدهور مرة أخرى.

كانت ماريا ترى الإجهاد على وجه زوجها، وقد سرت عندما أعلن أنه ذاهب إلى برايتون للحصول على قسط قليل من الراحة. كانت إقامته مع مستر برجر، الرجل الذي بدأ في تدعيم العمل في المستشفى في ننج بو في الوقت الذي نفد فيه المال منهما. كانت تأمل ماريا في أن هواء البحر والشركة المسيحية سوف يعملان على تجديد نشاطه الذهني.

لسوء الحظ، كان للكنيسة الكبيرة المليئة بالمسيحيين السعداء الأصحاء والأغنياء تأثير عكسي على هدسون. لقد وجد أنه من الصعب عليه أن يجلس ويستمع إلى أناس يرنمون لله ويشيدون بخلاصه دون ان

يبدو عليهم الاهتمام بمصير الآخرين وهل هم ذاهبون إلى مصيرهم الأبدي التعيس دون حتى أن يسمعوا الإنجيل.

لم يعد هدسون يستطيع أن يتحمل البقاء في اجتماع كهذا. كان يتسلل من باب جانبي، وعندما تخفت أنغام موسيقى الأرغن وراءه، كان يمشي إلى شاطئ برايتون. كان يخلع حذاءه وجوربه ويغطس في الماء. كان قلبه متقلقلاً ومتقلباً كأعشاب البحر التي تتقاذفها لجة البحر وتدفعها إلى الشاطئ. كان عليه أن ينهي الصراع الذي يعتمل في داخله. وعندما كانت الأمواج ترتطم بقدميه، طرأت على ذهنه فكرة مفاجئة. ما هو أسوأ شيء يمكن أن يحدث لمرسل تحت رعايته؟ ماذا يمكن أن يحدث لجماعة من المرسلين قد أعادهم للصين وماتوا جميعهم؟ إلى أي حد يكون ذلك سيئاً في ضوء الأبدية؟ إنهم سوف يذهبون جميعاً إلى السماء. وإذا آمن صيني واحد بالمسيح نتيجة لعملهم وتضحيتهم، ألا يكون ذلك عملاً يستحق التضحية؟

مما يدعو للدهشة، أن هذه الطريقة ذات الاتجاه العكسي في النظر إلى الأمور قد ملأت قلب هدسون بالعزاء. في ضوء الأبدية، ليس هناك مصير أسوأ للشعب الصيني من عدم سماعهم الإنجيل.

عندما بدأ يفكر في كل ذلك، بدأ عقله يستريح. فلو أطاع كل مرسل الله في الذهاب إلى الصين، فإن مسئولية ما حدث للمرسلين كانت تقع على عاتق الله، وليس على عاتق هدسون تايلور. انهمرت دموع الفرح

على وجنتيه. فالإجابة على سؤاله كانت بسيطة. لقد كان ذاهباً ليعمل ما شعر أن الله يدعوه ليفعله، و هو يثق أن الآخرين سوف يلتزمون بنفس الطاعة. بينما كان هدسون يقف واضعاً قدميه حتى الحقوين في مياه شاطئ برايتون، صلى وطلب من الله أن يقيم ٢٤ عاملاً للصين. ثم أخرج قلم رصاص من جيبه وكتب في مؤخرة كتابه المقدس: "صليت لأجل ٢٤ عاملاً ماهراً مستعداً للخدمة، في برايتون بتاريخ ٢٥ يونيو سنة ١٨٦٥م"

في اليوم التالي، رجع إلى لندن إنساناً جديداً. لقد تم تسوية الصراع الداخلي، وبدأ وقت التقدم إلى الأمام. الآن كان عليه أن يستعد لما أراده الله أن يعمل.

ذهب هدسون إلى البنك، وافتتح حساباً مصرفياً بعشرة جنيهات استرلينية باسم "**إرسالية الصين الوطنية**".

بعد ذلك، أخذ هدسون كل المعلومات التي استجمعها ليحاول إقناع الجمعيات المرسلية القائمة للانضمام إلى خطته، ووضعها في كتيب. ودعا الكتيب "حاجة الصين الروحية ومتطلباتها".

أبرز الكتيب بوضوح كيف أن ٤٠٠ مليون صيني لم يسمعوا الإنجيل من قبل. ومع ذلك فقد كان لهم الحق في سماعه، وأن المسيحيين في البلاد الأخرى في كل أنحاء العالم عليهم واجب تنفيذ وصية يسوع بالذهاب إلى كل العالم والتبشير بالإنجيل.

أثـار الكتيـب حالـة مـن عدم الارتياح لدى مسيحيين كثيرين. هـل مـن الممكـن أن يكونـوا مسئولين إلى حـد ما عن المليون شخص الذين يموتون في الصين كل شهر بدون معرفة يسوع المسيح؟

عـلى الـرغم من أن كتيب "حاجة الصين الروحية ومتطلباتها" جعـل الـناس يشعرون بعدم الارتياح، إلا أنه كان الكتاب الأفضل مبيعاً. وقـد تم طـبعه مراراً وتكراراً، عندما قرأه المزيد من الناس ودعوا أصدقاءهم لقراءته.

كـان يـبدو كمـا لو كان الله ينتظر أن يعلن هدسون تعهده قبل إغـداق بركـته. بدأت الأموال والإمدادات تتدفق وكذلك العاملون فيما كان يشبه أولاً الرذاذ ثم الطوفان.

شـعر بعـض القـراء بالإلهام بسبب ما كتبه هدسون حتى إنهم كتـبوا وأخـبروه أن رؤيته ليست متسعة بما فيه الكفاية. كتب له صديق ثـري، هـو اللـورد راد سـتوك، قـائلاً: "قـرأت نـبذتك في الطريق إلى هنا وشـعرت بإثـارة كـبرى بسـببها.. أخـي العزيـز، فلتوسـع من طموحاتك. أطلـب مائـة عـامل والـرب سـوف يعطيهم لك!" وكان مع الخطاب شيك بمائة جنيه استرليني.

وبـتدفق العمـال والأمـوال، بـدأ الـناس يسـألون هدسون كيف تعمـل الارسـالية الجديـدة ومـا هـى قواعدهـا. كانـت أسئلة جيدة، ولكن هدسـون لم تكن لديه إجابات عليها. ولذا فقد استدعى فريق من الأصدقاء

الموثوق فيهم وقادة الكنيسة ليصلوا ويطلبوا من الله أن يريهم كيف يجب أن تعمل الارسالية. على مدى عدة أيام من الاجتماعات، انبثقت ستة مبادئ اتفقوا جميعهم أن الارسالية الجديدة يجب أن تبنى عليها. كانت هذه المبادئ كما يلي: (١) يمكن أن يكون العاملون من أي طائفة مسيحية طالما وافقوا على العمل سوياً. (٢) لا يأخذ المرسلون مرتبات من "إرسالية الصين الوطنية"، ولكنهم يثقون سوياً أن الله سوف يسد كل احتياجاتهم. (٣) سوف لا تطلب الإرسالية مالاً من أي واحد سوى الله (٤) قادة الإرسالية في الصين أحرار في اتخاذ القرارات بشأن ما يفعلونه بعد ذلك ولا حاجة بهم لانتظار قرارات من إنجلترا. (٥) سوف يصبح العاملون جزءاً من خطة منظمة للكرازة في كل أنحاء الصين. (٦) سوف يعيش مرسلو "إرسالية الصين الوطنية" كأفراد الشعب الصيني بقدر ما يمكنهم. سوف يرتدون الملابس الصينية، ويأكلون بالأعواد، ويسكنون في بيوت على النمط الصيني.

انتهت سنوات استعادة العافية الهادئة، والدراسة، والترجمة بالنسبة لهدسون تايلور وزوجته. كانت هناك الكثير من الأمور بحاجة للتنظيم والأشراف. بحلول مايو سنة ١٨٦٦، كان هدسون قد تكلم في الاجتماعات الحاشدة في كل أنحاء لندن، كما في اسكتلندا وأيرلندا. قدم عدد كبير من الناس الصلاة والمال أو أنفسهم لتوصيل رسالة الإنجيل إلى أهل الصين.

·اقترب وقت رحيل هدسون وزوجته، وأطفالهما الأربعة، وأول مجموعة مكونة من ١٦ مرسلاً إلى الصين. وعندما وصلوا إلى الصين، انضم إليهم المرسلون الذين جندهم هدسون قبل ذلك وأرسلهم إلى ننج بو. كان كل ما تحتاج إليه المجموعة الآن عدة مئات من الجنيهات لدفع تكاليف رحلتهم وسفينة بها مكان يكفي لانتقالهم جميعاً. رأى هدسون الله يعمل بالعديد من الطرق الرائعة خلال السنوات الأربع الماضية في لندن. لم يكن لديه شك أن الله سوف يلبي ما تبقى من احتياجاتهم.

بينما كان الفريق ينتظر في لندن ليرى كيف سوف يدبر الله أمر انتقالهم إلى الصين، قبل هدسون الدعوة ليتحدث إلى جمع حاشد في مكان يدعى "توتريدج". وكان الجمع شبيهاً بالعديد من الحشود الأخرى التي تحدث إليها هدسون في الأشهر القليلة الماضية. كان هذا الحشد من تنظيم (جون بوجت)، وهو قائد جيش معتزل وأثناء الخدمة، رفع هدسون خريطة الصين وأخبر الحاضرين عن خطته لتوصيل رسالة الإنجيل إلى كل مكان في داخل الصين. وضرب مثلاً باسكتلندا. في اسكتلندا، كان هناك عدة آلاف من الخدام للعناية بالمسيحيين الاسكتلنديين، وكانت الكتب المقدسة والكتب المسيحية في متناول الجميع. في الصين، كان ما يحدث على النقيض تماماً من ذلك، لم يكن هناك حتى خادم واحد لكل ٤٠٠٠ شخص في الصين. لا شك أن هدسون

أبـرز أن مـن واجـب المسيحيين في اسـكتلندا وكـل أمـة مسيحية أخرى الوصول إلى أهل الصين.

بعـد أن أنهـى حديـثه، صـرف هدسـون الاجتماع وجلس. لم يـتحرك أحـد، وكانـت الحجـرة صـامتة. لم يسـبق للـناس أن سمعوا عن الـتحدي لتوصـيل رسالة الإنجيل لكل شخص بنفس الوضوح الذي أوصل به هدسون الرسالة.

رأى الكولونيل بوجت، والذي كان مفكراً ذكيا، في ذلك فرصة رائعـة. لاشـك أن الإرسـالية الجديـدة كانـت تحتاج إلى المال، وكان عدد كـبير مـن الـناس في المحفـل يسـعدهم تقديمـه. هب الكولونيل واقفاً على قدمـيه وهـو يقـول: "اخوتـي وأخوانـي في المسيح. سمعنا الليلة من رجل متمـيز ذي رؤيـة متمـيزة. قالـت النشرة التي أعلنت عن هذا الاجتماع أنه لـن تجمـع أمـوال ولكـني أعـلم أن كـثيرين مـنكم سـوف ينزعجون إذا لم يسـاهموا بدفـع المـال. أنـي مـتأكد أن الدكتور تايلور لن يشعر بالضيق إذا قمنا بعملية الجمع".

الآن جـاء الـدور عـلى هدسـون كـي يهـب واقفاً قال: "السيد الرئـيس، أتوسـل إلـيك أن تلـتزم بالشـروط الـتي اتفقنا عليها. فإذا اقتنع الحاضـرون بعـد التفكير والصلاة أن الهبة المالية هى ما يريد الله منهم أن يقدمـوه، يمكـن في هـذه الحالة أن تقدم لأي رابطة مرسلية لها مرسلون في الصين، أو يمكن أن ترسل بالبريد إلى مكتبنا في لندن".

في وقت لاحق تلك الليلة في منزل الكولونيل "بوجت"، حيث كان هدسون يقيم، حث الكولونيل هدسون على الاقتناع بوجهة نظره، فسأله قائلاً: "لماذا لا تدع الناس يقدمون لعمل الله إذا أرادوا ذلك؟"

أوضح هدسون أن المال في أغلب الأحيان هو أسهل شيء يمكن تقديمه، وقال: "اعتقد أن جمع المال يغلب عليه إعطاء الانطباع بأن المال هو أهم شيء، بينما لا يمكن لأي مبلغ من المال أن يجدد نفساً واحدة. المطلوب هو الرجال والنساء المملوئين بالروح القدس ليهبوا أنفسهم للعمل. لن يكون هناك نقص في الاعتمادات المالية التي تدعم مثل هؤلاء الناس".

هز الكولونيل "بوجت" رأسه بعدم الموافقة: "أعتقد أنك نخطئ. فقد ضاعت فرصة كبرى هذه الليلة".

ذهب الرجلان إلى الفراش، وفي صباح اليوم التالي استيقظ هدسون مبكراً ومملوءاً بالحيوية والنشاط. كان يتناول طعام الافطار عندما وصله خطاب من لندن. كان الخطاب من ماريا، وفض الخطاب، وهو شغوف بقراءة ما آلت إليه الأمور. عندما قرأه، ابتسم. رست سفينة كبرى تكفي لهم جميعاً لتوها على رصيف الميناء. كانت تدعي الـ "لامرموير"، وكانت تبحث عن مسافرين لرحلتها القادمة إلى شنغهاي والتي سوف تبدأ في ٢٦ مايو.

كان هدسون يفكر في كل ما كان عليه أن يفعله، بما في ذلك الصلاة لأجل النقود المتبقية والتى كانوا بحاجة إليها لأجل إتمام الرحلة

إلى شنغهاي، عندما دخل بوجت. كان الكولونيل يبدو متعباً وتناول افطاره وهو شبه صامت.

عندما فرغ من الأكل، طلب من هدسون أن يتبعه إلى حجرة مكتبه. أزال ما علق بحنجرته ثم بدأ يتكلم: "الليلة الماضية، كنت مقتنعاً أنك مخطئ. وعندما فكرت فيما قلته في الاجتماع والسيل المتدفق من الناس الذين يتجهون صوب أبدية بلا مسيح، استطعت أن أصلي كما اقترحت قائلاً: "يا رب، ما الذي تريدني أن أفعله؟" وأعتقد أني حصلت على الإرشاد الذي كنت أطلبه، وها هو"

سلم الكولونيل بوجت هدسون شيكاً بمبلغ خمسمائة جنيه استرليني. ثم أضاف قائلاً: "لو كان هناك جمع مال الليلة الماضية، لما وضعت في الطبق أكثر من ورقة بخمسة جنيهات".

شكر هدسون الكولونيل بوجت لأجل كرم ضيافته ولأجل المال وأسرع بالعودة إلى لندن. كان يعلم تماماً ما يفعله بالمال عندما يصل إلى هناك. تقابل مع القبطان بيل وفحص "اللامرموير". كانت السفينة صالحة لتنفيذ الخطة المنوطة بها . كان لها عامان في الخدمة فقط، وهي سفينة مربعة الشكل، لها هيكل من الصلب وثلاثة صواري. أكد القبطان بيل لهدسون أن السفينة يمكنها أن تتحمل أعتى العواصف.

سلم هدسون شيك الكولونيل "بوجت" للقبطان بيل كمبلغ تحت الحساب في مقابل الرحلة.

سـر القـبطان، وقـد تجـدد حديـثاً، لفكـرة وجـود فـريق مـن المرسـلين عـلى ظهـر سـفينته، ولكـنه حَذر هدسون بأن البحارة فريق غير مهذب.

أسـرع هدسـون إلى البيـت ليخـبر بقـية المجموعـة بـأنهم في طريقهم للصين بالفعل.

الفصل الثالث عشر

لو لم نصل إلى الصين

كان اليوم ٢٥ مايو سنة ١٨٦٦، في اليوم التالي، كانت أول مجموعة رسمية من المرسلين من "إرسالية الصين الوطنية" تبحر على ظهر "اللامرموير"، متجهة صوب شنغهاي. وضع هدسون قلمه وابتسم. لقد انتهى للتو من كتابة قائمة بالمسافرين ليعطيها للقبطان بيل في اليوم التالي.

نظر إلى القائمة. كان اسمه على رأسها جنباً إلى جنب مع اسم ماريا وأطفالهما الأربعة، جريس البالغة من العمر ٦ سنوات، وهربرت البالغ من العمر ٥ سنوات، وهوارد وعمره ٣ سنوات، وصموئيل الصغير، الذي يناهز العامين من العمر. كان يأمل ألا تطلع لصموئيل أسنان جديدة في أثناء الرحلة في البحر. كان لا يزال يختزن ذكريات نابضة بالحياة من رحلة العودة، حيث كان يجلس أثناء الليل محاولاً تهدئة جريس التي كانت في مرحلة التسنين.

أسفل الأطفال في القائمة كان هناك اسما الزوجين الوحيدين الآخرين في المجموعة، لويس واليزا نيكول. كان لويس حداداً من اسكتلندا. وأسفلهما كانت توجد أسماء ٥ رجال عزاب: جيمس

وليمسون، وجورج دنكان، وجوزيا جاكسون، وجون سل، ووليم رودلاند. كانت تلي أسماءهم أسماء عدة آنسات: جين ماكلين، وإميلي بلاتشلي، وجيني فولدنج، وماري بوسام، وماري بيل، ولويز ديسجريز، واليزابيث روز، وماري بويزر، وسوزان بارنز.

صلى هدسون لأجل كل اسم في القائمة وطلب من الله أن يعطي لكل شخص القوة على تحمل الرحلة. كان يفكر في كل شخص. تذكر كيف أنهم جاءوا إليه بعيون مفتوحة وإيمان قوي. وقد أخبر كل إنسان بوضوح عن الأخطار المحتملة التي كانت تنتظرهم، وكان كل شخص ينظر إليه في المواجهة مباشرة، ويقول له إنه مدعو من الله لتوصيل رسالة الإنجيل لقلب الصين، مهما كانت التكاليف.

كون الرجال والنساء فريقاً متجانساً: لم يكن معظمهم من العلماء. كانوا كتبة، وبنائين، ونجارين، ومدرسين، ولكن كان لديهم الحماس لإعلان محبة الله للبشر. كان هدسون متأكداً أن أي مهارة أخرى أو معرفة يفتقدونها، يمكنهم أن يتعلموها فيما بعد. والأهم من ذلك، أنهم كانوا يحبون الله ولهم القلب المصلي، وكان ذلك هو دخيلة المرسل المنضم لإرسالية الصين الداخلية.

صلى هدسون أيضاً لأجل رحيلهم. كان يعلم مقدار صعوبة الوداع، خاصة بالنسبة للأباء والعائلة المتخلفة عن اللحاق بالركب. كان هناك حساب التكاليف، وبعض من الذين سوف يودعون بالغد قد لا

يرون بعضهم بعضاً مرة أخرى هنا على الأرض. وعلى الرغم من أنه سوف يـبذل كل ما في وسعه للتأكد من أن أولئك الذين في فريقه آمنون، سواء في الـرحلة أو عـند وصولهم إلى الصين، إلا أن كل واحد كان يشعر أنه مدعو للذهـاب، ولـذا فالمسـئولية الحقيقية بالنسبة لسلامته وسعادته كانت تقع على عاتق الله.

عندما انتهى هدسون من الصلاة، نزل إلى الطابق السفلي. كان البيـت في حالـة هـياج. فهـناك الناس وحقائب السفر والضوضاء تملأ كل حجـرة. كـان الأطفـال يجـرون وهـم يدخلـون ويخـرجون وسـط العوامات الـبحرية. كانـت جـيني فولدنـج تُـرى والديهـا خـريطة الصين وتشير إلى المكـان الـذي سـوف يقيمون فيه أولاً والمكان الذي كانوا يأملون أن يذهبوا إلـيه في الـنهاية. كـان جـورج دكـان وجيمس وليمسون يفككون سوياً آلة الهارمونـيوم (نـوع مـن الأرغن) ويضعونها في قفص. سوف تكون من أوائل الأشياء التي سوف يفكون أحزمتها حالما يصلون إلى سطح "اللامرموير".

تمـت مراسـم الـوداع في اليوم التالي في سهولة ويسر. بالطبع، كانـت هـناك الكـثير مـن الدمـوع عـندما كـان الـناس يحتضنون الأصدقاء والعائلـة. كانـت هـناك إميلـيا وبنـيامين، ولويزا، ومسز تايلور، جميعهم كـانوا هـناك لإلقـاء تحـية الوداع. جاء مستر بيرجر وزوجته أيضاً ليتمنوا لهـم كـل الخـير. وبيـنما كانـت "اللامرموير" تستعد لتغادر رصيف شركة الهـند الشـرقية في لـندن، كـان الواقفـون عـلى الرصيف يـرنمون ترنـيمة

للـراحلين، والـراحلون رنمـوا ترنـيمة رداً علـيهم، بيـنما كانـت ماريـا تصطحبهم على آلة الهارمونيوم الموسيقية.

قـام زورق بخـاري بـبعض المناورات لسحب "اللامرموير" نحو المجـرى الرئيسـي لـنهر الـتايمز. ارتفـع صوتهم بالترنيم عندما تحركت السفينة بعيداً عن الرصيف.

على سطح "اللامرموير" كان فريق البحارة المكون من ٣٤ رجلاً يشـعرون بـالقلق. كان كل ركابهم مرسلين. وطيلة الشهور الأربعة التالية، سوف يلتصقون بهم في وسط المحيط. ومن المرجح، أنهم في كل يوم سوف يضطرون لسماع الترانيم، كالترانيم التي شهدوها حالاً. إن الرحلة الطويلة كانـت مملـة دائمـاً، والجماعـة المـرحة مـن المسافرين تساعد على تمضية الوقـت بسـرعة. ولكـن ١٨ مرسـلاً و ٤ أطفـال يحملـون الكتـب المقدسـة وينشدون الترانيم الدينية ليس بالضبط هو الشيء الذي كانوا يفكرون فيه.

كـان نفـر مـن أفـراد الـبحارة يشـكون للقبطان بيل من ركابهم حـتى مـن قـبل أن تصـل "اللامرموير" إلى ميناء جريفسند عند مصب نـهر الـتايمز. كـل مـا عملـه القـبطان أن ابتسم وهـو يستمع لتذمرهم. كان هو بمفرده يتطلع بشوق لتمضية الوقت مع هدسون وجماعته.

بقيـت المجموعـة عـلى السـطح حتى غاب شاطئ إنجلترا عن الأبصار كانت ماريا وإميلي بلاتشلي تحاولان بجد الإشراف على الأطفال. اسـتطاع هدسـون أن يـرى أن الأولاد كـانوا بسـبيلهم إلى تكويـن فـريق

مشاغب، كانت السفينة صغيرة، وكان يجب على الأولاد الابتعاد عن طريق البحارة. وكانت هناك أيضاً الكثير من الأشياء الخطرة على سطح المركب كان يمكن أن تسقطهم أرضاً مثل الروافع والاوناش والحبال والسلاسل، دع عنك خطر السقوط من فوق ظهر السفينة.

بينما كانت "اللامرموير" تتجه صوب القنال الإنجليزي، وقف هدسون على سطح مؤخرة السفينة واستودع الرحلة بين يدى الله. كان هدسون ممتناً لأنه عبر الجزر البريطانية كانت هناك مجموعات من الناس تصلي لأجلهم. صحيح، ان مسيحيين كثيرين قد انتقدوا "إرسالية الصين الوطنية" وأفكارها بالاتكال على الله وحده، ولكن طالما كان هناك أناس ملتزمون بالصلاة لأجلهم فإن هدسون كان واثقاً بأن كل شيء سوف يكون على ما يرام. عندما سأل الناس كيف يمكنه أن يقود فريقاً يضم ٩ فتيات في وسط دولة وثنية دون معونة مادية، كانت إجابته دائماً واحدة: "إنني آخذ أطفالي معي، وألاحظ أنه ليس من الصعب بالنسبة لي أن أتذكر أنهم بحاجة للإفطار في الصباح، والغذاء في الظهر، والعشاء قبل ذهابهم إلى النوم. وأجد أنه من المستحيل أن أعتقد أن أبي السماوي أقل رقة أو حناناً مني".

"معذرة يا دكتور تايلور، ولكن أين أضع البكرات الاحتياطية للصحافة؟ المخزن ملئ عن آخره" كان ذلك هو جيمس وليمسون، وقد أرجع سؤاله هدسون إلى اللحظة الحاضرة. كانت هناك أمور لا تزال

بحاجة للترتيب والتنظيم في الرحلة. غابت إنجلترا عن الأنظار الآن، وحان الوقت للتركيز على الأمور الحاضرة.

بحلول يوم الثلاثاء، كان كل شيء في مكانه، واستقرت الحياة على شكل نمط روتيني. كان هدسون يدّرس اللغة الصينية كل صباح، وكانت ماريا تقوم بتدريس نفس اللغة بعد الظهر.

كان هناك متسع من الوقت في الساعات الأخيرة من فترة بعد الظهر والساعات الأولى من فترة المساء لعمل أشياء أخرى. كان الجميع يكتبون خطابات، على أمل أن تأتي سفينة متجهة إلى إنجلترا بمحاذاتهم وتأخذ معها الخطابات. وإلا، كانت الخطابات ترسل بالبريد عند وصولهم إلى شنغهاي.

كان القبطان بيل محقاً بالنسبة للبحارة. كانوا غير مهذبين ومملوئين فظاظة. وكان من الواجب التنبيه على الأطفال بتجاهل سبابهم. ولكن على الرغم من فظاظة البحارة، فقد بدا أنهم يمثلون الحقل المرسلي لارسالية الصين الوطنية الوليدة، طيلة الشهور الأربعة التالية.

كانت ماري بيل تعقد دراسة كتابية ليلية، ولفرط دهشتها، كان عدد كبير من البحارة يواظبون على الانتظام في هذه الدراسات. وكانوا يحضرون ليس لاهتمامهم كثيراً بما تقو له، ولكن لأنها كانت جميلة الشكل.

كـان لويـس ديسـجراز يعقـد دراسـات كتابية باللغة السويدية لأفـراد الـبحارة الأربعـة مـن السـويد. وكانـت سـوزان بارنز تعطي دروساً لأولـئك الذيـن كانوا يريدون تحسين القراءة، وبدأ عدد من البحارة يحضر هذه الدروس.

كـان هدسـون مسـروراً لأنه لم يكن مضطراً لتذكير أي واحد في المجموعة بالتزامه أو التزامها بالوصول إلى فريق البحارة برسالة الإنجيل. قـبل مغـادرتهم إنجلـترا، كـان قـد أكـد عليهم أن "رحلة عبر المحيط لن تجعـل مـن أي شـخص رابحـاً للـنفوس". كـان يقصـد بذلك أن الرغبة في إعـلان محـبة الله للجمـيع يجـب أن تكـون في أعماق قلوبهم حيثما كانوا يوجـدون. ومجـرد إعطـائهم لقـب المرسـل لا يجعل منهم مرسلين بطريقة سحرية.

وجـدت المجموعـة أيضـاً طـرقاً عمليـة لـتقديم المسـاعدة فـوق السـفينة. فكمـا حـدث في الدمفرايز، كان هدسون يعمل كطبيب السفينة. كـان يعطـي محاضـرات في الإسعافات الأولية، والدورة الدموية، وتركيب العـين، وهـى موضـوعات قـد لا يجدها البحارة مثيرة على البر، ولكن في وسط المحيط كانت هذه الموضوعات تجتذب أعداداً كبيرة منهم.

صـنع لويـس نـيكول قطـع غـيار لخطافـات الـرافعة بينما قام جـيمس وليمسـون ووليـم رودلانـد بأعمـال السمكرة لضخات المركب حتى

أدت عملها على خير وجه. بدأ المرسلون ببطء ولكن بثقة في كسب احترام البحارة الذي كانوا يضنون به عليهم.

لم يعد البحارة يشكون من الترتيل. في الواقع، لقد سمعوا بعض الترانيم العديد من المرات لدرجة أنهم وجدوا أنفسهم يرنمون دون حتى أن يدركوا أنهم يفعلون ذلك! ثم بدأ واحد أو اثنان من البحارة يقومان بعمل أشياء في صالون السفينة بينما كانت المجموعة تعقد اجتماعاتها. كانا يجدلان حبلاً أو يتأكدان من سلامة فاصل سطح السفينة القريب. بعد أسبوعين، لم يكن البحارة يبحثون عن مبررات، فقد كانوا يجرون برميلاً خارج الصالون، ويجلسون هناك ويستمعون.

في البداية طلب واحد ثم اثنان ثم ثلاثة وأربعة، فأكثر من البحارة، طلبوا من يسوع المسيح أن يدخل إلى حياتهم وأصبحوا مسيحيين وحتى قبل قطع منتصف الرحلة، أصبح ٢٣ فرداً من طاقم البحارة مسيحيين. قام المرسلون من الشباب بشغف بتعليم المتجددين حديثاً. طلب البحارة من هدسون نقل اجتماعه اليومي ليعقد على سطح المركب لأن صالون السفينة أصبح مكدساً بالحاضرين.

ولكن كلما ازداد عدد البحارة الذين يصطلحون مع الله، ازداد خصامهم مع الضابط الأول للسفينة، المستر برنتون. كان المسئول الثاني على ظهر "اللامرموير" ولم يكن يحب ما يحدث مع بحارته. كان مستر برنتون ذا طبع حاد، والذي، لسوء الحظ بالنسبة لكل من على ظهر

المركب، كان يبدو أنه يتهيج عن طريق أي ذكر للديانة. وبمضي الوقت، أصبح أكثر غضباً وبدأ يضايق الكثيرين من المتجددين حديثاً من بحارته.. أصبح مستر برنتون محور الصلاة لكثير من الناس على ظهر المركب، سواء كانوا ركاباً أم من فريق البحارة. وبدأ يلين بالتدريج. بدأ يسمح لهدسون أن يقرأ له فقرات من الكتاب المقدس ويشرح له معناها. وفي إحدى ليالي شهر أغسطس، قرأ هدسون له قصة الفصح من سفر الخروج. وعندما جاء إلى الفقرة التي أخبر فيها الله بني إسرائيل برش الدم على قوائم البواب حتى لا يمر الملاك المهلك أمام بيوتهم، هب مستر برنتون واقفاً على قدميه وهو يصرخ قائلاً: "لما أرى الدم أعبر عنكم. إني افهم. افهم. كم كنت أعمى".

شعر هدسون بالإثارة، حتى إنه أيقظ جون سل واليزابيث روز، اللذين كانا يصليان بقوة لأجل مستر برنتون، وأخبرهما بنبأ تجديده السعيد. نظر جون سل في ساعة جيبه، كانت الساعة الثالثة والنصف صباحاً.

في اليوم التالي، دعا مستر برنتون كل فريق البحارة سوياً واعتذر لهم عن الطريقة التي كان يعاملهم بها. حدث تغيير مذهل في حياته. فمنذ ذلك الوقت فصاعداً، كان يحضر في كل اجتماع، وهو يرنم بأعلى صوت ممكن، وكان عادة آخر من يغادر الاجتماع.

شعر هدسون بالإثارة لتأثير جماعته على البحارة. كتب خطاباً لمستر برجر يقول فيه : "إن عقولنا في سلام بالنسبة للمستقبل. وحتى لو لم نصل إلى الصين، فعلينا جميعاً أن نبتهج بالعمل الذي أعطانا الله إياه على ظهر اللامرموير".

عندما كتب هدسون الكلمات: " لو لم نصل إلى الصين"، لم تكن لديه أي فكرة عن الامتحان الذي كان ينتظرهم.

التاريخ ١٠ سبتمبر، ستة أيام أخرى ويصلون إلى شنغهاي. كان البحارة مشغولين بتنظيف ظهر المركب ودهان السطح العلوي، والاستعداد لوصولهم. كان هدسون قد استن نظاماً يمكن المرسلين من سحب دلاء من ماء البحر من خلال فتحات في قمراتهم ويستحمون في أحواض استحمام من الصفيح. كانوا يستحمون بالدور، وكانت سوزان برنز تقوم بقص شعر كل واحد حتى يكون منظرهم أنيقاً عند وصولهم. كانت إميلي بلاتشلي وماريا مشغولتين برتق الثقوب التى أحدثها أولاد تايلور الصغار في بنطلوناتهم وهم يحبون في كل أنحاء اللامرموير.كان الجميع يتوقون لإلقاء أول نظرة على الصين.

ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن. فقد بدأ الجو يكفهرّ، والضغط الجوي ينخفض. لم يذكر القبطان بيل شيئاً كثيراً عن ذلك في البداية. كان يأمل أن يكونوا مقبلين على عاصفة خفيفة. ولكن لسوء

الحظ، لم تكن كذلك. كانت اللامرموير في مواجهة مباشرة مع إعصار التيفون.

أمر القبطان بيل أخيراً بربط كل شيء على سطح السفينة بالحبال وإنزال الأشرعة ووضعها في المخزن حتى لا تصبح خرقاً بالية بفعل الرياح. وبما أن هدسون قد اجتاز من قبل في كابوس العاصفة على ظهر الدمفرايز، فقد هدأ من روع جماعته وساعدهم على ربط أنفسهم في أسرتهم.

ظل البحر يعبث باللامرموير بلا رحمة. كانت الأمواج العالية تضرب سطح السفينة لتنسكب المياه في صالون السفينة. ثم ولت العاصفة بسرعة كما جاءت. صعد الجميع على السطح للتعرف على مقدار التلف. بعد إلقاء نظرة على الأشياء، اتضح أنه كان من حسن الحظ أن توقفت العاصفة في ذلك التوقيت: إن اللامرموير ما كان بإمكانها أن تتحمل المزيد من ضربات البحر. كانت قوارب النجاة قد اكتسحتها المياه، وهكذا أيضاً بالنسبة للحظائر التى كانت تحفظ فيها الحيوانات، جنباً إلى جنب مع آخر ما تبقى من حيوانات قليلة. كانت السفينة بحاجة للعديد من الإصلاحات، ولكن مع هدوء البحر واعتدال الطقس، كان يمكنها أن تصل بسهولة إلى محطة الوصول.

في الأيام الثلاثة التالية، كان الوقت ينقضي في تجفيف الأشرعة، وتصريف الماء المتجمع في جوف المركب، وشد حبال الأشرعة والصواري.

كان الماء المالح والمطر قد بلل كميات الطعام المحفوظة في البراميل حتى تلفت، ولذا كانت وجبات الطعام هزيلة. ولكن حيث أنه لم يتبق سوى أيام قليلة على الوصول إلى شنغهاي، فلم يكن هناك ما يقلق أحداً. سوف تكون هناك كميات وفيرة من الطعام حالما يصلون إلى المدينة.

كان هدسون سعيداً أيضاً بقرب وصولهم إلى شنغهاي، ولكن لسبب آخر. لقد مرض القبطان بيل. ولم يكن هدسون على يقين مما انتابه، ولكن النصف الأيسر من وجه القبطان قد أصيب بالشلل. والتشخيص الدقيق للحالة كان يتطلب استعدادات طبية بأكثر مما هو موجود على ظهر السفينة. وكلما أسرعوا إلى شنغهاي، كان ذلك أفضل.

في تلك الليلة، بدأ الضغط الجوي ينخفض مرة أخرى، وبأسرع مما حدث قبل العاصفة السابقة. عقد البحارة والركاب اجتماع صلاة عاجل. إن كانت هذه العاصفة سوف تكون أسوأ من العاصفة السابقة، فالله وحده يمكن أن ينجيهم منها. لم تكن اللامرموير المهشمة في حالة تسمح لها بأن تشق طريقها في وسط عاصفة أخرى.

بمجرد إنتهاء الصلاة، كانت الريح تعوي فوق سطح السفينة، وهي تنتزع براميل المؤن كما لو كانت لا تزن شيئاً وتلقي بها بشدة في المحيط. في لحظة كانت السفينة متجهة إلى أعلى، وفي اللحظة التالية كانت تنزلق إلى أسفل عند ملاطمتها لموجة عاتية. كانت المياه الجبارة تضرب السفينة ساعة بعد الأخرى.

في كل مرة كان يظهر واحد من البحارة في الصالون، كان لديه خبر أسوأ مما قبله. لقد انتزعت الأسوار، ولم يكن هناك شيء يوقف زحف الأمواج، وسرعان ما بدأت الأمواج ترتطم بالسطح، وتضرب باب الصالون.

كان الجميع في شوق لانتهاء العاصفة. فقد وصل الركاب والبحارة على السواء إلى مستوى الإعياء. ولكن العاصفة استمرت في استجماع قوتها.

بعد يومين من الصراع مع العاصفة بلا طعام أو نوم، بدأ البحارة يفقدون الرجاء. لم يعد بمقدور القبطان بيل والمستر برتون تحفيزهم للعمل. ومع ضياع الأسوار، لم يعد هناك شيء يمكنهم أن يتعلقوا به أو يحميهم على السطح، وكان يمكن لأي واحد منهم أو لجميعهم أن تكتسحهم الأمواج في لحظة وحتى عندما انهار شراع مقدم السفينة والأشرعة الأمامية المثبتة، والقطع الخشبية الطويلة التي كانت تسند الأجزاء السفلى من الأشرعة، لم يخرج البحارة إلى السطح لتأمينها. كان شراع مقدم السفينة والأشرعة الأمامية المثبتة تتأرجح بخطورة مع هبوب الرياح. كان يمكن أن تنهار وتهوى في أي لحظة. وإذا هوت، فإنها تسقط على سطح السفينة مباشرة، مما يؤدي بالقطع إلى غرق السفينة.

عندما نظر القبطان بيل إلى سطح سفينته، أصيب بالذعر. كانت بداية النهاية. لن تصمد "اللامرموير" للضربات المتلاحقة التي تتلقاها مدة أطول من ذلك. كان جسم السفينة يصر صريراً متصاعداً كل ساعة تنقضي. وبالرغم من مرضه، كان مضطراً لمحاولة إنقاذ سفينته. وحيث أن البحارة لن يطيعوه، كان عليه وعلى مستر برنتون أن يعملا ذلك بمفردهما. صعدا سوياً إلى السطح، على أمل أن يمسكا بشراع مقدمة السفينة والأشرعة الأمامية المثبتة ويربطونها. زحفا إلى الأمام، مع خفض رأسيهما متجهين إلى السطح، حتى لا يصطدم بهما شراع مقدم السفينة. وبينما كانا يستعدان للإمساك بشراع مقدمة السفينة، ضربت السفينة موجة عاتية. تعلق الرجلان بالصاري الرئيسي بكل قوتهما لتجنب جرف المياه لهما. ثم جاء صوت الصرير الذي لم يريدا أن يسمعاه. انهار الصاري الذي كانا يتعلقان به فوق رأسيهما، وهكذا حدث، للشراع المنصوب على الصاري الأقرب إلى مؤخرة المركب. عندما سقط الصاريان، اشتبكا في حبال الأشرعة والصواري، مما منعهما من السقوط فوق سطح السفينة. زحف القبطان بيل ومستر برنتون إلى الصالون بكل حذر.

مع انكسار اثنين من صواري "اللامرموير" الثلاثة وسقوطهما فوق السطح، بدأت السفينة تتحطم. كانت الصواري الساقطة تتأرجح إلى الخلف وإلى الأمام على سطح السفينة وجانبها، مما حطم أي خشب تضربه إلى قطع صغيرة متماثلة الحجم.

قال القبطان بيل لهدسون، والخوف واضح في صوته: "كل شيء مرتبط بالوقت الآن، وهو ليس في صالحنا. فلو استطعت أن أحمل البحارة على مساعدتي، فقد نستطيع أن نقطع حبال الأشرعة والصواري، وندع الصواري تسقط من فوق جانب المركب إلى البحر، ولكن تلك محاولة ميئوس منها".

قبل هدسون وماريا كل واحد من أطفالهما قبلة الوداع واستودعوهما بين يدى الله. لم تكن هناك قوارب نجاة، وحتى لو كان هناك بعض القوارب، فإنها سوف تكون بلا فائدة بسبب تلك الأمواج العنيفة. تجمع المرسلون سوياً في وسط الصالون وابتدأوا يرنمون ترنيمة "صخر الدهور"

كانوا قد وصلوا إلى العدد الثالث من الترنيمة عندما لاحظ هدسون القبطان بيل وهو يضع مسدساً في حزامه. زحف هدسون خلفه وهو يشق طريقه فوق سطح السفينة. لحق به عندما اقترب من مقدمة السفينة، حيث كان البحارة يتخذون منها ملجأ لهم. عندما رأوا القبطان بمسدسه، حشروا أنفسهم أكثر مما ينبغي في تلك المساحة الصغيرة. كانوا يفضلون أن يطلق عليهم النار على أن يرغموا على ترك ذلك المأوى.

صاح هدسون فعلا صوته على زئير المياه: "دعني أحدثهم"

أومأ القبطان بيل رأسه بالموافقة، وزحف هدسون متجهاً نحو مقدمة السفينة. رفع صوته ليعلو على صوت غضب العاصفة. "أيها

الرجال، الأمل الوحيد الباقي لنا أن نسقط الصواري من فوق جانب المركب إلى البحر. سوف نساعدكم، حياتنا في خطر مثلكم تماماً. اخرجوا وساعدونا في إنقاذ السفينة".

لم يتحرك الرجال. كان الخوف يشل حركتهم تماماً كما حدث بالنسبة للجانب الأيسر من وجه القبطان بيل.

أشار هدسون إلى القبطان بيل بأن يترك مسدسه في حزامه، ثم زحف راجعاً إلى الصالون وشرح الموقف للمرسلين الرجال. استودعوا أنفسهم جميعاً بين يدي الله وزحفوا واحداً وراء الآخر خارجين من الصالون، وهم يحنون رؤوسهم في مواجهة الريح.

تحرك المرسلون على شكل مروحة فوق سطح السفينة، ممسكين بالحلقات المعدنية المثبتة في السطح والتي كانت تستخدم لإنزال الحمولة. بإمساك الحلقة، بدأوا يقطعون حبال الأشرعة والصواري. كان كل رجل يعمل بمفرده. بدأوا أولاً في تحرير الصاري الرئيسي وألقوا به من فوق جانب المركب إلى البحر، ثم اتجهوا نحو مؤخرة السفينة وبدأوا يعملون في الصاري الخلفي.

بعد رؤيتهم لرجال إرسالية الصين الوطنية يخاطرون بحياتهم لإنقاذ "اللامرموير"، بدأ أفراد طاقم البحارة يستجمعون شجاعتهم. زحفوا خارجين من مقدمة السفينة وانضموا إلى الجهود المبذولة لإنقاذ السفينة.

أخيراً تم حل الصاري الخلفي وجرفته المياه بعد إسقاطه من على ظهر المركب، ثم عاد الرجال إلى الصالون.

أثناء وجودهم على سطح السفينة، لم يكونوا قادرين على رؤية كل منهم للآخر بسبب الرذاذ والماء اللذين غمرا السفينة. لم يكونوا يعلمون إن كان أي شخص قد اكتسحته الأمواج فسقط إلى قاع البحر، وكانوا ينتظرون بفارغ الصبر لرؤية من عاد ومن لم يعد. شق الرجال واحدا وراء الآخر طريقهم نحو الصالون. كان يعد شيئاً معجزياً أن المياه لم تجرف شخصاً واحداً ليسقط في البحر. ولكن العاصفة لم تكن قد انتهت بعد، وبعد صلاة شكر سريعة، كان كل شخص رجلاً كان أم سيدة يقوم بدوره في عملية التخلص من الماء الذي في جوف السفينة عن طريق المضخات. كان الرجال والنساء يضخون الماء طوال الليل لمنع الماء الذي تدفق إلى الداخل من خلال فتحات في سطح السفينة المهشم من إغراق السفينة. وعند اقتراب الصباح، بدأت الرياح تهدأ. وعند شروق الشمس، أصبح البحر الغاضب الذي كاد أن يبتلع اللامرموير في جوفه، هادئاً".

بعد ٥ أيام، كانت اللامرموير المهشمة والمشوهة، تتهادى وهى تتمايل تشق طريقها في نهر هوانج بو نحو شنغهاي. تزاحم المشاهدون المحبون للاستطلاع راكبين قوارب صينية لمشاهدة السفينة. عندما رأوا مقدار التلف الذي أصابها، ذهلوا لأنها استطاعت أن تصل إلى الميناء.روى البحارة والمسافرون قصة كيفية اقترابهم من الموت، ليتم إنقاذهم عندما بدا

كـل شـيء يائسـاً. هـز بحـارة آخـرون رؤوسهم عندما سمعوا أنه لم تهلك نفس واحدة ولم يصب أحد بسوء أثناء هبوب العواصف. وصلت إلى الميناء سفينة أخرى سلكت نفس طريق اللامرموير، في اليوم التالي. كان علمها الممـزق يخفـق فـوق نصـف سـارية. ولم يـبق عـلى قيد الحياة من بين ٢٢ بحـاراً، سوى ٦ فقط. أما الـ ١٦ بحاراً الآخرين، فإما أنهم قد سقطوا من فـوق السـفينة إلى الـبحر أو أنهـم دفـنوا في البحر بعد أن قتلوا في حوادث مرعبة أثناء العواصف.

بعـد أن رسـت اللامرمويـر عـلى الرصـيف، سمح القبطان بيل لـركابه أن يـبقوا على ظهر المركب لبضع أيام قليلة حتى يتم تدبير أماكن لهـم لكي يعيشوا فيها. لم تكن هناك فنادق كافية في شنغهاي، وقد عرف هدسـون أنـه لا أحـد مـن المرسـلين الآخـرين في المديـنة سوف يكون لديه حجـرات تكفي ١٨ شخصاً بالغاً و ٤ أطفال للإقامة فيها، دع عنك المكان الذي يتم فيه تخزين آلات الطباعة ومعدات المستشفى.

في الـيوم الـتالي، صلى أفراد "إرسالية الصين الوطنية"، الذين وصلوا حديـثاً إلى الصـين، حـتى يدبـر الله حـلاً لمشكلة احتياجهم لمكان إقامـتهم. لقـد أتى بهم الله من هذه المسافة البعيدة دون أن يلحق بهم أي أذى، بـرغم كـل المعضـلات الـتي واجهتهم. وقد علموا أن الله لن يتخلى عـنهم الآن. لابد أنه كان يوجد مكان ما لإقامتهم، وأن الله سوف يقتادهم إليه.

الفصل الرابع عشر
بداية العمل

لم يضطر المرسلون الجدد "لإرسالية الصين الوطنية" للانتظار طويلاً حتى يستجيب الله صلواتهم بتهيئة مكان للإقامة فيه. كان أول مرسل جاء على ظهر "اللامرموير" لكي يرحب بهم في الصين هو وليم جامبل، من الإرسالية المشيخية الأمريكية. كان وليم جامبل يعيش في ننج بو في نفس الوقت الذي كان يعيش فيه هدسون، وقد أصبحا صديقين. والآن فقد شعر بالإثارة لترحيبه بعودة صديقه القديم إلى الصين.

كان وليم جامبل فني مطبعة الإرسالية المشيخية الأمريكية، وقد انتقل حديثاً من ننج بو إلى شنغهاي ليؤسس مطبعة حديثة. كان قد اشترى مستودعاً كبيراً قريباً من المدينة القديمة ليصنع فيه المطبعة الجديدة. ولكن معدات الطباعة قد تأخرت، ولذا فقد أصبح مخزنه فارغاً. عندما اكتشف أن المرسلين الجدد ليس لديهم مكان ليقيموا فيه، أصر على أن يستخدموا مستودعه طوال المدة التي كانوا يريدونها في الوقت الذي كانوا يسعون فيه لاستخراج التصاريح للتحرك نحو الداخل. كان المستودع يكفي ويزيد لجميعهم ولمعداتهم ومؤنهم. في اليوم التالي، أنزلت المجموعة بفرح مقتنياتها من اللامرموير وانتقلت إلى المستودع.

بعـد تجفيف مقتنياتهم المبللة وغسيل كل ملابسهم وفراشهم، حـان الوقـت بالنسـبة لهـم لـبداية العمـل. استأجر هدسون حلاقاً، حلق مقدمـة رأس كـل رجـل ونسج ضفيرة مستعارة في الشعر المتبقي. بعد ذلك تم تجهـيز ملابـس صـينية لجميعهم. وعندما كانوا يخرجون من المستودع إلى الشـارع، كانـت مجموعـة مـن الأجانب والصينيين على السواء تتوقف لتـنظر وتضحك. كـان الـرجال بـنوع خاص، يجدون صعوبة في الاحتفاظ ببـنطلوناتهم مـرفوعة لا تشـتبك مـع الحـوافي المثنـية لأعـلى لأحذيـتهم الجديـدة. كانت هناك أيضاً مقالة في جريدة شنغهاي عن "إرسالية الصين الوطنية". وقد دعاهم الكاتب في المقالة "إرسالية الضفائر"

بالنسبة لعـدد كـبير مـن الأجانـب في شـنغهاي، كـان سلوك الإرسـالية الجديـدة غـير بـريطاني وغـير مسـيحي في نفس الوقـت. كان المرسـلون مـن الهيـئات الأخـرى غالـباً يعـبرون الشـارع عندما كانوا يرون شخصاً من إرسالية الصين الوطنية يقترب. لم يكونوا يريدون أن تكون لهم أي علاقة مع مثل هذه المجموعة الغريبة من البشر.

كـل ذلـك جعـل بعـض المرسـلين الجـدد يتسـاءلون عـن مدى جـدوى ارتـداء الملابـس الصـينية وتصفيف الشعر بالطريقة الصينية. ولكن هدسـون ذكـرهم أنهـم سـرعان مـا يسـافرون إلى الداخـل، حيـث يلـتقون بـالآلاف مـن البشـر الذين لم يشاهدوا شخصاً أبيض من قبل. وسألهم هذا السـؤال: "هـل تـريدون أن يـتذكركم الناس بالملابس الغربية الغريبة التي

كنتم ترتدونها، أو برسالة الخلاص التي بشرتم بها؟". استطاع المرسلون الجدد فهم وجهة نظره وقضوا المزيد من الوقت في التدرب على كيفية رفع أكمام ستراتهم وأكل الأرز بالعيدان.

بعد ثلاثة أسابيع من الوصول، اكتملت الأوراق، وحصلت "إرسالية الصين الوطنية" على الإذن بترك شنغهاي والذهاب إلى هانج شو. قبل رحيلهم، جاء مرسلون كثيرون من مجموعات أخرى للحديث مع هدسون. قالوا له إنه مجنون. كيف يشجع تسع فتيات غير متزوجات على المخاطرة بالذهاب إلى الداخل؟ ألا يعلم أنه في كل أنحاء الصين، لا توجد إمرأة غير متزوجة تعمل بعيداً عن مواني المعاهدة الخمسة؟.

لم يكن هدسون يعلم، وبينما كانوا يتحدثون عاد هدسون بفكره إلى شاطئ برايتون وكل ما أظهره له الله هناك. سوف يعمل كل ما يستطيعه لحفظ سلامة النساء، ولكن الله قد دعاهن، وكانت كل إمرأة تعرف المخاطر المحتملة.

كان "وليم جامبل" على صلة بالمرسلين المقيمين في مستودعه. وقد شعر بالحزن لرحيلهم، ولم يكن يريد أن يأخذ الإيجار الذي أصروا على دفعه له. جاء إلى رصيف الميناء ليودعهم. كانت ليلة جميلة مقمرة عندما ركبوا السفن الشراعية الصينية التي أخذتهم مسافة مائة ميل في نهر هوانج بو إلى هانج شو. ساعدهم وليم جامبل على الصعود فوق ظهر السفينة وقبل أن يلوح مودعاً إياهم، ترك لفافة صغيرة على مقعد السفينة

الأخيرة. وعندما تم فتح اللفافة، كانت تحتوي على كل مبلغ الإيجار الذي دفعوه في مقابل استخدامهم للمستودع ومذكرة تقول "لصالح الإرسالية".

كانت السفن الصينية تطفو بهدوء فوق النهر، بمحاذاة الأرصفة، حيث كانت اللامرموير مازالت مربوطة تحت الإصلاح. كان البحارة يرقبون المرسلين، وعندما رأوهم، طلبوا من هدسون أن يصعد إلى سطح سفينتهم لتقديم خدمة أخيرة. في ضوء القمر، تسلق المرسلون بجهد سلم الحبال الموضوع على جانب السفينة متجهين صوب رصيف اللامرموير المألوف. ألقى هدسون عظة قصيرة على السطح الأمامي للسفينة، ثم رنموا بعض الترانيم معاً. سأل مستر برنتون إن كان بإمكانه أن يسافر إلى أعلى النهر مع المجموعة لبضع أيام قلائل، وأعطى القبطان بيل الإذن له بذلك. ولذا صعدت المجموعة إلى سطح سفنهم ومعهم عضو زائد عن العدد الذي بدأوا به رحلتهم. عندما أقلتهم السفن وتحركت بهم في النهر، رنم فريق البحارة والمرسلون معاً: "نعم نفترق، ولكن ليس إلى الأبد"، نفس الترنيمة التي ضايقت عدداً كبيراً من البحارة حين سمعوها لأول مرة على رصيف شركة الهند الشرقية بلندن. الآن هم أنفسهم يرنمونها بأعلى الأصوات، دون أن يعروا اهتماماً لما يفكر فيه البحارة في السفن المجاورة.

سـافر مسـتر برنـتون معهـم لـمدة ثلاثة أيام، وعمده هدسون في النهر قبل عودته إلى اللامرموير في شنغهاي.

كانـت الـرحلة إلى هـانج شـو بطيـئة جـداً، وقـد مضت أربعة أسـابيع قـبل أن ترسـو السـفن الصـينية أخيراً هناك. كانت مدينة المليون شـخص جمـيلة كما أخبر هدسون الجميع بأنـها كذلك. ومع أنها تعرضت لدمـار شـديد أثـناء تمـرد تايبنج، إلا أن معظمها قد تم بناؤه مرة أخرى، وكانت هناك الكثير من البحيرات والحقول المفتوحة في وحول المدينة.

كمـا كـان الحـال في شـنغهاي، كـان هـناك القليل من المنازل للإيجار في هانج شو، ولكن بعد عدة أيام، استطاع هدسون أن يجد المكان المـتكامل، أي الـذي يمكـن تصـوره بعد كثير من إعمال الفكر. كان المنزل رقـم واحـد في الـزقاق الجديد واحداً من تلك المباني التي لم يتم إصلاحها بعـد تمـرد "التيبنج". كانت توجد به ثقوب واسعة في جدرانه، وما تبقى من الجدران تم تغطيته بالطين. ولكن المنزل كان واسعاً أيضاً، وكان عبارة عن مبنى من دورين وبه ما يزيد على ثلاثين حجرة. استطاع هدسون فوراً أن يـرى الاحـتمالات،أن تكـون بـه مستشـفى وصيدلية في الـدور السفلي وردهـة للمعيشـة في الـدور العلـوي. وكان المنزل به أيضاً فناء يحتوي على حديقـة صخرية جميلة وبركة اصطناعية حيث يمكن أن يلعب الأطفال في أمان.

بدأت المجموعة تعمل كفريق عمل بهدوء لإصلاح المنزل. كانوا يعـرفون أن معظـم الـناس في المدينة لم يكونوا قد شاهدوا أجنبياً من قبل، ولم يشـاءوا أن يبـثوا الذعـر في نفوسـهم. ولذا فقد تركوا الشبابيك مفتوحة والستائر غير مسدلة معظم الوقت حتى يمكن للجيران أن يروا ما يفعلونه. وسرعان ما كانت مجموعات من الشعب الصيني تراقبهم وهم يأكلون الأرز والخضراوات بالعيدان ويطيرون الذباب بعيداً بمراوح كبيرة من الأعشاب.

شـيئاً فشـيئاً، تشـجع الـناس الذيـن كـانوا ينظرون من خلال الـنوافذ، وقفوا حول الباب وأخيراً تجاسروا على دخول المنزل. فتح واحد أو اثـنان مـن الأشـخاص المحـبين للاستطلاع غسالة الملابس لرؤية ما هو موجـود بداخـلها. أداروا مقبض عصـارة الملابـس وتظاهروا بأنهم يضعون الملابـس فـيها كمـا تفعل النساء الأجنبيات. تأملوا عيون الأجانب الزرقاء والـرمادية اللون، وضحكوا على أنوفهم الطويلة غير المستوية. وتوصلوا إلى الاستنتاج أن الأجانب إجمالاً لا يختلفون عنهم.

ذاع خـبر الأجانـب الودوديـن في كـل أنحـاء المدينة. ولم يمض وقـت طويـل حـتى أصبح المـنزل في الـزقاق الجديد خلية نحل. افتتحت المستشـفى، وسـرعان مـا أتـي ما يزيد على ٢٠٠ مريض في اليوم للحصول عـلى العـناية الطبـية. انضـم "تسـوى"، (واحـد من المتجددين حديثاً من كنيسـة شـارع القـنطرة في ننج بو)، إلى الفريق. كان يقضي أيامه في الوعظ والتحدث مع الجماهير التي كانت تأتي إلى البيت.

بعد عدة عمليات خطيرة بنوع خاص، مثل إزالة المياه البيضاء، على سبيل المثال، كان هدسون يأخذ قسطاً من الراحة فيرنم بعض الترانيم ويعزف على آلة الهارمونيوم. وكان المرضى يعجبون بها. كان هدسون يرنم بأعلى صوته ثم يقف فوق مكتب ويعظ بأقصى طاقة له. لم تكن الحياة كئيبة أبداً في المنزل الكائن بالزقاق الجديد.

كانت ماريا تجلس معظم الأوقات مع المرضى، وتصلي مع أولئك الذين كان يبدو عليهم الخوف وتحكي قصص الكتاب المقدس للأطفال. كان عليها أيضاً أن تعتني بطفل آخر قد أنجبته هي. كانت ماريا الصغيرة هي الطفلة الشقيقة التي طالما كانت تتوق جريس إليها.

في أواخر الصيف، حصلت عائلة تايلور على إجازة كانوا بحاجة ماسة إليها. ماريا والأطفال الخمسة، جريس، وهربرت، وهوارد، وصموئيل وماريا الصغيرة، أقاموا بالجبال خارج المدينة بينما كان هدسون يقتسم الوقت بين ذلك المكان والعمل في هانج شو.

كان الأطفال يشعرون بطاقة متجددة على تسلق الجبال واكتشاف الأماكن البعيدة عن حرارة المدينة. كانوا يجرون ويسبحون طوال اليوم، وعند حلول الليل كان التعب يأخذ منهم كل مأخذ. ولكن في صباح أحد الأيام، بعد حوالي أسبوع من إقامتهم في الجبال، لم تكن جريس تقدر أن تنهض من الفراش. أحضرت لها ماريا طعامها، ولكن جريس لم تكن جائعة. وبمضي ساعات النهار، ازداد قلق ماريا، ولذا فقد استدعت

هدسون. عند وصوله، كانت درجة حرارة جريس قد ارتفعت ارتفاعاً ملحوظاً. فحصها بعناية ثم تسلل من الحجرة بهدوء وأشار لماريا أن تتبعه. مشي بهدوء إلى البركة الاصطناعية حيث كان الأطفال يحبون أن يعوموا. ثم تحدث إلى ماريا بصوت ضعيف "ليس هناك أمل في تحسن صحة جريس. عندها التهاب سحائي، وليس لها علاج".

كان شخص ما يقيم مع جريس كل دقيقة، يمسح جبينها، ويرنم ويصلي لها وبعد خمسة أيام، بينما كان هدسون وماريا وعدد كبير من الذين كانوا معهما على ظهر اللامرموير مجتمعين حول فراشها يرنمون لها الترانيم، ماتت جريس في سلام.

افتقدها هدسون بشدة، وبكى لفراقها أياماً كثيرة. كان كل شيء يفعله ويراه يذكره بجريس. سار بمحاذاة البحيرة ورأى البجع الذي كان الأطفال يحبون أن يطعموه. نظر من نافذة عيادته ورأى الأرجوحة الصغيرة في الفناء والتي كانت قد طلبت منه أن يصنعها لها. إنها الآن معلقة بلا حراك.

ولكن العمل في هانج شو استمر، وبينما كان هناك حزن، كان هناك أيضاً فرح. تزوج وليم رودلاند وماري بيل. وانج لاي ديون، الذي كان قد اصطحب هدسون وماريا إلى إنجلترا قبل ذلك بسبعة سنوات، انضم إليهما: أنشأ "الراعي" وانج، كما كان يطلق عليه الآن، كنيسة صغيرة. وسرعان ما كان بها خمسون مؤمناً معمداً. كانت الكنيسة نشطة

في توصيل رسالة الإنجيل إلى بقية أفراد المجتمع. افتتحت أماكن لأربع إرساليات أخرى في المدن المجاورة، وكانت "إرسالية الصين الوطنية" قد بدأت تنمو بوصول مرسلين آخرين من إنجلترا.

ولكن كان هناك الكثير من التحديات الأخرى في الصين، وكان هدسون قد بدأ يشعر بالقلق. لقد ظل في هانج شو لما يقرب من عامين، وقد حان الوقت كي ينتقل إلى أماكن أبعد في داخل الصين. وافقت كل من جيني فولدنج وعائلة مكارثي، الذين قد انضموا للفريق في هانج شو من إنجلترا، على البقاء وتقديم الدعم لوانج لاى ديون، بينما حزمت بقية المجموعة متعلقاتها استعداداً للسفر مرة أخرى. في يونيو سنة ١٨٦٨، ركبوا على متن عوامة متجهة صوب يانج شو، على بعد ٢٠٠ ميل في داخل البلاد.

أبحروا في القناة الكبرى، وعبروا نهر يانجتسي، ثم أبحروا لمسافة ١٢ ميلاً آخر في اتجاه منبع القناة حتى وصلوا إلى يانج شو، المدينة التي كان ماركو بولو حاكماً لها في القرن الثالث عشر. مثل تونج شو، كان هدسون قد زارها منذ ١٣ سنة مع جون بردون، كانت يانج شو مشهورة بالسلوك الجامح لسكانها. وإذ كان أفراد "إرسالية الصين الوطنية" يدركون ذلك، فقد أقاموا بهدوء في عوامتهم حتى أواخر شهر يوليو، حين انتقلوا إلى بيت كبير كان هدسون قد استأجره.

كان المنزل مجاوراً لمنازل أخرى وكان به عدد من المباني الملحقة به لكي يقيم بها أفراد الفريق. استخدم هدسون بعض النجارين، الذين قضوا عدة أسابيع يعملون لإصلاح وتحسين المنزل حتى يستطيع أفراد الفريق أن يستغلوه في الخدمة الموكولة إليهم.

كان عدد قليل من الأجانب قد تجاسر على الذهاب إلى يانج شو، ولذلك كان أفراد الفريق حريصين وهم يحتكون بالسكان المحليين. لم يكن عدد من أفراد الشعب المتعلمين في المدينة سعداء برؤية المرسلين الأجانب. اعتقدوا أن الأجانب يحتقرون عقائدهم الكونفوشية. ولذا فقد بدأوا بترويج الإشاعات عن المجموعة، قائلين إنهم يأكلون الأطفال ويفقأون أعين المشرفين على الموت، آمن السكان المحليون بما سمعوه وما قرأوه في الملصقات التي ظهرت في كل أنحاء المدينة، والتي كانت تدرج كل الممارسات المقززة وتنسبها للأجانب. بدأ الناس يتجمعون حول بيت "إرسالية الصين الوطنية"، وهم يتصايحون ويهزأون بمن في الداخل. كان هناك في البداية مائة محتج، ولكن في كل ليلة كان العدد يتزايد.. وأخيراً، في ليلة السبت، ٢٢ أغسطس سنة ١٨٦٨، كان هناك ما يقرب من عشرة آلاف محتج مجتمعين خارج البيت.

كانت صيحات الرعاع تملأ البيت "الشياطين الأجانب قد أكلوا ٢٤ طفلاً. الشياطين الأجانب قد أكلوا ٢٤ طفلاً"، هكذا كان الرعاع

يصرخون. كانوا يقذفون بالأحجار والطين على حوائط الفناء، وكان الغاضبون يدفعون البوابة، التى كانت مغلقة بالسلاسل.

قال هدسون لماريا: "يوجد على الأقل ٨٠٠٠ شخص، وكل واحد منهم يعتقد أننا نريد أن نأكل أطفاله. فلا عجب أن يكونوا غاضبين".

أومأت ماريا رأسها بالموافقة. كان هربرت وهوارد وصموئيل وماريا الصغيرة ملتفين حول أمهم، التي كانت ممسكة بأصغر طفل لديها وهو تشارلس.

أسرع المرسلون بإقامة الحواجز لتحصين أنفسهم. قاموا بتسمير المصاريع لإحكام غلقها ووضعوا أكواماً من المناضد وقطع الأثاث الأخرى أمام الباب. وقام هدسون بتجميعها كلها معاً. بالإضافة إلى ماريا وهو وأطفالهما الخمسة، كان هناك ٣ رجال و ٥سيدات من "إرسالية الصين الوطنية" جنباً إلى جنب مع ١٩ مسيحياً صينياً في البيت. قال هدسون: "الجمهور غاضب جداً. لا أعتقد أنهم سوف يتوقفون حتى ينتقموا".

أومأ وليم رودلاند وهنرى ريد بالموافقة. قبل ذلك كانت بعض الجماهير تظهر نوعاً من المضايقات، ولكن لم يحدث من قبل شيء كهذا.

واصل هدسون حديثه فقال "إن أفضل رجاء لنا أن نصل إلى الحاكم بسرعة ونطلب منه العون. إنه الشخص الوحيد الذي يستطيع إيقاف ذلك".

تطوع جورج دنكان وقال: "إني سوف أذهب"

وأضاف وليم رودلاند: "وأنا كذلك"

قال هدسون: "كلا، الحاكم يعرفني. إنه يعرف أني قائد الإرسالية. يجب أن أذهب. سوف يأتي جورج معي. يا وليم، أنت تبقى هاهنا وتساعد هنرى في حماية الآخرين"

أعطى هدسون لماريا والأطفال قبلة الوداع، وتسلل هو وجورج دنكان إلى الفناء واختفيا عن طريق منزل واحد من الجيران.

مشيا بسرعة حالما وصلا إلى الشارع الذي كان يطل على الجزء الخلفي من منزلهما. لو أحنيا رأسيهما ولم يجريا، حتى لا يعرفهما أحد. ولكن بعض الرعاع لمحوهما، حتى بلباسهما الصيني وضفائرهما، بينما كانا يستديران حول ناصية أحد الشوارع. عندما بدأ الرعاع ينادون عليهما، بدأ هدسون وجورج دنكان ينظران كل منهما للآخر، ثم بدآ يجريان لينجوا بحياتهما.

لحسن الحظ، بدأ الظلام يحل، وكان هدسون يعرف طريقاً مختصراً وسط بعض الحقول. بعد فترة وجيزة نظر الرجلان خلفهما. لم يكن هناك من يسير خلفهما.

كانا يجريان، لعلمهما أن الجمهور سوف يخمن أنهما متجهين إلى بيت الحاكم.

لـو وصـل الجمهـور إلى بوابـته أولاً، فلن يتبقى لديهما أمل في الدخول لرؤيته.

انعطفا حـول ناصية وكانـت الـبوابة المؤدية إلى بيت الحاكم عـلى بعـد حوالي ٣٠ قدماً أمامهما. ولكن كان الرعاع يجرون من الاتجاه الآخـر، يمسـكون بالسـكاكين ويصرخون بأعلى الأصوات. كان الوقت قد تأخـر بالنسـبة لهدسـون وجـورج حتى يتراجعا. كان عليهما أن يصلا إلى الـبوابة أولاً. وكانـا يجـريان بسـرعة أكـبر، وهما يقتربان من البوابة ومن الرعاع. وبينما كان الرعاع على وشك الإمساك بهما، دفعا البوابة ففتحت وسقطا داخل فناء الحاكم. ولكن كان عليهما أن يتصرفا بسرعة. كان على الحاكم أن يعرف أنهما في فنائه وأنهما تحت حمايته.

عندما استعاد هدسون توازنه واندفع تجاه المنزل، صرخ بأعلى صوته: "أنقذ الحياة! أنقذ الحياة!"

كانـت عـبارة "أنقذ الحياة" هما الكلمتان الوحيدتان التي كان عـلى الحـاكم أن يسـتجيب لهمـا، وبسـرعة جـاء سكرتير الحاكم يجري لـيرى مصدر هذا الهياج تراجع الرعاع إلى الخلف عند رؤيته. لقد ضاعت مـنهم فرصة إلقاء القبض على الشيطانين الأجنبيين، اللذين أصبحا تحت حماية الحاكم الآن.

دعـا السكرتير الرجلين إلى الداخل وطلب منهما الانتظار. كان مـنزل "إرسالية الصين الوطنية" على بعّد ميل، وأثناء انتظارهما، استطاع

هدسون وجورج دنكان أن يسمعا الآلاف من البشر يصرخون ويتصايحون خارج المنزل. كان من المستحيل تصور ما يمكن أن يحدث لأولئك الذين بالداخل. كانا يصليان بحرارة بينما كانا ينتظران الحاكم.

أما في منزل الإرسالية، فقد تم إرسال النساء والأطفال إلى الطابق العلوي بينما كان الرجال يقيمون في الطابق السفلي للحفاظ على الحواجز في مكانها على قدر استطاعتهم. كان هناك طرق متواصل على الباب الأمامي حتى هوت أخيراً مطرقة على الباب وعلى المنضدة التي كانت تسنده. نظر الرجال حولهم في يأس بحثاً عن شيء ما لتدعيم الحاجز، ولكن لم يكن هناك شيء.

سوف تنهار الحواجز تماماً في بضع ثوان قليلة. جرى وليم رودلاند نحو درجات السلم. كان عليه أن يحذر النساء، حتى وإن لم يكن هناك طريق آخر للخروج من الطابق الثاني. وهرب هنري ريد نحو الحديقة.

في ذلك الوقت تقريباً، وافق الحاكم أخيراً على رؤية هدسون وجورج دنكان. بعد إلقاء التحية، قال هدسون بلهجة ماندرانية فصيحة إن بيتهم كان تحت الحصار وأن العديد من أرواح الأجانب في خطر.

أومأ الحاكم رأسه بالموافقة ثم قطب جبينه قائلاً: "إني أتساءل عن سبب ذلك".

أجاب هدسون بالقول: "لأن كل أنواع الإشاعات الكاذبة قد راجت في كل أنحاء يانج شو. في هذا الصباح كان هناك ملصق جديد يقول إننا نأكل الأطفال".

سأل الوالي بأدب "وماذا تفعلون حقاً بالأطفال الذين تقبضون عليهم؟ أين هم الآن؟ هل سوف تقبض على المزيد منهم؟

أصيب هدسون بالصدمة بسبب أسئلته. هل صدق الوالي الأكاذيب أيضاً؟ حاول هدسون أن يظل هادئاً وأخيراً قال: "لقد جئنا هنا لمساعدة الأطفال، وليس لإيذائهم. إني متأكد أنك لن تجد طفلاً واحداً مفقوداً في كل يانج شو. ولكن يعد مأساوياً أن تكتشف ذلك بعد أن نكون قد متنا جميعاً".

وافق الحاكم قائلاً "صحيح. ولكن لماذا تثور الجماهير هذه الثورة العارمة إذا لم يكن هناك سبب لذلك؟"

قضم هدسون شفته في يأس ثم قال: "قيل لهم بعض الأشياء غير الصحيحة. هل لي أن اقترح بأن تُسكت أولاً الجمهور ثم تواصل الأسئلة بعد ذلك؟"

هكذا تحدث هدسون بكل حماسة ووضوح.

قال الحاكم وهو يغادر الحجرة: "نعم، نعم هذا حل جيد للمشكلة. أنت تبقى هنا بعيداً عن الأنظار، وأنا سوف أرى ما يمكن عمله"

مرة أخرى ترك هدسون وجورج دنكان بمفردهما ينتظران. كان بمقدورهما سماع الصياح والضربات المدوية في الساحة الخلفية.

صليا وانتظرا، ثم صليا مرة أخرى. مضت ساعة. وابتدآ يتساءلان عما إذا كان الحاكم يشرب الشاي في الحجرة المجاورة وهو ينتظر أن يقتل الجمهور الجميع قبل أن يرجع ليخبرهما أنه قد ذهب هناك بعد فوات الأوان.

مضت ساعة أخرى. الآن، خمد ضجيج التمرد أخيراً. تساءل هدسون وجورج دنكان عن السبب. مضى المزيد من الوقت. أخيراً عاد الحاكم مرة أخرى إلى الحجرة وقال: "كل شيء هادئ الآن. لقد ذهب الحاكم العسكري للمدينة والجنود إلى منزلكم. لقد قبضوا على بعض الأشخاص، خاصة أولئك الذين نهبوا ممتلكاتكم. إنهم سيعاقبون. يمكنكما أن تعودا إلى المنزل الآن. سوف أرسل معكما مرافقاً لتأمين ذهابكما إلى هناك، وسوف أعين حراساً على بوابتكما الليلة".

أصيب هدسون بالذعر. إذا كان الناس قد نهبوا البيت، فهذا يعني أن الحواجز قد انهارت. وإذا استطاع الرعاع أن يدخلوا إلى داخل البيت. فماذا حدث لماريا والأطفال والمرسلين الآخرين؟

عندما وصلا أخيراً إلى المنزل، استطاع هدسون أن يرى دخاناً يتصاعد منه. شق الرجلان طريقهما وسط الحطام. كانت الكتب ممزقة ومبعثرة على الأرض. لقد تم إحراق جدار، وتمزيق جوالات الأرز الذي

كان مبعثراً في كل مكان. تم تحطيم الأثاث، ولم يكن في البيت بشر أحياء أو موتى. أحد المتجددين حديثاً وقد كان في المنزل جاء يجري وهو يقول: "تعال هنا، تعال هنا"، وهو يشير إليهما لكي يتبعاه.

جرى هدسون وجورج دنكان وراءه. اقتادهما عبر الفناء حتى دخلا منزل أحد الجيران. في الفناء الداخلي للمنزل وجدا الجميع بخير. صاح هدسون صيحة ارتياح عندما رآهم.

حكوا له قصة هروبهم. عندما تم تحطيم الحواجز، صعد وليم رودلاند مهرولاً إلى الدور العلوي ليحذر النساء، بينما هرب هنرى ريد إلى الحديقة.

كانت النساء محتجزات ومعهن وليم رودلاند في الطابق العلوي. كان الأمل الوحيد في النجاة يتعلق بالقفز من ارتفاع ١٥ قدماً إلى الفناء، ثم إلقاء الوسائد والأغطية من فوق لتأمين عملية القفز. عندما كان كل شخص يقفز، كان هنرى ريد يخبئه في بئر السلم في مؤخرة الحديقة.

قبل أن يتمكن الجميع من القفز بأمان، اندفع بعض الرجال صاعدين السلالم، وقاموا بالاستيلاء على ما تمتلكه النساء من نفائس، وعندما رفض وليم رودلاند تسليم ساعته، التقط واحد طوبة ليشج بها رأسه. ألقت ماريا بذراعيها فيما بين الرجل ووليم رودلاند، ولذا استدار الرجل ليضربها بالطوبة. فسألت الرجل قائلة له: "هل تؤذي إمرأة بلا حول أو قوة؟"

دهش الرجل من السؤال، وألقى بالطوبة، وجرى نحو الباب، ثم صرخ منادياً الرعاع وهو يقول: "اصعدوا. اصعدوا".

انتهز وليم رودلاند وبقية النساء الفرصة للقفز في أمان. ولسوء الحظ، قام الرعاع الذين في أسفل البيت بإضرام النيران في الوسائد والأغطية. قام هنرى ريد بإبعاد النساء عن النيران، ولكن لم يكن هناك ما يؤمن عليه القفز. هبطت ماريا بشدة فالتوت ساقها وجرحت. سقطت إميلي بلاتشلي إلى الخلف عندما ارتطمت بالأرض فكسر مرفقها (كوعها).

على الرغم أنهن قد تهشمن وأصبن بالرضوض، إلا أنهن كن سالمات، وقد أعد لهن واحد من الجيران مكاناً آمناً في فنائه الداخلي.

عاد الجميع في وقت لاحق من تلك الليلة إلى منزل "إرسالية الصين الوطنية". كانت الحجرات قد نهبت، والأدراج قد فرغت من محتوياتها، والنوافذ قد تحطمت والأثاث قد خرب. ولكن مما يبعث على الدهشة، أن حجرة إميلي بلاتشلي لم تمس. والأكثر مدعاة للدهشة، أنها كانت الحجرة التي كانت تحفظ بها معظم سجلات الإرسالية، وأوراقها الهامة، ونقودها.

في اليوم التالي، أصدر الوالي إعلاناً يحذر فيه أهل يانج شو من إزعاج المرسلين مرة أخرى، وكان الإعلان مذيلاً بهذه الكلمات:

"لو حدث أي شيء مثل ذلك ثانية، سوف يتعرض الجناة لأشد أنواع العقاب. إياكم ومخالفة الأمر!" تم تعليق الإعلان على كل ناصية شارع.

بعـد هذا الشغب بأسبوع، عادت المياه إلى مجاريها في المدينة.

قـام المرسـلون بإصـلاح البيـت، واستمرت خدمتهم في يانج شو وأصبحت مثمرة.

الفصل الخامس عشر

إنسان في المسيح

بحلول عيد الميلاد لسنة ١٨٦٩، كان هدسون وماريا قد اتخذا أصعب قرار في حياتهما الزوجية. لقد قررا إرسال أكبر ٤ أطفالهما هربرت وهوارد وصموئيل وماريا إلى إنجلترا ليقيموا مع جديهما. فإنجلترا أكثر أماناً بالنسبة لهم، ويمكنهم أن يذهبوا إلى مدرسة منتظمة. في ذلك الوقت كان من المعتاد إرسال الأطفال إلى الوطن هكذا، ولكن ما كان يضايق هدسون وماريا أن يفكرا أنهما لن يشاهدا أطفالهما لمدة طويلة. لقد قررا أن يحتفظا بـ "تشارلس" الذي يبلغ عاماً واحداً من العمر معهم لأنه أصغر من أن يحتمل فراق والديه. وكانت ماريا أيضاً حاملاً وكان من المنتظر أن تلد في منتصف العام، ولذا فإن تشارلس سوف يكون له شقيق يلعب معه. كان من المقرر أن تأخذ إميلي بلاتشلي الأطفال معها على السفينة في رحلة العودة. كان مرض السل الرئوي قد تمكن منها وكانت بحاجة إلى العلاج في إنجلترا.

كان على الأسرة أن تفعل الشيء الكثير للإعداد للرحلة إلى شنغهاي، حيث كان من المقرر أن ترحل منها سفينة الأطفال متجهة إلى إنجلترا. أثناء الاستعداد، لم يكن صموئيل بخير، ولكن لم يكن أحد

يعرف مقدار معاناته من المرض حتى شهر فبراير، عندما بدأت الرحلة إلى شنغهاي. أثناء السفر بالقارب في نهر يانجتسي، راح صموئيل في غيبوبة ومات. في أثناء إنهمار السيول، دفنت ماريا وهدسون ابنهما البالغ من العمر ٦ سنوات بجوار جريس في مدفن صغير بجانب النهر في مدينة شين كيانج.

بالرغم من صعوبة وقع موت صموئيل على العائلة، استمروا في طريقهم إلى شنغهاي ولكن وداع أكبر ٣ أطفالهما لم يكن سهلاً بالنسبة لهدسون وماريا. عندما تحركت السفينة حاملة أطفالهما نحو مصب نهر هوانج بو، كانا يتساءلان إن كان بإمكانهما رؤية الأطفال مرة أخرى.

في الوقت الذي رحل فيه الأطفال إلى إنجلترا، افتتحت "إرسالية الصين الوطنية" العديد من المراكز المرسلية الجديدة في الصين، وكان لكل مركز تقريباً مشكلاته بالنسبة لمرض العاملين أو شغب الجيران. كان هدسون وماريا في غاية المشغولية. لقد تحركا إلى تشين كيانج في نهر يانجتسي حتى يستطيعا السفر إلى مراكز الإرسالية المختلفة بسهولة أكثر.

في ٧ يوليو سنة ١٨٧٠، ولد الطفل نويل. كان طفلاً صغيراً ممتلئ الجسم، وكان يكبر ويقوى كل يوم. ولكن ماريا لم تكن كذلك فقد بدأ هدسون يقلق بشأنها. كانت ترقد في الفراش مع نويل وهي تحتضن الطفل الذي يرقد بجوارها. كانت تبتسم ولكن كانت تبدو شاحبة وضعيفة.

بعد أسبوع، علم هدسون أن حالتها كانت خطيرة. كانت تنزف في موضع ما داخل جسدها، ولم تكن لديه الوسيلة لكي يعرف بالضبط موضع النزيف حتى يوقفه.

في نفس الوقت، لم يعد الطفل نويل في صحة جيدة أيضاً. كان يعاني وقتئذ من الإسهال، الذي لم يكن يشكل مشكلة كبرى بالنسبة للشخص البالغ، ولكنه كان خطيراً بالنسبة لطفل صغير كنويل. كان لهدسون الآن زوجة مريضة جداً وطفل مريض. كان هدسون يقضي وقته في الصلاة ويعمل على تهدئتهما وراحتهما ولكن بعد ميلاده بثلاثة عشر يوماً، انهار جسد نويل ومات بهدوء، في فراشه بجوار أمه المريضة.

كانت ماريا مريضة جداً حتى أنها لم تقو على حضور جنازة طفلها، قبلّت ابنها قبلة الوداع واختارت ترانيم جنازته. ترك هدسون المدفن بعد دفن نويل بجوار أخته جريس وأخيه صموئيل. ولكن بعد ذلك بأسبوع عاد إلى المدفن مرة أخرى، ولكن في هذه المرة ليدفن زوجته بجوار الأطفال.

كانت جنازة ماريا من أكبر الجنازات التي شهدتها المنطقة. كان الجميع يرتدون الملابس البيضاء، وهو اللون الدال على الحزن عند الصينيين. تكلم هدسون وذكر شيئاً عن والدى ماريا المرسلين، ودعوتها إلى الصين، ومحبتها لله. كانت ماريا تبلغ من العمر ٣٣ سنة حين ماتت.

افتقد هدسون ماريا بشدة. لم تعد الأمور على ما كانت عليه حين كانت معه. قبل ذلك بسبعة شهور في عيد الميلاد، كانت العائلة كلها مجتمعة معاً. مات الآن ثلاثة أفراد من العائلة، وهناك ثلاثة أفراد في إنجلترا، وتبقى اثنان في الصين. ولكن هدسون استمد العزاء من الله. وفي حقيقة كان يؤمن أنه يوما ما سوف يكونون جميعاً في السماء، ولن يفرق بينهم شيء آخر مرة أخرى.

في صيف سنة ١٨٧١، بعد موت ماريا ونويل، شعر هدسون أن الوقت قد حان بالنسبة له ولتشارلس كي يزورا إنجلترا. كان بحاجة لقضاء بعض الوقت مع الأطفال الثلاثة الآخرين وإبلاغ الأخبار للشعب الذي ساند الإرسالية في بريطانيا. ولقد عاد معه ثلاثة أشخاص آخرين إلى إنجلترا. كان جيمس ميدوز مريضاً وكان بحاجة لبعض الوقت بعيداً عن الصين، ولذا رجع لبلده هو وزوجته، اليزابيث روز، لمدة قصيرة. وكانت جيني فولدنج تدير العديد من المدارس الداخلية للإرسالية. ولكن كان قد مضى خمس سنوات منذ أن تركت إنجلترا، وقد أراد والداها أن تأتي لأرض الوطن لزيارتهما.

أثناء الرحلة إلى إنجلترا، كانت مسز ميدوز تقضي معظم الوقت في قمرتها لتعتني بمستر ميدوز. وقد أدى ذلك لأن يقضي هدسون وتشارلس وجيني الكثر من الوقت ليقضوه معاً. في خلال الرحلة الطويلة

معاً لأرض الوطن، كان هدسون وجيني قد تحابا، وتزوجا بمجرد أن وصلا لإنجلترا.

عاد هدسون إلى الصين مع جيني، واستأنفا العمل سوياً. لقد أعطاهما الله طفلين، آمى وإرنست. أثناء وجود هدسون في الصين، كان يقضي نسبة كبيرة من وقته يدرب المرسلين الصينيين للدخول إلى داخل الصين ليبشروا بالإنجيل.

كانت إميليا أخت هدسون وزوجها، بنيامين برومهول، يعتنيان بأطفال هدسون الثلاثة الآخرين، جنباً إلى جنب مع أطفالهما العشرة. وكانا يشرفان أيضاً على العمل الإداري لإرسالية الصين الوطنية في لندن. كانا يصدران جريدة "ملايين الصين" الرسالة الإخبارية المعبرة عن لسان حال "إرسالية الصين الوطنية". كانا يعتنيان أيضاً بالمرسلين الذين في إجازة في أرض الوطن، ويختبران المرسلين الجدد للانضمام إلى الإرسالية.

راجت العديد من القصص عن المرسلين من "إرسالية الصين الوطنية" في كل أنحاء العالم. كان العديد من المرسلين جسورين ومغامرين، تماماً كمؤسس الإرسالية. كان الرجال والنساء يجوبون الصين ذهاباً وإياباً، مع عمل خرائط بالمناطق التي اجتازوها. أصبح جون ستيفنسن وهنرى سولتاو أول غربيين يجوبان الصين من الغرب إلى الشرق. لقد قطعا ١٩٠٠ ميل في أقل من ثلاثة شهور. كانت جيني، زوجة

هدسون الثانية، واثنتان أخرييتان من نساء "إرسالية الصين الوطنية"، أول النساء الغربيات اللاتي تذهبن إلى داخل الصين. كن في مهمة لإنشاء ملجأ للأطفال الذين مات والدوهم نتيجة لمجاعة شاملة اجتاحت الصين.

لم يعد مرسلو "إرسالية الصين الوطنية" الآن يأتون من الجزر البريطانية فقط. فهناك مرسلون من السويد، والولايات المتحدة واستراليا. انتشرت الإرسالية بسرعة في كل أنحاء الصين حتى أصبح هناك عمل يتبع إرسالية الصين الوطنية في كل إقليم.

ولكن في أواخر سنة ١٨٩٠، كان هناك العديد من الجمعيات الصغيرة السرية التى تحاول تغيير الأشياء داخل الصين. إحدى هذه الجماعات كانت تعرف باسم الملاكمين. كانوا يكرهون الأجانب وقد قويت شوكتهم بانضمام المزيد من الناس إليهم للدفاع عن قضيتهم. ومع ازدياد قوة الملاكمين، أصبح هدسون مهتماً بسلامة المرسلين، خاصة السيدات غير المتزوجات.

وفي نهاية سنة ١٨٩٨، اختبرت "إرسالية الصين الوطنية" قتل واحد من مرسليها.

كان بيل فليمنج، وهو استرالي نشط، في مهمة تبشيرية وسط قبيلة المياو السود في الإقليم الجنوبي الغربي البعيد من كيوى تشو. وكان صديقه ومساعده، بان شوشان، هو نفسه عضواً في قبيلة المياو السود. وعندما سمع أعضاء آخرون من القبيلة أن "بان" قد ترك ديانتهم ليتبع

المسيحية، تملكهم الغضب. وعندما كان بيل فليمنج يتحدث إلى الجماهير، أصبحوا أكثر غضباً، حتى اندفعوا إلى الأمام لمهاجمة "بان". وقف فليمنج أمام الرعاع، مستخدماً جسده لحماية صديقه، فقتل.

أصيب هدسون بحالة من الفزع عندما سمع خبر موت بيل فليمنج. كتب يقول: "كم تعد تلك الأخبار محزنة! إنها مباركة للشهداء، وحزينة بالنسبة لنا، وللصين، ولأصدقائهم. وليست حزينة فقط، بل مشئومة! إنها تظهر بوضوح أن الله على وشك أن يختبرنا بنوع جديد من التجارب".

ثبت أن كلماته صحيحة. فالأمور كانت تتغير بسرعة في الصين، وكانت تتغير إلى الأسوأ.

استمر هدسون يخبر الرجال والنساء في كل مكان عن احتياجات الصين. سافر إلى استراليا ونيوزيلندا وإلى الولايات المتحدة. تجمعت أعداد كبيرة من الناس ليسمعوه في قاعة كارنيجي في نيويورك، جاء ٣٥٠٠ شخص ليسمعوه يتكلم، بما في ذلك رئيس الولايات المتحدة وحاكم نيويورك.

ومن نيويورك سافر إلى بوسطن لحضور سلسلة أخرى من الاجتماعات. وبينما كان يتكلم في أحد الاجتماعات هناك، كان يبدو أنه قد نسي أين كان يتحدث. فقد ردد نفس العبارة مراراً وتكراراً "قد تثقون بالله أقل من اللازم، ولكن لا يمكنكم أبداً أن تثقوا به أكثر من اللازم".

بعد عدة دقائق، اقتاد رئيس الاجتماع هدسون برفق بعيداً عن المنصة. كان مازال يردد نفس العبارة. ربما استطاع أن يرى ما كانت الصين مقبلة عليه.

بلغ هدسون الآن ٦٨ سنة من العمر وكان بحاجة ماسة إلى الراحة. أعدت جيني العدة لتأخذه إلى سويسرا، حيث أدى الهواء النقي والمشي في الجبال إلى تحسين صحته.

ولكن، لم يمض الوقت الطويل قبل أن تصل البرقيات من المركز الرئيسي لإرسالية الصين الوطنية بلندن. كان يبدو أن كل واحد لديه خبر أردأ من سابقه. في الصين، أعلنت الإمبراطورة العجوز الحرب على الأجانب، وقد سر عدد كبير من أفراد الشعب الصيني أن يهبوا لمساعدتها، فأحرقت الكنائس حتى سويت بالأرض، وتم نهب منازل المرسلين. وقتلت عائلة أحد المرسلين وهى في الفراش. وهرب آخرون للنجاة بحياتهم. أصيب هدسون بالصدمة. لقد كانوا أحباءه، وكان هو في مكان بعيد مما أعجزه عن تقديم العون. وعندما كثرت البرقيات حتى أصبحت أكواماً على المائدة، قال لجيني: "لا أستطيع أن أقرأ، لا أستطيع أن افكر، ولا أستطيع حتى أن اصلي، ولكني أستطيع أن أثق".

كان الآلاف من المسيحيين الصينيين الذين كان يطلق عليهم "الشياطين الثانويون" يقتلون أيضاً لأنّه كان ينظر إليهم باعتبارهم خائنين

للصين. في بكين وحدها، قتل ما بين ١٥- ٢٠ ألف صيني كاثوليكي. كانت تلك الأيام تعرف باسم أيام الصين السوداء.

قبل الوقت الذي تمت فيه هزيمة انتفاضة الملاكمين، تم قتل ١٣٠ مرسلاً بروتستانتياً وما يزيد على ٥٠ طفلاً من أطفالهم. وفقدت "إرسالية الصين الوطنية" وحدها ٥٨ مرسلاً و ٢١ طفلاً. كان هدسون يبكي لموت كل واحد منهم.

كان هدسون يستعيد بذاكرته الأيام الأولى عندما كان يقاتل بضراوة لكي ينشئ كياناً مرسلياً، وكيف أنه توصل أخيراً ليفهم أن كل شخص قد دعي لهذا العمل كان في رعاية الله. لم يستطع أن يفعل شيئاً سوى أن يصلي لأجل كل عائلة من عائلات المرسلين المتوفين.

وبالتدريج، بدأت الإرسالية، وبدأ هدسون في استرداد العافية بعد كل أهوال حوادث الموت الفظيعة. كان هدسون وجيني يقطعان مسافات طويلة سيراً على الأقدام في الجبال سوياً. لقد صادقا الأمراء والأميرات، والفلاحين وأصحاب المتاجر. كان الزوار يتوافدون بكثرة من كل أنحاء العالم، حيث كان البعض يضحك ويهز رأسه تعجباً. أقامت عائلة تايلور مركزاً متقدماً باسم "إرسالية الصين الوطنية" في منتصف الطريق الصاعد إلى جبل في سويسرا.

مضى عام. قرأ هدسون كتابه المقدس كله للمرة الأربعين. كتب مئات الخطابات وكان يصلي على الدوام لأجل الصين والمرسلين الذين

كانوا يخدمون هناك. قلب النبأ الذي كان مفاده أن جيني كانت تعاني من مرض السرطان حياتهما رأساً على عقب. كان كلاهما يعيش في ضوء الأبدية. ومع أنها كانت نحيلة وضعيفة، إلا أنها أخبرت صديقة لها قائلة: "لا يمكن أن أكون اسعد حالاً أو ألقى عناية أفضل من ذلك. إني على وشك الذهاب إلى موطني. كيف سيكون الحال هناك! الرب يأخذني ببطء وبهدوء". وهكذا كان الحال معه. في ٢٩ يوليو سنة ١٩٠٤، ماتت جيني وكان هدسون بجوار فراش موتها.

بلغ هدسون الآن ٧٢ سنة من العمر وكان بحاجة ماسة للعودة إلى الصين. كان هناك العديد من البشر ليقدم لهم التشجيع هناك والكثيرون كي يقدم لهم الشكر. ولذا ففي ربيع سنة ١٩٠٥، انطلق هو وابنه هوارد، والذي أصبح طبيباً أيضاً، وزوجة هوارد، جيرالدين، في رحلة إلى الصين هي الرحلة الحادية عشرة بالنسبة لهدسون.

ويا لها من رحلة. استطاع هدسون أن يزور الكثير من المناطق بالقطار الآن. فالقطارات مريحة جداً عن عربات اليد التي كان معتاداً على الركوب فيها. في كل مكان ذهب إليه، كان الناس يتجمعون للاستماع إليه. احتفل بعيد ميلاده الثالث والسبعين في أحد مراكز "إرسالية الصين الوطنية" بإقليم حاينان. صنع له المسيحيون الصينيون شعاراً ضخماً من الساتان الأحمر مكتوباً عليه: "أيها الرجل المحبوب كثيراً"

زار هدسون مستشفيات وملاجئ "إرسالية الصين الوطنية"، والمراكز الجديدة للإرسالية، والمنزل في يانج شو حيث عايش هو وماريا أحداث الشغب وتمت نجاتهما منه. زار أيضاً المدفن الذي دفنت فيه ماريا، وجريس، وصموئيل، ونويل، وابنته ماريا.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، تحدث إلى مجموعة جديدة من المرسلين الذين كانوا يعملون في "إرسالية الصين الوطنية" والذين كانوا على وشك الذهاب إلى الداخل. نظر إلى هؤلاء الشباب الذين تركوا عائلاتهم وأصدقاءهم لتوصيل رسالة الإنجيل إلى الشعب الصيني، وقد كان كواحد منهم في فترة زمنية سابقة، شاب في الواحد والعشرين من العمر يهبط في أرض الصين بلا مال، وبلا زوجة، وبلا خطة. ومع ذلك كان يثق بالله، وقد استخدمه الله. والآن بعد مضى ٥٤ سنة، تم تعميد ما يزيد على ١٨,٠٠٠ مسيحي صيني، وأصبح لدى "إرسالية الصين الوطنية" ٨٢٥ مرسلاً.

قال للمجموعة: "إنه لامتياز عظيم أن ألتقى بكم هنا. لقد التقيت بالكثيرين هنا في سنوات مضت. وماتت زوجتى بجوارى هنا. وأحباؤنا أقرب إلينا بالروح مما نعتقد، والله قريب، أقرب مما نظن"

كان هدسون أقرب إلى أحبائه مما يتخيل أي شخص. ففي ٣ يونيو، ١٩٠٥، بعد عدة أسابيع من زيارة قبور عائلته، مات هدسون تايلور بهدوء في فراشه. دفن بجوار ماريا وأبنائه. كان شاهد قبره يقول:

"**<u>هدسون تايلور، إنسان في المسيح</u>**". لقد انتهت حياته حيث كان يريدها دائماً أن تكون: في عمق قلب الصين.

نبذة عن المؤلفين

جانيت وجيوف تنج زوج وزوجة يكتبان كفريق عمل موحد لما يزيد على ١٣ سنة من الخبرة في الكتابة. جانيت مدرسة سابقة في التعليم الأساسي. ويحمل جيوف درجة علمية في التاريخ. انهما أصلاً من نيوزيلاند، وقد قضيا عشر سنوات في الخدمة مع الشباب في إحدى الإرساليات. لديهما ابنتان، وهما يقيمان في منطقة أورلاندو بولاية فلوريدا.

إصدارات مكتبة المنار

	الكتاب	السعر
١-	هل حقاً تكلم الله (طبعة ثانية)	٨,٠٠
٢-	جوني	٨,٠٠
٣-	انهض وحارب (نفذ)	٥,٠٠
٤-	لكي أربح (طبعة ثانية)	٥,٠٠
٥-	العلاقة الحميمة مع الله (نفذ)	٤,٠٠
٦-	رحلة في دروب الحياة	٤,٠٠
٧-	أعماق نفسي (طبعة ثانية)	١٠,٠٠
٨-	ترس الصلاة (نفذ)	٦,٠٠
٩-	لمسة رحمة لعالم جريح (نفذ)	٥,٠٠
١٠-	نسل إبراهيم (جـ ١)	٤,٠٠
١١-	نسل إبراهيم (جـ ٢)	٤,٠٠
١٢-	الحرب الروحية	٧,٠٠

١٣-	مع المسيح فوق الآلام	٣,٥٠
١٤-	روعة الحياة بالإيمان	٧,٠٠
١٥-	يشفي نفسي	٣,٠٠
١٦-	القيادة	٨,٠٠
١٧-	العهود السبعة	٨,٠٠
١٨-	كيف تنتصر على الخطية	٢,٥٠
١٩-	المحبة حينما تبدو مستحيلة	٥,٠٠
٢٠-	أين أجد الوقت	٦,٠٠
٢١-	اكتشاف المصير	٢,٥٠
٢٢-	العلاقات الصحيحة	٧,٠٠
٢٣-	سر القط الضاحك (أطفال)	١,٥٠
٢٤-	المسيح يحررك (كتيب)	٠,٧٥
٢٥-	أسرار النجاح الروحي	٦,٠٠
٢٦-	مصر المباركة	٧,٠٠
٢٧-	بالحقيقة أحرار	٨,٠٠

٢٨-	أسس خدمة الشفاء	٨,٠٠
٢٩-	حنان الآب	٢,٥٠
٣٠-	رؤية المدينة بعيني الله	٦,٠٠
٣١-	دعوة إلى حياة الطهر والنقاوة	٨,٠٠
٣٢-	لغات المحبة الخمس عند الأطفال	١٠,٠٠
٣٣-	بيلي جراهام	٥,٠٠
٣٤-	أخرج من مخبأك	١,٥٠
٣٥-	الديداخي - أي تعليم الرسل	٧,٠٠
٣٦-	الكنائس الشرقية وأوطانها جـ١	٨,٠٠
٣٧-	حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي	١٠,٠٠
٣٨-	التقليد الرسولي	٨,٠٠
٣٩-	الكنائس الشرقية القديمة جـ٣	٩,٠٠
٤٠-	سر البغبغاء الثرثار	١,٥٠
٤١-	المسيحيون الأوائل	١٠,٠٠
٤٢-	قصة ميلاد المسيح	١,٥٠

٤٣-	الانطلاقة	٦,٠٠
	• **الأساس الكتابي للتربية في مرحلة الطفولة المبكرة**	
٤٤-	الكتيب الأول: دليل المعلم	
٤٥-	الكتيب الثاني: معرفة الله أبينا	
٤٦-	الكتيب الثالث: معرفة يسوع، الله معنا	
٤٧-	الكتيب الرابع: معرفة يسوع بواسطة الروح القدس	
٤٨-	الكتيب الخامس: التأديب الذي في البر (٥ كتب + ٣ شريط كاسيت + ٧ بوستر)	١٠٠,٠٠
٤٩-	نحو زواج أفضل	١٠,٠٠
٥٠-	المرشد إلى مجموعات الشركة الروحية	٦,٠٠
٥١-	إرشاد الصغار إلى الله	١٠,٠٠
٥٢-	إعادة بناء الحياة	١,٥٠
٥٣-	أشتاق إلى الله	١,٥٠
٥٤-	البحث عن السلام	٥,٠٠
٥٥-	أسرار وعجائب في إنجيل القديس مرقس	٤,٠٠
٥٦-	غيِّر عالمك بالصلاة	٦,٠٠

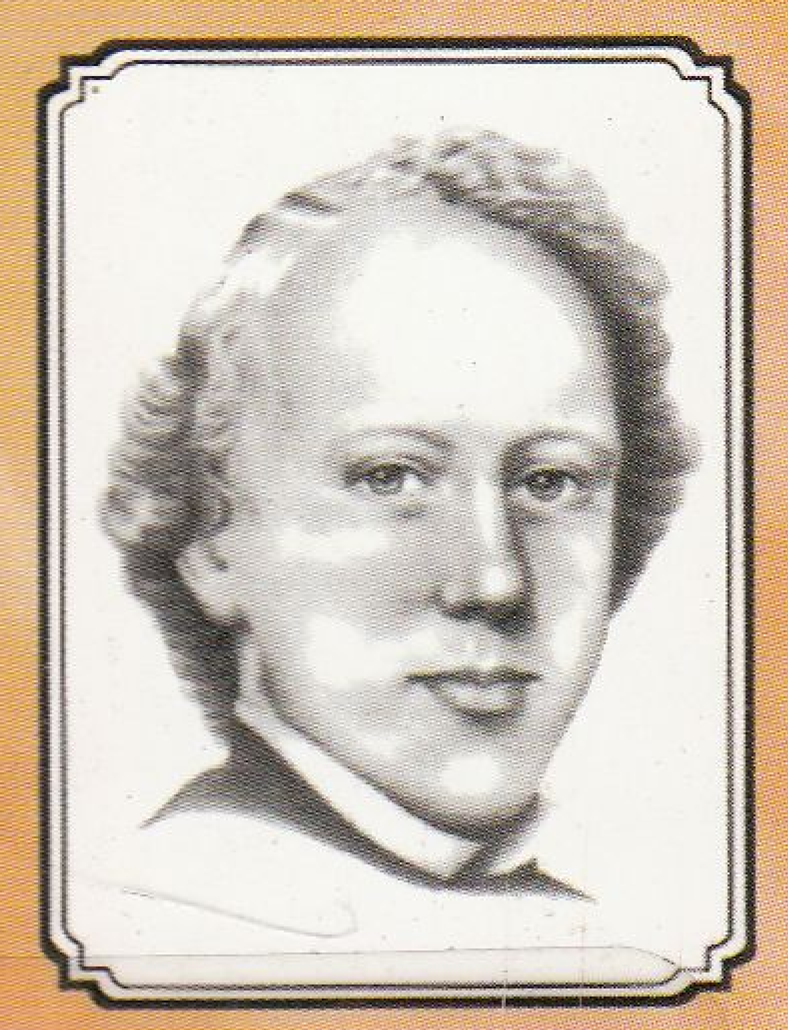
٥٧-	غريب عن .المألوف	٣,٠٠
٥٨-	مناضل في سبيل الحرية وليم ولبرفورس "محرر العبيد"	
٥٩-	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر هدسون تايلور ــ في قلب الصين	
٦٠-	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر جورج موللر ــ الوصي على أيتام بريستول	
٦١-	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر كوري تن بووم ــ حارسة جُب الملائكة	
٦٢-	ارعَ قلب طفلك	
٦٣-	آباء وأبناء	

قصص ملهمة لرجال ونساء إستجابوا لدعوة الله.

فتاة أيرلندية ثرية تنقذ الأطفال في الهند؟ شابة إنجليزية تكرز بالإنجيل في الصين ؟

طيار أمريكي يخدم المرسلين في الإكوادور؟

سلسلة أبطال الإيمان: في الماضي والحاضر ، تسرد القصص الواقعية المثيرة ، الملهمة والمؤثرة لرجال ونساء عاديين حققت ثقتهم في الله إنجازات باهرة لملكوته ومجده .



هدسون تايلور

(١٨٣٢- ١٩٠٥)

صاح القبطان موريس بصوت أعلى من زئير العاصفة:

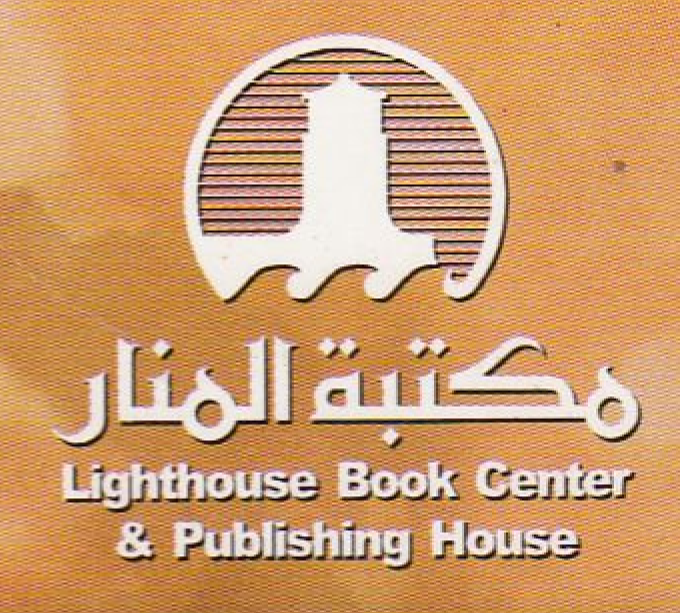
"ما لم يساعدنا الله ، فلا يوجد رجاء" .

اضطر هدسون تايلور للموافقة. في الواقع أن الدمفرايز قد تغرق في نفس ذلك اليوم وقد لا يعيش حتى يرى شواطئ الصين ، الأرض التي كان واثقاً أن الله قد دعاه للذهاب إلى أهلها.

بقى هدسون على قيد الحياة فلم يمسه سوء بعد أول رحلة خطيرة له إلى الصين التي كان يحبها بجنون. فإذ كان قلبه موحداً في طاعة الله ، فإنه تغلب على الإضطهاد والخسائر الشخصية القاسية لتوصيل الحق الإلهي إلى "حقول الصين التي ابيضت للحصاد".



اليوم ، فإن قصة هدسون تايلور ما زالت تمثل حافزاً وإلهاماً للمؤمنين صغاراً و
رسالة الإنجيل المطمئنة ، بغض النظر عن التجارب الشخصية أو الصعاب ، لأولئك ا
على غير هدى والذين فقدوا الرجاء.



مكتبة المنار
Lighthouse Book Center
& Publishing House